العولمة الثقافية واللغة العربية

(التحديات والآثار)



تأليف
محمد يوسف الهزايمة

العولمة الثقافية واللغة العربية

(التحديات والآثار)

الطبعـة الأولـى

1433هـ - 2012م



الأكاديميون للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – مقابل البوابة الرئيسية للجامعة الأردنية

تلفاكس : 0096265330508

جـــوال : 00962795699711

E-mail: academpub@yahoo.com

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

2011/12/4378

رقم التصنيف: 306

المؤلف ومن في حكمه:

محمد يوسف الهزايمة

الناشر

الأكاديميون للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

عنوان الكتاب:

العولمة الثقافية واللغة العربية

(التحديات والآثار)

الواصفات: / الثقافة الجماهيرية // الثقافة // اللغة العربية

ISBN :978-9957-449-45-2

العولمة الثقافية
واللغة العربية

(التحديات والآثار)

تأليف

محمد يوسف الهزايمة



الأكاديميون للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى الذي مضى في دروب الشهادة ملبياً نداء ربه.

إلى الذي خنقت العبرة كلمة التأبين في حقه.

إلى الذي لوحت له بيدي وهو على نعش الخلود محمول.

إلى الذي رأى بالشهادة فرصة للموت الجميل فاقتنصها.

إلى الذي كان على موعد مع الشهادة على ارض فلسطين.

إلى أبي الشهيد يوسف عوض الهزايمة وأنا أقدم هذا الإهداء أقول:

" كلما هبت شجرة الذكريات يا أبتـي اسـتحضرت رسـمك وأنـت بثـوب الجنديـة، أتلمس من الذكريات استرجاع للماضي، ونحن نقف بين يديك تودع فلذات كبدك الصغار بكل تأمل وحنوا، وكأنك كنت تقول اصبروا لكم اللـه، فإنني لا أعود "

إلى أمي التي عانت ما عانته من تعب الأيام.

إلى إخوتي الذين عاشوا المعاناة بكل تفاصيلها.

إلى رفيقة دربي زوجتي الصابرة.

إلى فلذات كبدي وأحفادي وإلى كل من أحبني.

أقدم جهد نهاري وسهر الليالي

مقدمة

مرت البشرية عبر تطورها التاريخي في حالات توازن ولا توازن نتيجة عدة تأثيرات مباشرة وغير مباشرة، وقد تكون خارجية أو داخلية تبعث من داخل تنظيماتها السياسية، و تعترض طريقها عبر مسيرة الزمن، ولكون العولمة ظاهرة تاريخية تبلورت عملياً في نهايات القرن العشرين، وحصيلة موضوعية للتطور الذي حصل على قوى الإنتاج، وبخاصة التطور العلمي والثقافي الذي حدث في العقود الأخيرة من القرن الماضي، وذلك بسبب الثورة التكنولوجية والتي شملت مجالات الاتصالات وشبكات الإنترنت والإلكترونيات والحاسبات وعلوم الرياضيات والفيزياء وعلم الجينات والهندسة الوراثية وغيرها، الأمر الذي أدى بهذا التطور إلى التأثير على الخصوصية الثقافية للشعوب، وهذا ما يمكن ملاحظته إذا ما تحسسنا التحولات الكبرى، التي اجتاحت العالم بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي، حيث تمثلت بعدة إشكاليات معقدة ومفاهيم جديدة تتعلق بالواقع الجديد، الذي أفرزته الأحداث الجسام على المستوى العالمي، فقد برز واضحاً للعيان السعي إلى جعل العالم قرية واحدة، وهذا يعني سيادة نموذجاً واحداً لا غيره في كل أنحاء العالم، وقد تعارف الجميع على هذا النموذج باسم " العولمة" وإلى جانب هذا المصطلح ظهر مصطلح ومفهوم آخر عرف باسم " الصراع الثقافي "، وهما مفهومان متضادان إلا أنهما

مرتبطان ببعضهما البعض، فالأول ينزع إلى الاندماج والتكتل لمختلف مظاهر الحياة من اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية، والثاني يميل إلى التفكك والتجزئة، وينادي بالحفاظ على الهوية الثقافية، وخصوصيتها المميزة لكل مجتمع من المجتمعات، وما يشهده العالم اليوم من نزاعات وحروب حادة ذات طابع عرقي أو قومي أو طائفي لدليل مباشر على ذلك.

لقد أصبح مفهوم العولمة اليوم أكثر انتشاراً واستخداماً بين مختلف فئات المجتمعات البشرية، حيث أن هذا المفهوم أصبح أكثر المفاهيم والمصطلحات حضوراً في العقود الأخيرة، ليس على المستوى الأكاديمي فحسب، بل على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ولدى مختلف التيارات الفكرية المختلفة، وحتى لدى رجل الشارع وأهل الرأي العام، ويرتبط تفسير العولمة ومفهومها بالتغيير للالتحاق بركب العالم المتسارع في مسيرته، نحو هدم جُدر الاختلاف بين شعوبه، وصولاً إلى نقطة التلاقي على نمط موحد يشمل كل جوانب الحياة، الأمر الذي ولّد لدى بعض الشعوب ومنها العربية، ضرورة الحفاظ على هُوية مجتمعاتها وعدم السير في طريق التعولم، فأخذت تعد للأمر عدته من خلال تحصين مجتمعاتها، للحيلولة دون تذويب عناصر ومقومات هويتها وفي مقدمتها اللغة العربية، والتي تعد عنوان الأمة العربية وأبرز مقومات وجودها وجواز سفرها الذي تعرف به.

إن للعولمة بلا شك نتائج إيجابية وسلبية على مختلف المجتمعات البشرية، سواء تلك السائرة بلا هواده على طريق التعولم، و تلك المتخوفة المتحسبة من تلك الظاهرة، فالعالم والحالة هذه منقسم على نفسة بين مؤيد لظاهرة العولمة ومعارض لها، فالمؤيد يرى أن المستقبل لن يكون " صراع حضارات " على رأي "صموئيل هنتجتون" صاحب النظرية، وإنما سيكون "المستقبل تفاعل وتحاور ثقافات" لذا يؤكدون على تحصين الذات الثقافية والانفتاح الواعي على الثقافات

والحضارات الأخرى، من أجل مستقبل أفضل للبشرية، وإثراء الثقافة الإنسانية، وعلى النقيض، فهناك المعارض والذي يقف على حافة الطرف الآخر من هذا القول، لكونه يرى أن ذاتية الإنسان وهويته وثقافته ستمضي إلى الضياع بضياع اللغة في زمن العولمة، لذا فإنهم يرون العولمة تتصف بالهيمنة على الثقافات الأخرى وخاصة الصغرى منها وتعمل على إلغائها وإذابتها، وحتى إلغاء الخصوصية الثقافية والهوية لكثير من الثقافات الكبرى، أي خلق عالم جديد يمكن أن نطلق عليه عالم اللاثقافات أو " ثقافة العولمة "، فالأمر هاهنا وفق رؤية المعارضين ينطبق على ما قاله صموئيل هنتجتون أنه سيكون " صراع حضارات " بين الأمم والشعوب وفق دراسته الشهيرة، وليس تمازجاً ثقافياً، بل إن الأمر سيعتمد على الهيمنة ومبدأ الأحادية على بقية الثقافات الأخرى، لأنها - العولمة تقوم على نموذج حضاري واحد لا يحترم مبدأ السيادة الثقافية، معتمدة في ذلك على الإمكانيات والتقنيات الإعلامية الهائلة، وعلى الإمبراطوريات الإعلامية المتطورة، والتي تروج وباستمرار لها، على اعتبار أن العولمة هي " مجتمع الرفاهية والتقدم ومقاومة الفقر"، وفي الوقت ذاته، يمكن أن تكون في نفس الوقت، ثقافة للتبادل والتفاعل والحوار والإثراء بين الشعوب لخلق ثقافة عالمية، معتمدة على التبادل المعرفي والثقافي، لا على الهيمنة وإلغاء الهويات والخصوصيات الثقافية.رغم هذا التعارض والاختلاف في وجهات النظر، فعلينا أن نُسلم أن مفهوم العولمة أصبح شائعاً بين مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية والفكرية على المستوى العالمي، رغم الاختلاف الحاصل بين التفسيرات والتحليلات لمضمون هذا المفهوم، والذي أبرز على ساحة المفسرين والمحللين فريقين ذهبوا بين مؤيد ورافض لهذه الظاهرة، ويبقى القول، إن أي أثر تتركه هذه الظاهرة على اللغة العربية، سيترسم هذا الأثر في نهاية الأمر، بعلاقة قد تكون تصادمية وقد تكون تسامحيه مع اللغات لأخرى والثقافات الأخرى في آن واحد.

إن هذا الكتاب معني بالوقوف على حقيقة تأثير العولمة على اللغة العربية، والتي تعتبر بمثابة بوابة قبول لدخول العولمة إلى الساحة العربية، أو تعتبر بوابة مؤصدة في وجه هذه الظاهرة ومنعها من الدخول، لا بل تجد مقاومة لترد من حيث أتت ومنحها شارة الرفض وعدم القبول،إن ما من شك أن هناك تحدياً واضحاً يواجه لغتنا العربية، التي هي عنوان ثقافتنا وهويتنا كعرب، تستدعي أخذ كل ما يلزم للحفاظ على خصوصية وثوابت هذه اللغة، ولابد من الأخذ بأسباب تطورها، حتى تتأصل في نفوس النشء، لتقاوم بعدها ما يمكن أن تفرضه الدول الكبرى المنادية بالعولمة، والتي تمتلك آليات الهيمنة كالفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى اقتناص الفرص والإمكانيات التي يمكن أن تتاح لنا كعرب، لنستغلها لصالح لغتنا العربية، والتي تعد بمثابة مكاسب لصالح المجتمعات العربية برمتها، وخصوصاً أن هناك رؤية تحمل في ثناياها التحذير والتشاؤم، أكثر مما تحمل من الترحيب والتفاؤل بهذه العولمة، وخصوصاً أن بدايات القرن الحالي (القرن الحادي والعشرين) لا تحمل لهوية الوطن العربي والتي عنوانها اللغة العربية وعوداً خيرة، بل تنذر بسوء العاقبة، تتمثل بعملية تتريك للغات الشعوب، والأخذ بلغة الآخر المهيمن وهي اللغة الإنجليزية، وذلك من أجل خلق عالم جديد، وهذا يكون محل تساؤل مفاده، كيف السبيل إلى مواجهة العولمة وضغوطها تجاه لغتنا العربية ؟.

إن ما سبق من تقديم يوحي للجميع أن هناك صراعاً قائماً شئنا أم أبينا، بين تيارين تيار ينزع إلى تبني لغة العولمة في عالمنا العربي وينضم إليه الناطقين بالعربية من خارج هذا العالم، وآخر ينزع إلى الحفاظ على ما هو قائم، التيار الأول هو تيار العولمة اللغوية وينادي بالتخلي عن اللغة العربية لصالح لغة أممية ولتكن اللغة الإنجليزية،والثاني تيار الحفاظ على الهوية العربية والتي رمزها اللغة العربية، إن التيار الأول وبسبب ما أحدثه من ثورة معلوماتية اجتاحت العالم

بكل ربوعه، يثير عدة تساؤلات تتعلق بظاهرة العولمة ومراميها منها: هل لظاهرة العولمة علامة مميزة دالة على انتصار الفكر الغربي على بقية الأفكار والإيدولوجيات التي تعم العالم اليوم ؟! وهل ستؤدي العولمة بالضرورة إلى التفكك والتجزؤ؟!، أم ستؤدي العولمة إلى تفاعل وتكامل في مجالات الحياة في المجتمع البشري ؟!، وإلى أي مدى تسمح العولمة بظهور قيم إنسانية أساسية كالتسامح و التعاون والتعايش السلمي؟! أم ستدفع العولمة الأمم والشعوب إلى الانغلاق والتباغض والتخاصم؟!، ما الثمن الذي ستدفعه البشرية كضريبة للعولمة؟!، والسؤال الأخير والأكثر أهمية ما مصير اللغات الأخرى للشعوب اندثاراً أم مقاومةً، وهي تعمل جادة للحفاظ على لغتها لكونها عنوان وجودها؟!، هذه أسئلة قليلٌ من كثير تدور في ذهن الإنسان، والإجابة عليها يحتاج إلى وقت كبير، وربما تظهر معطيات ما تصدقه اليوم، وإجابات و تفسيرات تكذبه الوقائع غداً، لكون دنيا الأحداث في تطور مستمر لا يبقى على حال من الأحوال، وبالمقابل تبرز مسألة الخصوصية اللغوية للشعوب في مواجهة العولمة، ما يعبر عنه أحياناً بالهوية، وهذه تثير تساؤلات هي الأخرى، ففي جانب اللغة العربية منها: هل العولمة اللغوية واللغة العربية في صراع أم في حالة تناغم، وهل سيؤدي الانخراط في العولمة اللغوية إلى ذوبان الخصوصية اللغوية للشعوب والمجتمعات العربية؟، وهل اللغة العربية وما بها من مقومات ستبقيها حية على ألسنة الناطقين بها ؟، وكيف السبيل إلى تحقيق المعادلة بين الانخراط في العولمة اللغوية،والحفاظ على اللغة العربية ومكوناتها الحضارية؟ وهل ستؤدي العولمة اللغوية إلى بناء مجتمع عالمي حقاً، وتنسى الشعوب لغتها الأم ومن بينها الشعوب الناطقة بالعربية، وهناك الكثير من الأسئلة التي تطرح نفسها عن تأثير العولمة اللغوية في الجانب الثقافي، إن هذه الأسئلة سواء تلك التي حملتها ظاهرة العولمة أو ظاهرة التمسك بالخصوصية اللغوية للشعوب والتي هي عنوان الهوية، لا تنفك عن تفعيل

ذهنية الإنسان للسعي إلى الوصول إلى إجابات مقنعة تهدئ الخاطر وتطمئن إليها الأنفس.

إن الجهد المبذول في هذه الرسالة ما هو إلا جهد المقلّ، فإن أوفيت فلله الحمد والمِنّة، وإن قصرت في بلوغ ما أردت فالكمال لله وحده، هذا وبالله التوفيق، مالي إلا أن أقول كما جاء في محكم التنزيل، بسم الله الرحمن الرحيم: (**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {15/46}**) [الأحقاف:15].

تعريف المصطلحات

هناك عدد من المصطلحات سنقوم بتعريفها لتكون بوابة الدخول لهذا الكتاب، وهذه المصطلحات هي:

العولمة الثقافية: يعبر هذا المصطلح عن وحدة في الثقافة تعم العالم، لطالما أن العولمة يعبر عنها بجعل العالم قرية واحدة، فالثقافة العولمية والحالة هذه ما هي إلا ثقافات تلك القرية العالمية والتي تشمل كل جوانب حياة سكان تلك القرية من ملبس ومأكل وسياسة واقتصاد وحياة اجتماعية وقيم...إلخ، وفي مقدمة هذا كله اتخاذ لغة واحدة كوسيلة تفاهم لأهل تلك القرية، وبلا شك هي لغة القوم الذين يدفعون باتجاه العولمة، ألا وهي والحالة هذه اللغة الإنجليزية لغة الغرب المنادي بالعولمة.

الثقافة: هي مصطلح كشأن بقية المصطلحات التي تذهب إلى التعريف الاصطلاحي، وتعريفاتها كثيرة، تزيد على (164) تعريفاً (شاويش، 1999: 9) ونختار منها ما يتفق وطبيعة دراستنا، فمن هذه التعريفات: (أنها المعبّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة ما، في نظرتها إلى الكون والحياة والموت، ونظرتها للإنسان ومهامه وقدراته وحدوده) (الجابري، 1989: 30)، ويرى آخرون بأنها:

(ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ بها جماعة بشرية تتميز بها عن الأخرى. (الأسد، 1999: 39)، ونحن بدورنا نرى الثقافة: بأنها تلك الصبغة التي تميز مجتمع ما عن المجتمعات الأخرى من حيث الاعتبارات القيمية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث تصبح تلك الصبغة الهوية الخصوصية لذلك المجتمع، لا يشاركه بها غيره من المجتمعات .

اللغة العربية: اللغة بشكل عام هي وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض، وهذا التعريف يكتسب صفة العمومية، وأما إذا ما أردنا تعريف اللغة العربية، فيمكننا القول: بأنها وسيلة اتصال بين الناطقين بها تربطهم بتراثهم، وتربط وشائج التواصل بينهم في الفكر والمشاعر والأحاسيس.

التحديات: تعرّف التحديات: (بأنها كل منافس لكل ظاهرة من الظواهر المختلفة التي تسود مجتمعاً ما، وتحد من انتشارها لصالح ظاهرة أخرى دخيلة على ذلك المجتمع) (صليبا، 1982: 250)، ونحن بدورنا يمكن تعريفها: (بأنها تلك العوامل التي تعترض اللغة العربية لتعيق انتشارها حتى لا تعم لصالح لغة أخرى من اللغات).

الآثار: تعرّف الآثار: (بأنها تلك النتائج التي تطرأ على أي شيئ بعد تعرضه لمؤثرات أيا كانت) (صليبا، 1982: 37)، ويمكننا تعريفها بأنها: (تلك النتائج التي تصبح عليها اللغة العربية بعد تعرضها لكل مؤثرات العولمة الثقافية التي تتأتي من الدول التي تتبنى العولمة الثقافية، وتدفع بها لتحتل المساحات التي تغطيها اللغة العربية).

* * *



الفصل الأول

العولمة واللغة العربية

الفصل الأول

العولمة واللغة العربية

تمهيد:

إن من أهم الظواهر التي برزت بشكل واضح للعيان منذ سبعينيات القرن المنصرم ظاهرة العولمة حيث استحوذت على عقول الأكاديميين والباحثين والسياسيين، وخاصة من هم في مراكز صنع القرار، ومما يجدر ذكره أن العولمة هي بمعناه الأعم والأشمل صناعة عالم بل حدود لأنها تستهدف إزالة الحدود السياسية والحواجز الاقتصادية والعلمية والثقافية بين الأمم والشعوب. (أبو طالب، 1999: 53-55)، وهذا يعني أن المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية تتداخل فيما بينها، حيث لا يصبح هناك حداً فاصلاً بين ما هو محلي أو إقليمي أو عالمي، وهذا مؤداه إنشاء نوع جديد من الترابط والاعتماد المتبادل بين مختلف دول العالم (الرشيد، 1999: 1-10)، ولما كانت ظاهرة العولمة ذات تأثير على حياة الأمم والشعوب، بمعنى الجماعات الإنسانية، وكذلك يمتد التأثير إلى التنظيمات السياسية من حكومية ودولية ومنظمات محلية وإقليمية وعالمية، لهذا استحوذت على اهتمامات أهل الفكر من أبناء البشرية أياً كان موقعهم، سواء كان اجتماعياً أم سياسياً أم اقتصادياً حتى امتدت إلى رجل الشارع.

إن النشأة التاريخية لظاهرة العولمة لم تكن موضع اتفاق بين كل الذين أشغلوا تفكيرهم بدراسة هذه الظاهرة، إلا أنه هناك شبه اتفاق على أن مصطلح العولمة (Globalizaion)، قد شاع استخدامه في السنوات العشر الأخيرة من

القرن المنصرم، وبالذات منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، وانفراد الولايات المتحدة في مركز صدارة القيادة لهذا العالم، واحتكامه إلى ما يسمى النظام العالمي الجديد، هذا وقد ذهب البعض إلى الاهتمام بنشأتها من الناحية التاريخية، وقاموا بوضع مراحل لقيام هذه الظاهرة، وكانت هذه المظاهر تمتد عبر سنوات ما إن تنتهي مرحلة حتى تبدأ مرحلة جديدة وهذه المراحل هي: مرحلة النشوء ومرحلة الانطلاق ومرحلة الصراع من اجل الهيمنة والمرحلة الأخيرة مرحلة علم اليقين (شماس، 1999: 104-105)، وذهب أهل الفكر بعد تحديد المراحل التاريخية لنشأة العولمة إلى تحديد الجوانب المختلفة للعولمة، وتحديد الارتباط الذي يربط هذه الجوانب ببعضها البعض، وهي بلا شك ذات جوانب متعددة مثل: الجوانب الاقتصادية والسياسية والإعلامية والثقافية، والترابط بينها يتضح من خلال، أن التبعية الاقتصادية لا بد من أن يتبعها تبعية سياسية وإعلامية وثقافية أيضاً، من هنا فإن العولمة بهذا المقاس ما هي إلا نوع متطور، وأسلوب جديد من أساليب الهيمنة الغربية، وبمعنى أكثر شمولاً هي استعمار بثوب جديد.

ففي الجانب الاقتصادي هناك أمرٌ ملحوظ، يتمثل ومنذ عقد التسعينات من القرن الماضي في الرضوخ والقبول غير المشروط من جانب الدول النامية لأطروحات وإملاءات صندوق النقد والبنك الدوليين (ساكس، 1998: 26-30)، وهذه المؤسسات المالية مسيطر عليها من قبل الدول التي تطالب بالعولمة، وبالتالي فهي مؤسسات تعمل لخدمة وأغراض الغرب المنادي بالعولمة.

وفي الجانب السياسي تظهر في سقوط الأنظمة الشمولية والسلطوية والمنادية بالديمقراطية والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان هذا هو الظاهر، أما الوجه الخفي لظاهرة العولمة في هذا الجانب، هو جعل المؤسسات الدولية أداة في يد بعض الدول، كما أن هناك ازدواجية في تطبيق قواعد حقوق الإنسان وإصدار القرارات باسم الشرعية الدولية.

وفي الجانب الثقافي، فإن العولمة تمتد إلى ثقافة الأمم والشعوب الأخرى، من غير ثقافة وشعوب الأمم التي تنادي بالعولمة، وتعمل على تذويبها وتفريغها من مضمونها، وهذا له مردود سلبي، ذو معنىً سياسي يتلخص في هدم هوية الأمم والشعوب وجعلها تلتحق بثقافة الآخر، وهذا ما لا ترضاه تلك الأمم وتعمل جاهدة إلى التمسك بهويتها وثقافتها واللسان (اللغة)، التي هي بمثابة الناقلة لتراث سلف الأمة إلى أبنائها، وبالتالي فإن هذه الهوية التي تتضمن ثقافة الأمة ولغتها تتشكل بشكل شعوري ولا شعوري لكونها جزءاً هاماً من علامات وجود الفرد والمجتمع والوطن على هذه الأرض التي عليها نعيش. (سلامة، 1997: 180-199).

فإذا كانت الثقافة هي أساس تحديد الهوية للشعوب، فإننا نرى أن الثقافة العربية على وجه التحديد تتكون من عدة عناصر هي: الدين الإسلامي واللغة العربية والعادات والتقاليد والأعراف السائدة، وفي هذا الصدد فإن دراستنا منصبة على اللغة العربية من دون سواها من بين هذه العناصر، حيث تعتبر روح الشعب العربي، وهي من أهم مقومات هويته الثقافية، وهي ذات صلة بالدين، حيث تعتبر لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهما أهم مصادر العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي أيضاً، وظلت اللغة العربية وحتى يومنا الحاضر، وسيبقى ما يستجد من أيام مستقبلية، الركيزة الأساسية لهوية الثقافة الإسلامية والعربية، وهي هوية المواطن العربي في أي وقت من الأوقات وفي أي مكان على المعمورة.

إن العولمة تهدف في هذا الجانب اللغوي إلى تهديد اللغة العربية، وإقصائها عن الساحة الفكرية والثقافية حتى من على الرقعة الجغرافية التي يعيش عليها العرب الناطقون بها، وذلك بإحلال لغة جديدة على عالمهم ودنياهم، هذه اللغة هي لغة المنادين بالعولمة تلك اللغة هي اللغة الإنجليزية. فقد

استخدمت هذه الدول - الغربية - نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري إلى فرض إملاءات على الدول العربية تفيد تغيير مناهجها، وفق الأسس العولمية لتلك البلاد المتنفذة، وتتضمن هذه التغييرات التقليل من حصص اللغة العربية، والدين الإسلامي في المناهج المدرسية، وجعل اللغة الإنجليزية مقرراً من مقررات هذه المناهج، لتنشأ في عقلية النشء منذ الصغر هذه اللغة (الإنجليزية) جنباً إلى جنب مع لغته الأم، وهذا موضوع له من المدلولات السلبية الكثير الكثير، ولم تقف هذه الدول عند هذا الحد بل جعلت وبصورة غير معلنة وضمنية، أن لا مجال للتوظيف إلا بمساحات ضيقة لكل من لا يجيد اللغة الإنجليزية، في حين نجد الدول الناطقة بالعربية أهملت لغتها نتيجة الافتتان باللغة الإنجليزية عن رهبة أو رغبة، فلا تجد إلا القليل من يجيد التحدث بالعربية الفصحى، وذلك نتيجة اعتبارها في واحدة منها، أنها ليست ذات أهمية مقارنةً باللغة الإنجليزية، لكون الأخيرة باتت اليوم لغة الإنترنت والمخاطبات التجارية... إلخ.

إن هذا الكتاب جاء من صميم الحرص على بيان ما يخطط للغتنا العربية، لعلها توقد شمعة في دنيا ظلامٍ دامس هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى لأن لغة القوم هي أهم مقوم من مقومات وجودهم، والعالم العربي الذي ينطق باللغة العربية عليه القيام بمبادرات من شأنها الحفاظ على لغته العربية، ليس عند هذا الحد، بل أن تعمل على تطويرها أكثر فأكثر، ومن ثم الالتفات إلى ظاهرة الأمية والعمل على هدمها، إن اللغة العربية في ظل عصر العولمة ستبقى ولا تذوب أو تضمحل والسبب في ذلك أن الله سبحانه وتعالى حفظها هي الأخرى بحفظ القرآن الكريم، لأنها أحرف كلماته وجُمل آياته وسوره، لن تضيع ما دام رب العزة قال في القرآن الكريم: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9/15}**) [الحجر:9]،

رغم هذه القناعة فعلى أهل اللغة كافة من مفكرين وناطقين بحرفها، أن لا يقفوا مكتوفي اليد أمام هذه الهجمة العولمية، فيقع على عاتقهم واجباً هاماً يؤثموا إذا تركوه، ألا وهو تحصين النشء من غزو اللغات الأخرى، وتضييق الخناق على كل سبب يهدم حصنها المنيع، كأن يعملوا جميعاً على محاصرة الأمية ومحوها من العقول، أضف إلى تعزيز القناعة بهذه اللغة على أنها خير معبر عن مشاعر الأمة وخير حافظ لتراثها. ولطالما تعليمات الدراسة بالجامعات باتت اليوم لا تقبل إلا بامتحان قبول أو تخرج لطلبتها إلا باللغة الإنجليزية، فعلينا أن نضع اللغة العربية في مصاف تلك اللغات على الأقل، ونجعل من القواعد الناظمة للغة العربية امتحاناً أيضاً، وبذلك نسد بعضاً من أبواب الضعف في نطق الحرف العربي، ونجعل من الاهتمام بلغة الضاد أكثر.

الدراسات السابقة:

هناك عدد كبير من الدراسات التي تناولت العولمة وتأثيراتها على اللغة العربية سواء كانت قد تناولتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة سنعرض لأهمها فيما يلي:

دراسة (مطلوب، 2001) والموسومة بـ: " في اللغة العربية وتحديات العولمة "، قامت هذه الدراسة على فرضية أساسية قوامها، أن اللغة العربية واجهت وتواجه تحديات تثيرها العولمة، وهذه التحديات تهدف إلى تغيير بنية اللغة العربية، وزعزعة قناعات الناطقين بها للتخلي عن تلك القواعد الناظمة لها، ولشكل الحرف واللسان الناطق بها أيضاً، وذلك باستبدالها باللهجة العامية والتي كادت أن تموت، بسبب تنامي وانتشار الثقافة الإسلامية القائمة على الفصحى، والتي من شأنها هي الأخرى الحفاظ على اللغة من ناحية المضمون والنطق، وقد خلص الباحث إلى أن العولمة أحيت دعوة المناداة بالعامية، كما دفعت العالم باتجاه صهر لغات الشعوب باللغة الإنجليزية.

دراسة (علي، 2001) والمعنونة بـ: " اللغـة العربيـة وتحـدياتها "، اسـتهدفت هـذه الدراسة تأكيد الحاجة الماسة لنهضة لغوية شاملة لتلبي مطالب العصر الذي نعيشه، كـما تلبي حاجة النشء إلى لغـة عربيـة فصحى تقـاوم كـل تحـديات العولمـة، علـماً أن هـذه الدراسة قامت على فرضية أساسية مفادها: أن الشعوب العربية أخـذت لا تكـترث رويـداً رويداً بقواعد اللغة العربية، مما يؤدي إلى إفساح المجـال لاسـتخدام العاميـة واللـهجات المحلية المختلفة، وبـذلك تـنحسر مسـاحات الحـديث باللغـة العربيـة الفصحى، وخلـص الباحث إلى عدة استنتاجات أهمها:

إعادة ثقة المجتمعات بلغتهم العربية من خلال الأجيال القادمـة، التـي تُـربى عـلى النُطق السليم للغـة، وذلـك مـن خـلال قواعـدها الناظمـة للمضـمون والشـكل، ومـن أهـم التوصيات التي توصل إليها الباحث هي: وضع خطط قومية طموحة شاملة لبرامج اللغـة العربية، من أجل الدخول إلى عصر المعلومات بلغة العرب السـليمة، وعـدم التهيـب مـن تلك المقولات التي تقول أن اللغة العربية لا تجاري مقتضيات العصر.

دراسة (عبد السلام، 2001) وهي بعنوان: " العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغـة العربية"، إن هذه الدراسة استهدفت هدفاً رئيسياً قائماً على، بيان الدور الذي تلعبه اللغة في حياة الإنسان، ولأجل تحقيق هذا الهدف فقد ركز الباحـث في بحثـه عـلى عـدة قضـايا أساسية، ذات مسـاس بحيـاة الإنسـان، والتـي تشـكل اللغـة دوراً كبـيراً في بنيتـه العقليـة وتنعكس بدورها على كافة جوانب حياته، فلا يوجد مجال من المجالات التي تحف بحياة الإنسان، إلا واللغة تلعب ذلك الدور الكبير فيه، وقد خلص الباحث إلى عـدة اسـتنتاجات أهمها: أن الأمم التي تحافظ على لغتها، تستطيع أن تحـافظ عـلى هويتهـا، وأن الأطـراف الأخرى تكن كل احترام للأمة التي تحافظ على لغتها، وتعمل على رفع شأنه.

دراسة (حوات،2002) بعنوان " العرب والعولمة "، حيث تناول الباحث في أكثر من موطن فصول دراسته العولمة الثقافية العربية، فقد تناول تعريف العولمة، والتي وصفها بأنها أمر بالغ الصعوبة وما وجده من تعريفات، لا يساهم من وجهة نظره في ضبط تحديات الظاهرة العولمية وأبعادها الأساسية، وقد توصل إلى استنتاج هام هو: أن العولمة تمثل نوعاً من التداخل الكثيف في العلاقات التي مجالها يسمح بمساحات لتداخل الثقافات، وبالتالي تعمل على توجيه الثقافة التي تريد، وفق أهداف العولمة التي لا ترضى إلا، بهيمنة ثقافة العولمة على بقية الثقافات، ومنها الثقافة العربية واللغة الدالة عليها، ولما كانت اللغة الإنجليزية هي لغة العولمة، وبالتالي فإن باقي الثقافات واللغات إما أن، تكون تابعة ولا يسمح لها إلا بالقدر الذي ترتضيه العولمة،أو أن تذوب وتضمحل وتندثر للأبد.

دراسة (وطفة، 2003) والموسومة بـ "الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها "، لقد قامت هذه الدراسة على أساس فرضية أساسية قوامها: أن هناك هجمة عنيفة ضد اللغة العربية بخاصة والثقافة العربية بعامة، على اعتبار أن اللغة العربية هي المعبرة عن ثقافة العرب والمسلمين معاً، وكان من أهداف هذه الدراسة، بيان تلك الهجمات وتحدياتها، وخلص الباحث من خلال دراسته إلى عدة استنتاجات أهمها: أن الهجمة العنيفة على اللغة العربية، والثقافة الإسلامية هي هجمة عنصرية ثقافية تهدف إلى احتواء الوجود العربي والإسلامي، أضف إلى ذلك، أن هذه الهجمة بدورها، تهدف إلى هدم مختلف معطيات وقيم العرب والمسلمين التي هي موطن اعتزازهم.

دراسة (الحمد،2003) والموسومة بـ "الثقافة العربية في عصر العولمـة"، اسـتهدفت هذه الدراسة بيان الأزمة التي يمر بها المثقف العربي، نتيجة استهداف الآخـر لغـة وثقافـة العرب، والتي تهدف إلى هدم مقوماتها بعد إفراغها من مضمونها، وقامت هـذه الدراسـة على فرضية أساسية هي: أن هناك أزمة حقيقة تختلج ذهنية المثقف العربي، مـما تجعلـه في حالة اللاثبات، لا يقوى على تطوير لغتـه العربيـة، التـي هـي أسـاس الثقافـة العربيـة واللسان المعبر عنها، وقد خلص الباحث إلى عدة اسـتنتاجات أهمهـا: أن المثقـف العـربي ستزداد معاناته بسبب التـأثير الكبـير الـذي يلحـق باللغـة العربيـة، وذلـك بسـبب التيـار العولمي الذي تدفع به الدول الغربية باتجاه هدم اللغـة، وتعكـير صـفو الثقافـة العربيـة، ومن هذه التأثيرات: ترك الناطقين باللغة العربية القواعد الأساسية الناظمة للغتهم، وهذا في حد ذاته إصابة العولميين لهدفهم، وذلك بالإعلان عن نجـاح عـولمتهم في تحقيـق أهـم أهدافها.

دراسة (الهزايمة، 2005) والموسومة بـ : "قضايا دولية معاصرة"، وقد تناول تحديات العولمة للثقافة العربية الإسلامية بما فيها اللغة العربية، التـي تعتـبر الوسـيلة المعـبرة عـن الثقافة الإسلامية، وبيّن أساليب تحصين النشء من الانزلاق في دروب العولمـة، ومـن هـذه التحديات: أنها تعمـل عـلى الـذهاب بالخصوصـية الثقافيـة واللغويـة للشـعوب العربيـة والإسلامية على السـواء، كـما خلـص الباحـث في نهايـة دراسـته والمتعلقـة بمـادة العولمـة وتحدياتها إلى: ضرورة تأصيل ما هو عربي وإسلامي في ذهنية الأجيال، وخاصة ممـن هـم على مقاعد الدراسة وإعطاء أكثر أهمية لأولئـك الـين اسـتقبلوا حيـاتهم التعليميـة الأولى، على اعتبار، أن التأسيس هو أفضل طريقة لغرس كل ما يريده العـربي في ذهنيـة الأجيـال، وخصوصاً أن تلك الذهنيـة لا تـزال صـافية لم تسـودها تـراكمات الأيـام ومـا تحملـه مـن أحداث.

دراسة (عبد الحافظ، 2005) والموسومة بـ: "الآثار السلبية على الوطن العربي وسبل مواجهتها"، وقد تناول الباحث الأمور التي تحملها العولمة وتهدد بها اللغة العربية، وتعمل في واحدة منها على إحلال العامية محل الفصحى، وتلك التي تسهم في انتشار الأمية بين الشعوب الناطقة بها، حتى لا تقوى على التحدث بالحرف العربي الصحيح، وقد توصل الباحث من خلال مؤلفه، إلى عدة سبل لمواجهة الآثار السلبية للعولمة، لتفويت الفرصة على القائمين عليها من تحقيق أهدافهم، وقد قسم وسائل الحماية من الآثار السلبية للعولمة إلى عدة جوانب أساسية منها في: المجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي، وفوق هذه المجالات المجال الثقافي.وقد خلص إلى تبيان ما يمكن الأخذ به لحماية كل مجال من المجالات الثلاثة السابقة، وقد خص اللغة العربية الكثير من مادة الدراسة، لكونها الأداة المعبرة عن كل مجال منها، وذات صلة مباشرة بكل جوانب كل لسان ناطق بها.

دراسة (عايد، 2008)، والموسومة بـ: "العولمة والتربية " استهدف الباحث بيان تاريخ العولمة وطرح أسئلة ثلاثة، تتناول التفكير الإنساني هي: لماذا أتيت؟، ومن أين أتيت؟، وإلى أين المصير أنا سائر؟، وتوصل إلى أن الثقافات الأخرى عجزت عن الإجابة على هذه الأسئلة،في حين جاءت الثقافة الإسلامية العربية فأعطت الإجابة الشافية لكل سؤال مطروح، وخلص الباحث إلى أن الثقافة العربية الإسلامية قد تتأثر من جرّاء الهجمة العولمية، إلا أن التأثير لا يذهب بالثقافة العربية الإسلامية بل أن هذه الثقافة ستفشل تيار العولمة، أو على الأقل تعيق حركته لصالح الثقافة العربية الإسلامية.

دراسة (محسن، 2008) والموسومة بـ "الموجز في العولمة "، وقد تناول في مؤلفه ما عنوانه "عولمة اللغات"، وقد تناول العولمة كظاهرة متعددة الأبعاد لها قوة تحويلية تصل إلى عمق الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية للحياة الاجتماعية

المعاصرة، وتطرح أمام الناس في النقاشات العامة طروحات غنية بالإيجابيات مما يجعل الشعوب غير الواعية تؤيد الأخذ بها، وقد توصل الباحث إلى عدة استنتاجات أهمها: أن العولمة ظهرت كحقل جديد للمعرفة، له امتداداته وتقاطعاته مع العديد من الحقول المعرفية التقليدية، وبالتالي نادى الباحث كتوصية عند دراسته العولمة وهي: ضرورة الاطلاع على المواضيع التي ترنو العولمة إلى تناولها، ومن ثم ربط خيوط المعرفة المتعلقة بكل جوانب العولمة، وباختصار نادى الباحث بضرورة دراسة العولمة، اعتماداً على منهج جامع لمختلف الحقول المعرفية، ودراسة التحول في النماذج العالمية.

* * *



الفصل الثاني
العولمة الثقافية
الماهية والاتجاهات

الفصل الثاني

العولمة الثقافية

الماهية والاتجاهات

طرحت التحولات الكبرى التي أعقبت مرحلة الحرب الباردة عدة معطيات ومفاهيم معقدة، تتعلق بالواقع الجديد الذي أفرزته هذه المرحلة، فولدت هذه التحولات أزمات على المستوى الكوني من نتائجها، ظهور تفاعلات أدت إلى إنتاج مفهومين: أخذ الأول، يتردد على شفاه السواد الأعظم من أهل الفكر في العالم عُرف باسم مصطلح العولمة والآخر اتسم بالصراع الأكثر تأثيراً على عقلية وهوية الإنسان، ألا وهو الصراع الثقافي وعلى الرغم أنهما مفهومان متضادان، إلا أنهما أصبحا - مفهوم العولمة والخصوصية الثقافية - الأكثر انتشاراً واستخداماً بين مختلف فئات المجتمع، وربما يعود الأمر إلى تخوف هذه الفئات من النتائج السلبية التي تتركها العولمة على القومية، التي تتميز وتنفرد بها عن غيرها من الأمم، ويكمن الخوف في استبدال تلك الخصوصية والشخصية بخصوصية وشخصية أخرى مستقاة من العالم الآخر، الذي يدفع باتجاه الأخذ بمصطلح العولمة الثقافية، والذي ينظر للعالم على أنه أصبح قرية واحدة تختفي عندها الخصوصيات وتتنحى عنها جانباً.

إن اختلاف الثقافات لا يعطي الحق لأي فرد، أو أي دولة مهما كانت قوتها، ولو كانت القوى صانعة العولمة أن تفرض ثقافتها على الآخرين، أو

تعمل على سحق و تذويب ثقافات أمم وشعوب أهل الأرض أو هويتهم القوميـة، إلا أنـه مهما تعالت أصوات الرفض، فإنه لا يمكن الإنكار أن ظاهرة العولمة ليس لهـا تـأثير واضـح على الهويات والخصوصيات الثقافية، وأن هنـاك "عمليـة اخـتراق ثقـافي " غـربيّ السـمات والقسمات، لكل الثقافات والهويات التي تعيش على هذه الأرض وبطريقـة مسـبوقة، وفي هذا الفصل سنتناول العولمة كتيـار مـؤثر، ومصـطلح الثقافـة كهويـة متـأثرة، وفي مبحثـين رئيسيين:

- المبحث الأول: العولمة واتجاهاتها.
- المبحث الثاني: الثقافة واتجاهاتها.

المبحث الأول
العولمة واتجاهاتها

العولمة من أهم التيارات الفكرية التي فرضت نفسها بقوة على الساحة الدولية، حيث أول ما تعنيه لكل المهتمين، أنها إزالة الحدود والقيود بين الدول، على اعتبار العالم اليوم بفضل التقدم في التقنيات المختلفة وفي مقدمتها الاتصالات، جعلت من العالم قرية واحدة، وما على القوى الأكثر قوة وتقدماً من فرض ما عندها على القوى الأكثر ضعفاً وأقل تقدماً، حتى في أبسط قواعد الحياة وفنونها، وخصوصاً في عصر أصبح الإنسان يعيش الحدث حال وقوعه، ويقرأ الجريدة قبل صدورها، ويعرف موقع الكتاب في كثير من مكتبات العالم وهو جالس في بيته، ويتعرف على بقاع العالم من خلال المرئيات التي تدخل بيوت الناس كل صباح ومساء بلا استئذان، وهذا يقودنا إلى الإذعان إلى أن الموازين دائماً تميل لصالح القوة ذات المنظومة الثقافية، التي نجحت في استثمار تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والاتصالات، ويجب أن لا يغيب عن البال أن ما تحمله هذه التكنولوجيا من الترويج لظاهرة العولمة، أن هذه الظاهرة لها فوائد كما لها مضار، وكذلك ثقافة الآخر ليست كلها شر وليست كلها خير، فبإمكاننا الاستفادة من هذه الظاهرة بالقدر الذي نكون فيه أكثر وعياً بأبعادها المختلفة، إن الحديث عن العولمة يتطلب منا تناول ماهيتها من خلال التعريف بالعولمة، والوقوف على أطوار نشأتها، ومن ثم الوقوف على اتجاهاتها المختلفة لتكون المعلومة عن الظاهرة العولمية وافية المعنى ومن كل الجوانب، وفي هذا المبحث سنتناول كل ذلك في مطلبين رئيسيين هما:

- المطلب الأول: العولمة الماهية والنشأة.
- المطلب الثاني: العولمة واتجاهاتها الثقافية.

المطلب الأول

العولمة الماهية والنشأة ؟

غدت " العولمة " أحد أهم المصطلحات التي ذاعت خلال العقد الأخير مـن القـرن الماضي، وحتى الآن - إن لم تكن أهم هـذه المصـطلحات عـلى الإطـلاق - فشـغلت أذهـان المفكرين على اختلاف ثقافاتهم واهتماماتهم الواسعة، وقد أثار هذا المصطلح جدلاً واسعاً بينهم، حتى انقسموا إلى أكثر من فريق لكل واحد مـنهم توجهاتـه، وكـان هـذا الانقسـام نابع من اختلاف الأنظار حول مفهوم العولمة، وذلك بحسب اخـتلاف الزاويـة التـي ينظـر المفكر لهذه الظاهرة، وفي هذا المطلب سنتناول ماهية هذه الظـاهرة الموسـومة بالعولمـة ليكون الفهم أكثر عمقاً، والإحاطة بها أكثر شمولاً وذلك من خلال فقرتين رئيسيتين هـما:

أولا: التعريف بالعولمة.

ثانياً: النشأة التاريخية للعولمة.

أولاً: التعريف بالعولمة:

سينصب الحديث في هذه الفقرة على إبراز مفهوم العولمة واختلافه عـن المفـاهيم الأخرى المتقاربة وعلى النشأة التاريخية لهذا المفهوم :

1. **مفهـوم العولمـة Globalaization:** يشـير مفهـوم العولمـة عـلى الصـعيد المعـرفي إشكاليات فكرية عديدة بدأت في إطار: الدراسات الاقتصـادية وامتـدت إلى ميـادين علميـة أخرى: كالاجتماع والسياسة والبيئة والإعلام والثقافة والمعلوماتية والعلاقات الدولية، ومن ثـم أصبح هذا المصطلح أكثر شيوعاً يمتد إلى كل أصقاع الدنيا من أقصاها إلى أقصاها ، لكونـه احتل أيضاً مساحة واسعة في اهتمامات الباحثين على اختلاف توجهاتهم الفكرية، مما خلق نوعاً خاصاً من الجدل حول مفهوم هذا المصطلح، والأهداف التي تسـتخلص مـن سـيادته

وهيمنته على وجه المعمورة، هناك العديد من التعريفات تناولت العولمة، وعلينا أن ندرك في البداية، أن صياغة تعريف دقيق لهذا المصطلح يبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد جوانبها والمجالات المختلفة التي تتشعب بها، أضف إلى أن مسألة العولمة تتأثر أساساً بانحيازات الباحثين والأيديولوجيين، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً، ولكننا سنتناول عدداً منها في النطاق وتلك الذي يخدم أغراض البحث وهي:

فمصطلح العولمة ما هو إلا تعريب للفّظين الإنجليزي (globalization) والفرنسي (mondialization)، ويعني المصطلح: إكساب نمط ثقافي أو اقتصادي أو سياسي صبغة العالمية، أي نقله من بوتقة المحدود إلى اللامحدود والعالم المتناهي، فيما يتجاوز إطار الحدود الإقليمية الضيقة (باي، 1999: 341).

فالعولمة ظاهرة معقدة ومركبة وذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وثقافية وتكنولوجية أنتجتها جملة من الظروف والمتغيرات الدولية وتؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات والدول، والعولمة تعني إضفاء الطابع الكوني أو العالمي على النشاطات والفعاليات الإنسانية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية، وتهدف إلى ربط التطور التكنولوجي والاقتصادي وما ينجم عنها لبناء حضارة كونية جديدة قوامها توحيد الثقافة والفنون والنظم الاجتماعية وتأسيس حضارة جديدة لصالح المركز العالمي الذي ينتج التكنولوجيا وقود ظاهرة العولمة (مشاقبة، 2008، ص 73).

والعولمة تطلق على ما يتسم به عالم اليوم من التداخل الواضح والمتزايد في أمور: الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو انتماء لوطن محدد، أو دولة معينة، ودون حاجة لإجراء حكومي معين (رضوان، 1997: 39 -54).

واستناداً لما سبق من التعريفات التي تناولت العولمة، فإننـا بـدورنا نـرى بالعولمـة وبما يتفق ومضمون دراستنا أنها: ظاهرة غربية تسعى جاهدة إلى إحلال اللغة الإنجليزيـة محل اللغة العربية، أو على أقل تقدير زعزعة مرتكزاتها في نفـوس النـاطقين بهـا، وصـولاً إلى هـدفها البعيـد، والقـائم عـلى هجـر اللغـة العربيـة واسـتبدالها بلغـة المنـادين بالعولمـة والمروجين لها.

إن المشكلة الرئيسية التي تواجه مفهـوم العولمـة هـو ارتبـاط المفهـوم بعـدد مـن التحذيرات السياسية ذات الطابع الأيدلوجي، التي غالبـاً مـا تـنعكس عـلى التعريفـات التـي يطلقها الكتاب والمهتمـون بهـذا المجـال، الأمـر الـذي أدخـل مفهـوم العولمـة في متاهـات التحسبات والاعتقادات، ومحل الاختلافات في الفهم لـدى أهـل الفكـر وخاصـة المختصـين منهم في مجال التيارات الأيدلوجية خاصة، إن هذا يعني اختلاط في المفاهيم بـين العولمـة كمفهـوم وبـين مصـطلحات تتقـارب مـن مفهومهـا، الأمـر الـذي جعـل أهـل الاختصـاص يطرحون تصورات ثلاث للعولمة كمحاولة للوقوف على المعنى الحقيقي لكـل مـن مفهـوم العولمة والتيارات الفكريـة التـي تقـترب منهـا في الفهـم والمعنـى وهـذه التصـورات هـي (الخضيري، 2000: 25-27):

العولمة كأيدلوجية "Globalizm"، وتعني أن العولمة طرح مذهبي يقوم على فكرة انتصار الحضارة الغربية التي تؤسس لحضارة إنسانية جديدة أو حضارة تكنولوجية تقـود العالم.

العولمـة كظـاهرة "Globalization"، وهـي تشـير إلى مجموعـة مـن الإجـراءات والممارسات والسياسات الصادرة عن القوى الكبرى في العالم، وردود الفعل التي تصاحبها.

العولمة كعملية "Globality "، وهـي تشـير إلى أنهـا مرحلـة تاريخيـة أو هـي بمثابة تطور نوعي جديد في التاريخ الإنساني، ومن ثـم فهـي محصـلة تطـور تـاريخي

تراكمي، وبصفة عامة فإن العولمة "Gglobalization"، تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وللخروج من مأزق التداخل في الفهم والاختلاط في المعنى لابد من استعراض عددا من المصطلحات التي تتقارب في الفهم من مفهوم العولمة.

2. **المفاهيم المتقاربة:** هناك عدداً كبيراً من المفاهيم تتقارب في اللفظ من مصطلح العولمة ولكنها في واقع الأمر يختلف مفهومها عن فهم العولمة، ويبتعد عنه، وحتى لا تختلط المفاهيم الأخرى وفهم العولمة نستعرض أهمها:

العالمية: وهي دعوة تدعو إلى تبني القضايا والهموم المشتركة للبشر جميعاً، والسعي لتسخير إمكانيات العالم لصالح الإنسانية جمعاء، باعتبار البشر جميعاً شركاء في هذا العالم، فالعالمية بهذا المفهوم دعوة أخلاقية تسعى إلى جلب الخير للناس جميعاً، وتعمل على تجنيبهم المخاطر والشرور، وهذا ما ذهب إليه الإسلام، كما جاء في القرآن الكريم وذلك بقوله تعالى: (**وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {3/3} مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ**) [آل عمران:3-4].

وفي إطار هذا الفهم تأتي دعوات المفكرين وأهل الإصلاح في العالم، الذين تبنوا قيم الخير والمحبة بمعناها الشامل في العالم كله، دون تمييز بين أمةٍ وأخرى أو جنس وجنسٍ آخر، من هنا نجد أنه ليس لمفهوم العالمية هذا أي علاقة بمفهوم العولمة على اعتبار العولمة تعني ما تعنيه، جعل العالم مجالاً لممارسة أي نشاط اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو ثقافي... إلخ على مستوى العالم. (عبد الحافظ، 2005: 12-13).

التدويل: ويعني هذا المصطلح جعل أي قضية من القضايا محور اهتمام أو تدخل أو نشاط دول عدة، وأما العولمة في إزاء فهم التدويل هذا تعني إمكانية القيام بنشاط ما على مستوى العالم كرقعة واحدة أو كيان واحد، بغض النظر

عن أية حدود سياسية أو عوامل جغرافية أو غيرها، وأما التدويل ففيه إشارة إلى أن هناك كيانات متميزة ومتعددة هي الدول تتجه إلى القيام بدور ما في قضية من القضايا، فلكل من المصطلحين معنىً محدد مختلف عن الآخر ولا صلة بينهما. (عبد الحافظ، 2005: 13).

العلمانية Secularism: ويقصد بها النظرة الكونية الشاملة، لمعالجة أي مشكلة على أساس من العقل والفكر، لكن هذا المصطلح امتد إلى التفكير والنظر إلى الأمور بعيداً عن وصاية الدين وعلماؤه، وأصبح يرتبط هذا المصطلح بالدولة وسياستها والابتعاد عن الدين بل والتنكر والعمل ضده. (رضوان، 1999: 126)، ويرى آخرون بأن العلمانية ما هي إلا تيار فكري قائم على حذف الآخرة من فكر الناس

العلمنة Secularization: هي سياسة نشر العولمة والترويج لكل فكر من الأفكار من أي نوع، إلا الفكر الديني والافتخار بكل شيء إلا الفكر الديني، ولقد خلقت العولمة الحالية أحادية القطب مشكلات وتحديات هائلة في السياسة والاقتصاد والفكر والتربية والاجتماع، ولذلك علينا دراسة أبعاد هذه العولمة والتي يعمل الآخر على فرضها علينا، وذلك من خلال إيقاف تدفقها السريع الذي قد يغرقنا، فعلى الصعيد العسكري تتوالى الاختراعات الجديدة، والإضافات إلى أسلحة الدمار الشامل، وكذلك الحال في مجال غزو الفضاء، وفي المجال الإنتاجي والتجاري والمالي التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، حين بدأت الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات، وحسب الاتجاه المتزايد الآن العمل على تحويل العالم إلى سوق عالمية كبيرة، تلعب فيه هذه الشركات الدور الكبير لتغطية كل حاجات البشر في المجال الاقتصادي في الدول النامية والمتقدمة على حدٍ سواء، وأما كيفية إيقاف تدفقها فيتم من خلال صحوة دول العالم الإسلامي الذي يملك موارد وإمكانيات اقتصادية هائلة وذلك للعمل على إيجاد

تكتـل اقتصـادي كبـير لمواكبـة الوجـه الحميـد للعولمـة (رضـوان، 1999: 127)، وإيجـاد تفاهمات لحل النزاعات التي تؤدي إلى الحروب لوقف سـفك الـدماء العربيـة والإسـلامية التي تسفح بالسلاح العربي الإسلامي في الاقتتال بين العرب والمسلمين أنفسهم وهذا يؤدي إلى إغناء الغرب الذي يمتلك مصانع السلاح وتوفير الدم العربي الإسلامي.

أما في مجال التراكم الثقافي فهناك عملية غسل دمـاغ عالميـة واسـعة لكـل الجـنس البشري عـلى سـطح الأرض، وذلـك مـن خـلال تـدعيم أفكـار وأيـدلوجيات وتحطـيم كـل الثقافات القومية والانتماءات التاريخية والقُطرية، وما الإعلام الثقافي الحديث الذي ينفثه متخصصون للقضاء على كل المقومات الأخلاقيـة والدينيـة والشخصـية يهـدف إلى إنجـاح عمليات غسل الدماغ وتدعيم تلك الأفكار، وأن الاعتقاد يحوم حول اليهود على اعتبـارهم القوة التي تقف وراء ذلك، فهم أساس الـبلاء في كـل زمـان ومكـان، لـذا يجـب أن يكـون هناك حملة لاستنهاض أهل الفكر لإيجـاد السـبل التـي تعـزز ثقافتنـا العربيـة الإسـلامية وتأخذ بإيجابيات العولمة وتدحض سلبياتها بالحجة المقنعة، ورغم عنفوان العولمة إلا أنهـا تحمل بذور فنائها وتفككها وفشلها على المدى الطويل، لأن هذه هي سـنة الحيـاة حيـث أن دوام الحال من المحال.

ومن خلال ما سبق يظهر لنا مفهوم العولمة كمفهوم مخالف لكـل المفـاهيم التـي سقناها آنفاً، وبالتالي فإن مصطلح العولمة هو مصطلح جديد في دنيا المعرفـة قـد يتقـارب مفهومه مع المفاهيم الأخرى، ولكن أوجه الاختلاف والتباعد واضحة في كل ثنايا ما يرمـي إليه هذا المفهوم، فهي ليست العالمية ولا التـدويل ولا العلمانيـة ولا العلمنـة، وإنمـا هـي العولمة واضحة المعنى محددة الجوانب.

ثانياً: النشأة التاريخية للعولمة:

مما لا شك فيه أن لكل ظاهرة من الظواهر التـي تنتـاب المجتمعـات ظروفـاً وأسباباً تهيأت حتى برزت إلى حيز الوجـود، ولمـا كانـت ظـاهرة العولمـة محكومـة

مثل الظواهر الأخرى لمثل هذه الظروف والأسباب، فلابد والحالة هذه من التعرف على تلك الظروف والأسباب التي دفعتها عبر مسيرة الزمن التاريخية لتصبح حقيقة وواقع تشغل فكر المهتمين بدراسة مثل هذه الظواهر سعياً منهم للوقوف على حقيقتها ومراميها (ياسين، 2001: 29)، حيث أن الباحثين اختلفوا فيما بينهم في وضع تاريخ محدد للعولمة فذهب البعض إلى أن: " للعولمة تاريخاً قديماً، وبالتالي ليست نتاج العقود الماضية التي ازدهر فيها مفهوم العولمة وذاع وانتشر، في حين نجد البعض قام بوضع مراحل لهذه الظاهرة وحددت بخمس مراحل وعلى النحو التالي (شماس، 1999: 104-105):

مرحلة الجينية: إن هذا المرحلة تمتد من بداية القرن الخامس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الثامن عشر، حيث نمت المجتمعات القومية، وحطمت بعض القيود التي كانت سائدة في العصور الوسطى وتعمقت الأفكار الخاصة بالفرد والإنسانية.

مرحلة النشوء: التي استمرت في أوروبا من منتصف القرن الثامن عشر حتى سنة 1870م، حيث أخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية، ونشوء مفهوم أكثر تحديداً للإنسانية وزيادة الاتفاقات الدولية، وبدء الاهتمام بموضوع القومية والعالمية.

مرحلة الانطلاق: التي استمرت من عام 1870م وحتى العشرينات من القرن العشرين، وفيها ظهرت مفاهيم كونية واضحة تركز على المجتمع العالمي الواحد، وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالإنسانية ومحاولة تطبيقها، وتمت المنافسات الكونية مثل الألعاب الأولمبية وجوائز نوبل.

مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: استمرت من العشرينات وحتى منتصف الستينات، وفي هذه المرحلة نشأت صراعات كونية من أجل الهيمنة العالمية

والكونية بما فيها المنافسة للوصول إلى القمر، والتهديد بالفناء النووي الجماعي، إلى جانب الاهتمام بحقوق الإنسان وحرياته من قبل مؤسسات المجتمع المدني على الصعيد العالمي.

مرحلة عدم اليقين: والتـي بـدأت منـذ السـتينات وأدت إلى اتجاهـات وأزمـات في التسعينات، وقد تـم إدمـاج العـالم الثالـث في المجتمـع العـالمي، وانتهـت الحـرب البـاردة وزادت المؤسسات الكونية والحركات العالمية، وزاد الاهتمام بالمجتمع المدني العـالمي وتـم تدعيم نظام الإعلام الكوني، وهذه المرحلة بالطبع قد ازدادت وخصوصاً مع انهيار الاتحـاد السوفييتي (سلامة، 1999: 8).

وفي نفس الاتجاه سار باحث آخر، وأشار إلى موجات خمس أدت إلى انتشـار العولمـة، وقد حددت هذه الموجات ظهور الجديـد في دنيـا الوجـود، ففـي الأولى انـتشرت الأديـان وقامت المـدنيات العـابرة للقـارات، وأمـا الثانيـة قامـت العـوالم الجديـدة في الأمـريكيتين وسيطرة الإمبراطورية الأوروبية عـلى العـالم، في حـين اتسـمت الموجـة الثالثـة بالصراعـات داخل أوروبا وانتقلت منها للعالم كافـة، وأمـا الرابعـة بلغـت بهـا الـدول الأوروبيـة ذروة الاستعمار الأوروبي، والموجة الخامسة للعولمة بدأت منذ الحرب العالمية الثانيـة ومـا أعقبهـا مباشرةً من ظهور الأمم المتحدة وتنظيماتها وصدور إعلان حقوق الإنسـان، وظهـور صراعـات ذات طابع أيدلوجي أكثر وضوحاً مما سبقه مـن حـروب، وأمـا الموجـة السادسـة والأخـيرة للعولمة فهي ما يحدث في العالم اليوم من أحداث وتطورات (عبدالحافظ، 2005: 17).

هذه خلاصة لرأيين ينظران لظاهرة العولمة المعروفة حالياً على أنهـا مجـرد الحلقـة الأخيرة من سلسلة سابقة ممتدة في التاريخ الإنساني، في حين أننا نـرى أن جميـع المراحـل والموجات ما هي إلا صفحات من تاريخ البشرية تتأتى نتيجة التطورات، وتتحول وتتمحور تبعاً للظروف التي تهب على دنيا البشر، إن هذا يقودنـا إلى سـؤال هـام فحـواه: مـا هـي الاتجاهات التي تحملها العولمة للبشرية ؟! وهذا ما سنتعرف عليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني

الاتجاهات الثقافية للعولمة

العولمة ظاهرة شاملة مركبة لها أشكالها المتعددة الاقتصادية والسياسية والثقافية، ورغم أن العولمة ظاهرة قديمة وليست حديثة، غير أن هيمنة القطبية الأحادية الأمريكية على العلاقات الدولية، قد جعلت منها ظاهرة عالمية مرتبطة بالتصورات الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الأمريكية، ارتباطاً لا ينفك عنه، ولهذا فإن الأشكال العولمية الواضحة في الوقت الحاضر، لا تنفصل عن الأهداف الأمريكية على المستوى الاستراتيجي الكوني في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وسنتناول الاتجاهات الثقافية للعولمة في هذا المطلب وفي فقرتين هما:

- أولاً: الاتجاه التسييسي للثقافات.
- ثانياً: الاتجاه الصراعي للثقافات.

أولاً: الاتجاه التسييسي للثقافات:

إن للعولمة عدة ثقافات وهذه الثقافات متعددة ومتنوعة، إلا أنه يمكن الإشارة إلى ثلاث ثقافات رئيسة وهي: الثقافة الاقتصادية والثقافة السياسية والثقافة الاجتماعية، حيث تعمل العولمة الثقافية على تسييسها بمعنى إعطائها طابع سياسي خدمةً للجهات الدافعة نحو العولمة الثقافية وسوف نستعرض أهمها على النحو التالي:

1. **ثقافة العولمة الاقتصادية:** وتعني التحول نحو اقتصاد السوق، ومنع الدولة من التدخل في النشاطات الاقتصادية إلا بالقدر الذي تسمح به الجهات التي توجه الثقافة الاقتصادية وتسوقها، ورفع الحواجز والحدود من أمام حركة انتقال رأس المال، وتحرير التجارة العالمية وإزالة القيود المركبة عليها وغيرها من مفاهيم وآليات النظام الرأسمالي، وتعتبر الشركات المتعددة الجنسيات من أهم

مؤسسات الرأسمالية العالمية، إلى جانب المؤسسات المالية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، التي ترعى هذا الاتجاه وتدعم التحول العالمي عن طريق فرض شروط المساعدات، وبالتالي فإن الخطاب الصادر عن المؤسسات المالية والاقتصادية الغربية العملاقة الدافعة باتجاه العولمة الاقتصادية، يعمل على محور يحاول من خلاله تثبيت قناعات لدى العامة بأن أقصر الطرق للوصول إلى أقصى درجات النجاح في الأداء الاقتصادي يمر عبر الفراغ الذي ينجم عن تهميش أحكام السوق المحلية، وبالتالي لا بد من تبني هذا الخطاب الذي من مهامه دعوة العالم العربي إلى التخلي عن خصوصية مجتمعاتهم العربية ذات الطابع الاقتصادي، واستبدالها بأنماط اقتصادية غربية خالصة، لكونها الوسيلة الوحيدة لتأخذ هذه المجتمعات طريقها إلى الرقي وتحقيق التقدم الاقتصادي والرفاه الاجتماعي الذي تنشده، حيث أن هذه الأنماط كما يقدمها الغرب على اعتبارها هي التي مكنت الغرب من الوصول إلى ما وصل إليه من تقدم وازدهار، لقد تمكن خطاب العولمة الاقتصادي المسموم من اقتياد المؤسسات الدولية لتسويق بضاعتها لدى الشعوب الخاضعة لمديونية البنوك وصناديق النقد الدولية (مقداد، 2002: 127).

وقد تولد عن الخطاب الاقتصادي العولمي سياسيات اقتصادية انفتاحية، وذلك بعد انخداع الدول العربية بذلك الخطاب وأخذه على محمل الجد، حيث تجاوزت المبادلات العالمية (منتوجات وخدمات) ما مقداره (6000) مليار دولار خلال سنة 1996م، علماً أن الولايات المتحدة الأمريكية أكثر بلدان العالم انتفاعاً بهذا الازدهار، لكونها تسيطر على التجارة الدولية، حيث أن نسبة البطالة بها عرفت آنذاك تراجعاً، لذلك كانت الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة من أكبر المشجعين على إدماج بلدان العالم في إطار مشروع العولمة (الهنتاتي، 1999: 226)، إن الرأسمالية تعتمد على أربعة مبادئ لتسود

ثقافتها الاقتصادية عموم الأرض، وهذه المبادئ تتلخص ب: إطلاق العنان للحرية الاقتصادية، وتفعيل قانون العرض والطلب لضبط الأسعار وتحديد أجور العمال، وتفعيل قانوني الربح الرأسمالي وقانون المنافسة الحرة، هذه المبادئ كانت فاعلة على مستوى الأسواق الوطنية، أصبحت اليوم مع العولمة الاقتصادية ذات فاعلية على مستوى الأسواق الدولية، وقد رافق هذا توسع تنامي القطاع الفني الخدمات والتجارة (مارتين، شومان، 1998: 112)، إن التوجه الثقافي الاقتصادي العولمي يعني الكثير في واحدة منها طغيان الثقافات والأنماط الاستهلاكية الغربية وامتدادها إلى عالم لم تعرفه من قبل إلا وهو العالم الآخر غير الغربي، ومن أجل تحقيق كل ذلك فقد قامت الشركات المتعددة الجنسية والتي معظمها أمريكية الأصل إلى عقد تحالفات مع بعضها البعض، أو الاندماج فيما بينها لتحقيق أعلى قدراً من الربحية على حساب دول العالم الأخرى، وإن ما يعنيه هذا هو أن العولمة الاقتصادية هي أحادية الجانب ومبنيه على الاستغلال والإكراه المفضوح والعنف، وما التدخل العسكري في العراق إلا دليل على هذا، فالعولمة الاقتصادية باتت تقابل أعلى مراحل تطور الرأسمالية الجديدة القائمة على الأداة العسكرية في تحقيق ذلك التطور.

إن ما سبق يمكننا من القول أن العولمة الاقتصادية ما هي إلا وسيلة ربحية للمؤسسات الاقتصادية الغربية، وما ينتظره العالم من خير من هذا الاتجاه العولمي ما هو إلا سراب في صحراء يظنه العطشان ماء، كلما اقترب منه ابتعد، وبالتالي لابد من التحسب وأخذ الاحتياط عند كل خطوة يدعو العالم إلى تخطيها نحو اقتصاد السوق العولمي .

2. **ثقافة العولمة السياسية:** وتعني نشر وتعميم ثقافة المفاهيم الديمقراطية الليبرالية، وما يتبعه من رفض وإنهاء السلطوية والشمولية في الحكم، وتبني التعددية السياسية، والالتزام بحقوق الإنسان في العالم، وحماية الأقليات،

والتدخل الدولي الإنساني وغيرها، من آليات نادى بها ما يعرف بالنظام الدولي الجديد.

هذا النظام الذي اتخذ من نشر ثقافة الديمقراطية في العالم شعار له، حيث استند الغرب الداعي للعولمة إلى مواثيق دولية وخصوصاً تلك التي نبعت من هيئة الأمم المتحدة، ونشير بذلك إلى ميثاق حقوق الإنسان المعلن عام 1948 م، فالغرب في اعتقادنا منفلت من كل قواعد ضابطة، إلا تلك القواعد التي لابد للآخر السير عليها كيف ما يشاء، فإذا ما عدنا إلى الديمقراطية كمنهج سياسي، يرى الغرب ضرورة إعطاء الحرية والعمل على المساواة وإقامة ميزان العدل في الجانب الآخر غير الغربي، وعلى الرغم أن جوهر الديمقراطية الغربية لا تراعي في الغرب نفسه، فعلى سبيل المثال من مضامين الثقافة الديمقراطية احترام آدمية الإنسان (مشاقبة، 2006: 286)، والسؤال: هل الغرب احترم هذه الآدمية عند احتلاله العراق؟ ونشير بذلك إلى سجناء سجن أبي غريب، ومنها أيضاً احترام الحريات الأساسية العامة، والسؤال: لماذا الغرب يعتبر الرأي الآخر موجه ضد الغرب، وصاحب ذاك الرأي الذي يخالف الغرب هو إرهابي والسؤال: لماذا عادى الغرب حركة حماس وهي التي جاءت للحكم نتيجة قناعة معظم الفلسطينيين بها وجاءت عن طريق انتخاب ديمقراطي حر ؟!.

إن الأبعاد السياسية لثقافة العولمة تشير إلى تكثيف وتوسيع العلاقات السياسية عبر العالم، وهذه العملية ينشأ عنها مجموعة هامة من القضايا السياسية تتصل بمبدأ سيادة الدولة، وبالتأثير المتزايد للمنظمات غير الحكومية وبمستقبل إدارة الحكم الإقليمي والعالمي ، ومن الواضح أن هذه الأفكار تستجيب لتطور الترتيبات السياسية إلى ما وراء إطار الدولة القومية، وبذلك فهي تؤسس مرتكزات ثقافية ذات أبعاد سياسية جديدة (محسن، 2008: 57-58)، إن شعور الناس في الغرب بالتفوق القومي على الأمم الأخرى هيأ الطاقات النفسية

المطلوبة للدخول في دورة واسعة من الحروب تماماً، كما فعلت الدولة الحديثة بما لديها من طاقات إنتاجية هائلة، وفرت الوسائل المادية الضرورية للقيام بهذه الحروب سعياً منها إلى تشكيل ما يسمى بدولة عالمية ذات أنماط ثقافية سياسية، هي إنتاج بنات أفكار الغرب المتفوق قومياً، ونخص بذلك الولايات المتحدة التي هي أكبر دليل على ما ذهبنا إليه، وخاصة بعد أن أخذت تسعى إلى قيام " إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية "، وهذا ما يبرر حربها في كل بقاع العالم من أفغانستان شرقاً والسودان غرباً مروراً باحتلال العراق، إن الولايات المتحدة راعية الثقافة السياسية للعولمة تحمل في كل عمل تقوم به من مبررات في مقدمتها نشر الديمقراطية في العالم ووضع ميزان العدالة وتكافؤ الفرص لأبناء المعمورة، ومحاربة كل سلطة ديكتاتورية لإحلال البديل عنها السلطة الديمقراطية، وفقاً للمنطق والرؤيا السياسية الأمريكية والتي تحذف وجود الآخر إلا بالقدر الذي يخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، إن مظاهر الثقافة السياسية التي تحملها ثقافة العولمة تتجلى والحالة هذه في إضعاف سلطة الدولة الوطنية، ومحاولة فرض نظام سياسي معين على العالم وفق رؤية راعية الثقافة السياسية العولمية، ومحاولة إحلال سياسات معينة على العالم (عبد الحافظ، 2005: 52-55)، وهذا في اعتقادنا يصب في مصلحة الغرب وبقدر هذه المصلحة،هي بلا شك مثالب وسلبيات في ميزان الطرف الآخر.

من خلال ما سبق نرى بأن العولمة السياسية، ما هي إلا السبيل الذي يربط الغرب بالعالم وخاصة المنطقة العربية والإسلامية للسير عليها وفق منهج يجعل من المنطقة منطقة نفوذ تجعل من أهلها دُمى تتشكل وفق مشيئة الغربي وإرادته ، في حين لا نجد من الغرب الطامع إلا تصدير ما يجعله في حالة هيمنة وسيطرة على المنطقة العربية الإسلامية، وعلى سبيل الافتراض لو أن العالم العربي الإسلامي سلك درب الديمقراطية لحال الغرب بينه وبين هذا السلوك،

لأن الديمقراطية في منظور الغرب ديمقراطيين، الأولى الديمقراطية الحقة أو المثالية، وهذه غير مقبول تطبيقها في العالم لكونها ليست في صالح الغرب الطامع، والديمقراطية المزيفة وهي حسب المقاس الغربي عامة والأمريكي بخاصة، وهذه الديمقراطية المصرح بتطبيقها لأنها في صالح الغرب ورؤيته السياسية لحال المنطقة العربية والإسلامية، فالعولمة السياسية في هذا الاتجاه ما هي إلا فوضى في حد ذاتها، وهذه تتفق مع ما نادى به الغرب من نشر ما عرف باسم " الفوضى الخلاقة " التي تتجه لتصب في كفة الغرب المنادي بالعولمة.

3. **ثقافة العولمة الاجتماعية:** أصبحت المرأة والأسرة محورين أساسين من محاور التجمعات والفعاليات الاجتماعية في العالم، ولدى كثير من المنظمات والجمعيات الحكومية وغير الحكومية التي ترفع لواء ورداء الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، كما أصبح الشغل الشاغل لتلك التجمعات والمنظمات السعي لعولمة الحضارة غير الغربية ممثلة في الحياة الاجتماعية لتلك الدول غير الغربية وقد ذهب الغربيون إلى استخدام الوسائل لتحقيق ذلك مستعينين بالقوة وأهم الوسائل مثل: وسيلة الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية، وهذا الأمر معلوم للجميع ومشاهد على أرض الواقع، وأما الوسيلة الأخرى فهي الاستعانة بمؤسسات الهيمنة الدولية وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وأهم أجهزة الأمم المتحدة المعنية بالمرأة مثل: لجنة مركز المرأة التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وصندوق الأمم المتحدة للسكان وصندوق الأمم المتحدة لإنماء المرأة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمعهد الدولي للتدريب من أجل المرأة ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة... إلخ، هذا وعقدت عدة مؤتمرات برعاية الأمم المتحدة وكانت أهم ما ترنو إليه في مجال الثقافة الاجتماعية ما يلي (عبد الكريم، 2003: 34- 35):

- الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل.

- الدعوة إلى تحديد النسل وتخفيض المرأة لمستوى خصوبتها.
- إشراك الأب في الأعباء المنزلية،وإشراك المرأة في المسؤولية عن الأسرة.
- الدعوة إلى التثقيف الجنسي للمراهقين والمراهقات.
- الإقرار بالعلاقة الجنسية خارج نطاق الأسرة.
- تشجيع ثقافة الاختلاط بين الشباب والشابات.
- سلب قوامة الرجل على النساء وسلب ولاية الآباء على الأبناء.
- إنهاء تبعية المرأة والبنت من الناحية الاجتماعية.

إن هذه الثقافة مما لا شك فيه تعني هجر الثقافة الأخرى للدول ما دامت تتعارض والثقافة الاجتماعية للغرب، والتي يعمل الغرب باتجاه تصديرها لكل أنحاء العالم، وبهذا يعني التوقف عن الأخذ بثقافتنا العربية الإسلامية، كأبناء منطقة فطرت على التزود العلمي من معين هذه الثقافة، إن الأخذ بثقافة الغرب الاجتماعية لها من الآثار السلبية الكثير الكثير، ومن هذه الآثار ما يلي (عبدالحافظ، 2005: 56-67):

1. **الترويج للنمط الغربي من أساليب الحياة والسلوك:** إن افتتان المغلوب بمسلك وأسلوب حياة الغالب، وهي سنة من سنن البشر لما يقوله العلامة ابن خلدون: (أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده) (ابن خلدون، 1993: 116)، أضف إلى أن أسطورة وسائل الإعلام وتأثيرها البالغ على سلوك الأفراد بما تملكه من جديد يؤدي إلى فرض نمط الحياة الاجتماعية الغربية على المجتمعات الأخرى غير العربية، وهذه تعكس واقع اجتماعي جديد، يحمل مضامين هدامة منافية لقيم وعقائد وأحلام الكثير من المجتمعات، كما تكرس الفردية الزائدة والتي يغيب عندها روح التكافل الاجتماعي، وتضع لبنة جديدة في تربية النشء والترفيه، المعتمدة على البطولة الخارقة المتجسدة في نماذج من طراز سوبرمان ورميو.... إلخ (يكن، طنبور، 2000: 44).

2. **تعميق التفاوت الاجتماعي**، إن هذا التعميق من شأنه إيجاد شرخ بين فئات المجتمع الواحد، بحيث يلاحظ أن هناك نموا طبيعيا لهذا الشرخ للطبيعة في ذلك المجتمع وهذا يسهل للغرب الطامع في النيل من الأمة بالتسلل من خلال الشرخ لضرب قيم المجتمع التي هي عنوان العلاقة التشاركية بين كل أفراد ذلك المجتمع، فمن الملاحظ أن ظروف العولمة للشركات الأجنبية، وهي تسعى لإقامة استثمارات فلا نتوقع الكثير منها لتحقيق الرخاء وتحسين أحوال معيشة العمال، فتلك الشركات تسعى إلى استغلال الظروف والفقر، فهي لا تمنح العمال إلا الحد الأدنى للأجر، بمعنى يبقى الفقير فقيراً والغني يزداد غنىً، لكون الشركات تلك تعمل على محاباة الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال (بيترمارتن وشومان، 2003: 264)، لذا قد نتوقع الخير الوفير الذي قد يتأتى من وراء هذه الشركات، إلا أن الحقيقة ما هي إلا مؤسسات تقوم على استنزاف المال والجهد من الآخرين.

3. **الحرص على تكوين هيئات عليا**، للنظر في كل مل يتعلق بالأسرة من النواحي النفسية والثقافية والصحية، وتفعيل دور وزارات الشؤون الاجتماعية للقيام بدور فاعل للاستجابة لمتطلبات الأسر العربية الإسلامية، وفق برامج معدة في دوائر صناع القرار في الدول الغربية، الأمر الذي يجعل الأسر تسير رويداً رويداً نحو الأخذ بالنموذج الغربي، وبقدر مسافة السير نحو النموذج هذا، تكون مسافة البعد عن النموذج العربي الإسلامي الأصيل

إن ما سبق يفرض على العاملين في الدائرتين العربية والإسلامية عدة أمور منها: عدم ترك الساحة للغرب ليقرر ويؤطر لبرنامجها الاجتماعي،بل علينا أن نشارك مشاركة فعالة في مؤتمراته وندواته وطرح البديل العربي الإسلامي النابع من روح الثقافة العربية الإسلامية، وكشف عورات الحياة الغربية الاجتماعية كلما أمكن، وعدم الوقوف عند الحجة القائلة أن الضعيف إذا قاطع مثل هذه المؤتمرات والندوات لا تؤثر مقاطعته، وبذلك تسود وجهة نظر القوي، بينما إذا قاطع القوي فإن مقاطعته ستؤثر بلا محالة.

إن الثقافة الاجتماعية للعولمة والحالة هذه تقوم على استبدال نموذج مكان آخر، وهذا النموذج الوافد لابد من التعرف على مساوئه ومقاومتها، ونتعرف على إيجابيته وتعمل على الاستفادة منها، وتضخيمها بالقدر الذي تتحقق به مصالح مجتمعاتنا العربية الإسلامية.

ثانياً: الاتجاه الصراعي للثقافات :

إن الصراع من هذا النوع لا يبتعد عن مفهوم صراع الحضارات الذي ذاع وانتشر بين أوساط المفكرين، والعولمة وما تحمله ما هو إلا صراع بين ما هو محلي وآخر قادم عبر الحدود من بلاد المنادين بالعولمة، فاكتساح اللغات الأخرى لصالح لغة العولمة يمر من خلال بوابة الصراع ولكن من نوع آخر وسنركز على اللغة لكون التغيير والتبديل في ماهيتها تغيير وتبديل بالثقافة التي كانت مادتها، وفي هذا التوجه نجد لونين من اللغات لغات تندثر لصالح غيرها ولغات بها من الخصائص ما يبرر صمودها وفي هذه الفقرة سنتناولهما على النحو التالي:

1. **اتجاه السيادة والاندثار:** إن عدد اللغات في العالم لا يمكن حصره، لكونها تتفاوت بين لغات واسعة الانتشار وأخرى تستخدم على نطاق ضيق، لا تستخدم إلا بين أفراد القبيلة الواحدة في زاوية قد تكون منسية في بقعة ما من بقاع الأرض، وإن ما يطرأ من تغييرات ثقافية يصاحبه بلا شك تغييرات في اللغة، فاللغة والحالة هذه هي الجانب المهم من عولمة الثقافة التي يحتدم اليوم فيها الصراع، وهذه العولمة تدعو إلى بناء ثقافة كونية ذات عناصر عالمية مشتركة تتضمن نسقاً معيناً من القيم والمعايير، إن عولمة الثقافة تدعو إلى إيجاد ثقافة واحدة في لغة واحدة تسيطر وتسود وتهيمن على الثقافات الأخرى وذلك عن طريق نشر مضامينها وأساليب تفكيرها بل أساليب التعبير والذوق وأنماط السلوك والقيم والتقاليد والأعراف، والنظر إلى الحياة والوجود في محاولة منها للحلول محل الثقافات الأخرى، ومن ثم الحلول محل اللغات الأخرى (بدوي،

2001: 70)، وخصوصاً ونحن نرى أن هناك أكثر من لغة من لغات العالم لم تصمد أمام تحديات اللغات الأخرى، سواء أكانت هذه اللغات أو اللهجات داخل الأمة المعنية أو من خارجها، فكم من اللغات الهندية أو الصينية سادت على حساب غيرها من اللغات داخل الرقعة الجغرافية الهندية أو الصين، وكم من اللغات المحلية قد اندثرت بعد أن كانت لغات كاملة الحقوق، فاكتسحتها لغات أخرى، وتشير الإحصاءات إلى انحسار نطاق عدد قليل من اللغات بل اندثارها، فهناك أكثر من (234) لغة أصلية معاصرة قد اختفت، وأن (90%) من اللغات المحلية ستختفي في القرن الحادي والعشرين، والخطير في الأمر أن (32%) من هذه اللغات المحلية موجودة في قارة آسيا، وأن (30%) منها في أفريقيا، و (19%) في منطقة المحيط الهادي، و (15%) في القارة الأمريكية و (3%) فقط في أوروبا (نهر، 2008: 6)، هذا وتشير الإحصاءات الدولية إلى أن في غينيا الجديدة حوالي (847) لغة محلية، وفي إندونيسيا (655) لغة، وفي نيجيريا (376) لغة وفي الهند (309) لغة، وفي أستراليا (261) لغة، وفي المكسيك (230) لغة، وفي الكاميرون (201) لغة، وفي البرازيل(185) لغة، وفي الكونغو الديمقراطية (158) لغة، وفي الفلبين (153) لغة، وأكثر هذه اللغات مهددة بالزوال والاندثار (نهر، 2008: 7-8)، أضف إلى جانب اندثار وزوال بعض اللغات المشار إليها، هناك هبوط في عدد المتحدثين باللغات التي لها شأن مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية، وإن هناك زيادة حدثت في القطاع المتحدث بالعربية والهندية والأندونيسية والبنغالية والصينية والإسبانية والبرتغالية، فقد هبط عدد المتحدثين بالإنجليزية من (9.8) عام 1958 إلى (7.6) عام 1992، إن الجزء المتحدث من سكان العالم باللغات الغربية الخمس الرئيسية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية والإسبانية)، قد هبط من (24.1%) عام 1967 إلى (10.8%) عام 1992 (نهر، 2008: 9)، إن وراء زوال

واندثار اللغات وهبوط عدد المتحدثين بهذه اللغة أو تلك عدة أسباب، هي (محسن، 2008: 8):

- يعود هبوط عدد اللغات في مختلف العالم إلى تعاظم قوة عوامل التنميط الثقافي.

- إن الناس ينقلون لغاتهم معهم عندما يهاجرون أو يسافرون، أسلوب المهاجرين يؤثر على انتشار اللغات.

- السياحة وتعلم اللغة الأجنبية يسهل انتشار اللغات إلى ما وراء الحدود القومية أو الثقافية

- لغة الإنترنت أصبحت وسيط عالمي للاتصالات الفورية وللوصول السريع إلى المعلومات، أن استعمال اللغة في الإنترنت يعد عاملاً حيوياً في تحليل سيطرة مختلف اللغات ضمن الاتصالات السريعة.

- النشرات العلمية الدولية تحتوي على لغات الإبداع العالمي.

وفي الوقت نفسه هبط عدد اللغات الناطقة في العالم من (14.500) لغة في عام 1500 إلى أقل من (7000) لغة في عام 2000، وبالنظر إلى درجة الهبوط الحالية في اللغات، فإن بعض علماء اللغة يتوقعون أن 50 % إلى 90% من اللغات الحالية ستختفي في نهاية القرن الواحد والعشرين، غير أن التهديد الحالي لا يقتصر على تلاشي لغات العالم، والجدول التالي يبين مقدار تناقض عدد اللغات في العالم وفق القرون الزمنية (محسن، 2008 : 81 – 84):

تناقص عدد اللغات فى العالم بين عام 1500 إلى عام 2000

بدايات القرن السادس عشر		بدايات القرن السابع عشر		بدايات القرن الثامن عشر		بداية القرن التاسع عشر		بداية القرن التاسع عشر		بداية القرن الواحد والعشرين		القارة
٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	
15	2175	15	2025	15	1800	15	1500	15	1005	12	366	الأمريكيتين
30	4350	30	4050	30	3600	30	3000	30	2011	45	1655	أفريقيا
3	435	3	405	3	360	3	300	3	201	5	140	أوروبا
33	4785	33	4455	33	3960	33	3300	33	2212	38	1044	آسيا
19	2755	19	2565	19	2280	19	1900	19	1274	3	92	المحيط الهادي
100	14500	100	13500	100	12000	100	10000	100	6703	100	2997	العالم

إن ما سبق يؤكد أن للعولمة الثقافيـة، لهـا توجهـات ذات معنـى تتعلـق باللغـات، فهناك لغات مهددة بالزوال، وأخرى يـزداد عـدد المتحـدثين بهـا، وأخـرى يتنـاقص عـددهم، وتناول اللغة العربية ها هنا، من أجل الوقوف على التحديات العولمية التي تواجـه اللغـة العربية، وهل هذه اللغة تفتقر لمقومات الصمود أمام العولمة الثقافية ؟ وخصوصاً ونحن نقرأ تعليق المستشرق الألماني المعروف " كارل بروكلمان " 1933 عـلى دور الإسـلام في نشر اللغة العربية حيث قال: (بفضل القرآن، بلغت اللغة العربية مـن الاتسـاع مـدىً لا تكـاد تعرفه أي لغة أخرى، من لغات العالم فالمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها هي اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم، ولهذا اكتسبت العربية منذ زمـن طويـل مكانه رفيعة فاقت اللغات الأخرى التي تنطق بها الشعوب الإسلامية) (بن الحـاج، 1990: 259) وإن اللغـة العربيـة اليـوم تواجـه تحـديات تتـأتى مـن المنـادين بالعولمـة، وهـذه التحديات بلا شك لها آثار ستترك بصماتها على ألسنة الناطقين بالعربية.

2. اتجاه التحدي والصـمود: إن اللغـة العربيـة لهـا مـن المـؤهلات التـي بإمكانهـا تحدي كل ما يراد بها، وهذا يشكل حلقة من حلقات صمود هذه اللغة في كـل المجـالات، على الرغم من هذا فإن اللغة العربية في اعتقادنا سـتواجه تلـك التحـديات لمـا فيهـا مـن الخصائص التي لا توجد في غيرها من اللغات، ولا بد من استعراض الخصائص العامة التـي تشكل علامة فارقة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات، وخاصـة الإنجليزيـة التـي تعتـبر اللغة المرشحة والوحيدة التـي تـدفع قـوى العولمـة إلى تعميمهـا، بالإضـافة إلى ذلـك فهـذه الخصائص تبرز صورة من صور صمود وتحدي اللغة العربية لغيرهـا مـن اللغـات الأخـرى، فاللغة العربية ليست كما يشاع أنها صعبة بل إن اللغة العربية أقل صعوبة وأقل تعقيـداً من بعض اللغـات الأوروبيـة كالألمانيـة عـلى سـبيل المثـال، ويقولـون أن الشـاذ فيهـا مـن غـير القيـاسي كثـير، والشـذوذ في صـيغ الأفعـال وفي صـيغ الجمـع والتأنيـث وفي المصـادر

يملأ اللغات الأوروبية كلها، والشواهد لا تحصى، والكتابة في اللغة العربية ميسرة، وأهم خصائص اللغة العربية مقارنةً بغيرها من اللغات هي (حسين، 1986: 366):

1) أن مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة في اللغة العربية أوضح منها في اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، لغتا الاستدمار الذي غزا الوطن العربي، وعمل على ترسيخ قواعد لغته على حساب اللغة العربية لغة أهل البلاد الأصلية، فالفرنسي يسقط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان، والإنجليزي يفعل ذلك في مثل حرفي (H) و (O) في كلمة (Honour)، وحرفي (gh) في كلمة (Right)، وفي كلمة (through)، في حين لم نجد هناك من السقط للحروف العربية في النطق والكتابة.

2) عدم تمييز بعض صور الكتابة باللغة الإنجليزية عن بعضها البعض، في حين أن هذا الأمر ليس له وجود باللغة العربية، فمثلاً الإنجليزي يكتب الصوت الواحد في ست صور أحياناً مثل (الياء) التي تصوّر الكسرة الطويلة في مثل (كبير)، إن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست صور متعددة، لا يميز إحداها عن الأخرى في المنطق والقواعد وهي (y-e و e-e و ie و ea و ee)، بينما لا يكتب باللغة العربية إلا (ياء).

3) الحروف بالعربية تكتب على نفس الصورة على خلاف الإنجليزية، فمثلاً: حرف (ك) لا يكتب بالعربية إلا (كاف)، ويكتب بالإنجليزية على عدة صور هي: (ch و q و ck و k و c)، وحرف (ف) لا يكتب بالعربية إلا على صورة (فاء)، ويكتب بالإنجليزية على صورة (ph وf و gh)، وقس على ذلك.

4) أن لكل صورة في اللغة العربية حرفاً واحداً بصورة، في حين لا نجده في اللغة الإنجليزية، فمثلاً حرف (ش) باللغة العربية يقابله باللغة الإنجليزية للدلالة حرفان (sh)، وحرف (ذ) بالعربية يقابله بالإنجليزية حرفان (th).

إن الحرف في اللغة العربية لا يقرأ إلا على صورة صوتية واحدة، وليس كالحرف الإنجليزي، فحرف (c) ينطق (س) أحياناً، وينطق (ك) حيناً آخر، وحرفان (th) ينطق (ذ) حيناً و (ث) حيناً آخر.

إننا نستنتج من خلال استعراضنا لما سبق ما يلي:

1- لغةٌ مرشحة للارتقاء لتكون اللغة العالمية الوحيدة التي لا ترتقي إلى مصافها لغة في العالم، لما تتصف به من خصائص ومميزات تنفرد بها عن غيرها، وهي خصائص وميزات العالمية.

2- إن ما يقوم به الآخر للنيل من اللغة العربية، ما هي إلا أعمال يراد منها تأخير سيادة اللغة العربية في خطاها نحو العالمة، لا لهدم اللغة العربية لكون ذلك غير ممكن، بعد أن خبر الآخر ما تتصف به وتتميز.

المبحث الثاني
الثقافة واتجاهاتها

الثقافة ذات أصل أوروبي، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية (Cultuvate) وتعني الزراعة أو الحراثة أو الاستنبات، ويقال أن أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازي هو الخطيب الروماني شيشرون عندما سمى الفلسفة فلاحة العقل أو تنميته (الهندي، 1982: 13).

إن مفهوم الثقافة اختلف باختلاف العصور، فإذا كانت قد دلت على تنمية الأرض ومحصولاتها في العصور القديمة والوسطى، فقد دلت في أوائل العصور الحديثة على تنمية العقل والذوق، وقد امتدت لتطلق على كل المكاسب العقلية والأدبية عند كل الناس، فهي الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية والدراسة المستمرة لأفكار الآخرين ومشاعرهم ونظرياتهم وتجاربهم، أي أنها أعمق من مجرد التعليم والتقويم (جمال، 1983: 14)، وأما اتجاهاتها فقد اختلفت كذلك، ففي العهد الروماني استعملت كلمة الثقافة لتشمل كل العلوم الإنسانية التي تستقل بها كل أمه عن غيرها، كعلوم الدين واللغة والأدب وخاصة تلك التي لها فلسفة معينة، واتجاه مميز، كما امتدت دلالتها إلى الفنون غير العملية وغير الطبيعية، وفي عصر النهضة أصبح لفظ الثقافة يمتد إلى مجال الأدب والفنون أيضاً (العمري، 1981: 14)، أن لكل أمة من الأمم لها خصائصها التي تنفرد بها عن غيرها في كل عصر، وثقافة كل أمة تنفرد كذلك عن غيرها من الأمم، وإن لهذه الثقافة عدة اتجاهات منها : الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهذه الاتجاهات لها مظاهرها وآثارها الخاصة بها، وإن الناظر في هذه الأبعاد، يرى بها الكثير من الممارسات التي تحمل عنوان الهمجية والسيطرة الغربية على غيرها من الدول، وخاصة تلك الواقعة تحت تأثير الغرب الطامح لسيادة العالم،

وفي هذا المبحث ونحن نتحدث عن الثقافة قبل الحديث عن العولمة نتناولها في مطلبين وعلى النحو التالي:

- المطلب الأول: الثقافة الماهية والأبعاد.
- المطلب الثاني: الثقافة واتجاهاتها المختلفة.

المطلب الأول

الثقافة الماهية والأبعاد

لقد حظيت الثقافة والخصوصية الثقافية بقدر كبير من اهتمامات أهل الفكر على مختلف مستوياتهم وتخصصاتهم الفكرية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى أهمية الثقافة وتلك الخصوصية في حياة الأفراد والشعوب والأمم، كما أننا نجد أهل الفكر يعملون باتجاهين، الأول: باتجاه تحصين الثقافات التي ينتمون إليها من أي اختراق قد تتمكن من خلالها الثقافات الأخرى الدخول إلى حصن الأمة المنيع، والمتمثل بسلامة لغتها، والثاني باتجاه نشر ثقافتهم إلى خارج الكيانات التي يعيشون في كنفها، هذا يدفعنا إلى التساؤل ماذا نعني بالثقافة ؟، وما أهميتها ؟ لتصبح الشغل الشاغل لأهل الفكر من مفكري الأمم على وجه الأرض، وللإجابة على هذين التساؤلين فلابد من التعرض لماهية الثقافة من حيث المعنى وأبعادها المختلفة في فقرتين رئيسيتين وعلى النحو التالي:

أولاً: التعريف بالثقافة.

ثانياً: أبعاد الثقافة.

أولاً: التعريف بالثقافة:

استعمل العرب مصطلح الثقافة للدلالة على معان متعددة منها: الحذق والفطنة والذكاء، ومنها سرعة التعلم والضبط، ومنها الظفر بالشيء والتغلب

عليه ومنها التقويم والتهذيب (ابـن منظـور، 1978: 20) ومـن الثقافـة تشـتق كلمـة التثقيف وتستعمل استعمالاً مادياً واسـتعمالاً معنويـا وآخـر مجازيـاً، أمـا الاسـتعمال المادي فكقول القائل: تثقيف الرماح أي تسويتها وتقويم اعوجاجها، وأمـا الاسـتعمال المعنوي للثقافة فكقولنا: تثقيف العقل أي جعله فطيناً سريع البديهـة، وأمـا المعنـى المجازي والمولود حديثاً: فتـأتي الثقافـة بمعنـى المشـاركة البارعـة في فـروع شـتى مـن المعرفة، وبلـوغ الفـرد والجماعـة مسـتوى كسـب المعلومـات، وتعنـي أيضـاً أسـلوب الإدراك الحضاري، واستساغة القيم الفكرية الإنسانية، وهي بذلك مجمـوع الصـفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح الرابطة التي تـربط سلوكه بأسلوب الحيـاة في مجتمعـه (جـمال، 1983: 14-15)، إذا كـان مـا سـبق مـن معانٍ لغوية للثقافة، فإن المعنى الاصطلاحي لهذا المصطلح أوسع من المعنى اللغـوي السابق، ومن الصعب أن يجد الإنسان تعريفاً جامعاً شـاملاً للثقافـة، وإنمـا يجـد لهـا عدة تعريفات حتى أنها فاقت من حيث العدد على (164) تعريفاً (شـاويش، 1999: 9)، والسـبب في ذلـك لأن التعـاريف تختلـف بـاختلاف المجـال الـذي يسـتعمل بـه مصـطلح الثقافـة، وبـاختلاف تخصـص واهتمامـات المُعـرف فعـالم الاجـتماع رؤيتـه للمصطلح خلاف رؤية عالم السياسة أو الاقتصاد أو الإنثروبيولـوجي، رغـم هـذا وذاك فإننا سنتناول بعضاً مـن هـذه التعريفـات فمـن أهـل الاختصـاص مـن عرفهـا بأنهـا: (مجموعـة مـن الأفكـار والمثـل والمعتقـدات والتقاليـد والعـادات والمهـارات وطـرق التفكير وأساطير وباطله وسبل الاتصال والانتقـال وطبيعـة المؤسسـات الاجتماعيـة في المجتمع الواحد) (عادي، 1994: 12)، والبعض عرفها بأنها: (مجموعة العلوم والفنـون والمعارف النظرية التي تؤخذ عن طريق الأخبـار والتلقـي والاسـتنباط والتـي تشـكل الفكر الشامل للإنسان مكتسبة الرقي والتقدم) (الهندي، 1982: 15)، وعرفها الـبعض الآخر بالقول: (أنها طريقة الحياة التي طورها النـاس في المجتمـع وفقـاً للفكـر الـذي

يدينون به، بجوانبها المعنوية كاللغة والأدب والفن والدين، أو بجوانبها المادية كالآلات والإنشاءات والأزياء والصناعات وغيرها) (الهندي، 1982: 15)، في حين نرى أن نفراً آخراً ذهب للقول عند تعريف الثقافة أنها: (الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين) (العمري، 1981: 14) وكذلك عُرفت بأنها: " ذاك المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة ما، في نظرتها إلى الكون والحياة والموت، ونظرتها للإنسان ومهامه وقدراته وحدوده " (الجابري، 1989: 30)، وعُرفت أيضاً بأنها: " ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغييرات والإبداعات والتطلعات التي تحفظ بها جماعة بشرية تتميز بها عن الأخرى " (الأسد، 1999: 39)، والثقافة بمفهومها الحضاري وتأثيرها الاجتماعي تمنح الأمة طابعها المميز في فهمها لطبيعة الحياة والتزامات الإنسان، وتحديد مركزه في مجتمعه، ومعرفة علاقته بمواطنيه وبالناس خارج الوطن، وكيفية تفاعله مع القوى والعناصر الإنسانية والكونية، وهي بذلك ما هي - الثقافة - إلا ما تعكسه من حضارة معينة تضم ثمرات الفكر من علم وفن وقانون وأخلاق، الأمر الذي يجعل الثقافة نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة (جمال، 1983: 14) لذا باتت الثقافة والحالة هذه الصبغة التي تميز مجتمع ما عن المجتمعات الأخرى من حيث الاعتبارات: القيمية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بحيث تصبح تلك الصبغة الهوية الخصوصية لذلك المجتمع، لا يشاركه بها غيره من المجتمعات.

ومن خلال ما سبق فإننا نرى بالثقافة ما هي إلا: (الإطار الحقيقي المعبر عن مقومات أي أمة من الأمم بتفاعلاتها في الماضي والحاضر من حيث: دين تلك الأمة ومعتقداتها ولغتها وتاريخها وحضارتها وقيمها وأهدافها بصورة واعية وهادفة)، وبالتالي فإنه يمكننا الوصول إلى عدة استنتاجات من خلال العرض السابق والمتعلق بمفهوم مصطلح الثقافة وهذه الاستنتاجات هي:

- أن ثقافة أي أمة من الأمم أعم وأشمل من حضارتها ومدنيتها، حيث أن الثقافة أوسع مفهوماً وأشمل تعبيراً عن الواقع الحقيقي لأي أمة.

- أن الحضارة ما هي إلا إحدى وجوه الثقافة كما أن المدنية تمثل الجانب الآخر، فإذا كانت الحضارة تمثل الجانب الفكري والمعنوي من الثقافة، كانت المدنية تمثل الجانب المادي فكلا الجانبين ما هما إلا الثقافة بعينها.

وأما الثقافة العربية ونحن نبتعد عن تفاصيل الفرق ما بين الحضارة والمدنية والثقافة، وعلاقة كل من هذه المصطلحات مع بعضها البعض، فإننا سنعمل على إيراد بعض المفاهيم الأساسية التي يوردها الباحثون وهم يتحدثون عن الإيحاءات الأولية لمفهوم كلمة "ثقافة " في الاستخدام العربي، ومن هذه الإيحاءات أو التعريفات الجامعة:

- الثقافة هي السر الكامن وراء كل ما نمارسه من سياسات وممارسات.

- الثقافة هي ما يبقى في الذهن بعد نسيان كل شيء.

ومن هذا المنطلق فإن الثقافة يمكن أن ينظر إليها باعتبارها تراثاً قديماً لتشمل كل المأثورات والكتب والمخطوطات والوثائق والمتاحف والتراث الشعبي وطراز العمارة، أو باعتبارها إيداعاً لتشمل الأدب بألوانه المختلفة والمسرح والسينما والفنون التشكيلية والموسيقى بأنواعها، أو باعتبارها تشمل اللغة بدرجاتها المختلفة، أو باعتبارها عادات وتقاليد تتميز بها كل لغة على سواها.

ومما يجدر ذكره إذا كان ما سبق تعلق بمفهوم الثقافة عامة، فلابد من الإشارة إلى أن الأمة العربية لها ثقافتها الخاصة بها، وعند الحديث عن الثقافة العربية فهو ذات الحديث عن الثقافة الإسلامية، إذ ليس للعرب قبل الإسلام ثقافة أو حضارة بالمفهوم العلمي الحديث، ولا مفخرة لهم إلا بالأمجاد الحضارية والعلمية والقانونية التي اقترنت برسالة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ، وهذا ما

يدل علبه تجارب الحضارة الإنسانية خلال عصورها الغابرة والحاضرة، ونجاح الإنسان، وأن التقدم العلمي والتفوق التكنولوجي، أثبت أن (العلـم) وحـده لا يكفـي لإسـعاد الإنسـان وترشيد سلوكه وطمأنينة روحه وسكينة نفسه، بل لابد مـع العلـم كثقافـة شـاملة تسـخر لخدمة البشرية جمعاء، تلكم الثقافة العربية الإسلامية التي تعتبر وسيلة السعادة وسـبيل الارتقاء بالبشرية لكون الإسلام جاء للناس كافة، وهـذا يعنـي أن الثقافـة العربيـة جـاءت لتسعد إنسان هذا العصر، وإنسـان العصـور اللاحقـة،لكون مصـادرها نابعـة مـن الإسـلام الصالح لكل زمان ومكان، ولا نحتاج إلى التدليل على أن تقـدم الفكـر الإنسـاني في ميـادين العلم، وما أحدثه من صناعات واختراعات واكتشافات ومنافع، كان تحقيقاً لوعود القـرآن الكـريم الصـوادق وأخبـاره الصـحاح، وإن الثقافـة العربيـة والإسـلامية بمصـدريها القـرآن والسنة، قدمت للإنسانية مبادئ الحق والعدل والحرية والإخاء والمساواة في نماذج بشريـة واقعية لا زالت صفحات التاريخ تتحدث عنهم (جمال، 1983: 31).

وأما أهمية الثقافة فلها أهمية كبيرة في حياة الأمم والشـعوب عـلى مـر العصـور، فأهمية الثقافة تتأتى من كونهـا الضـابط لشخصـية الأمـة وتحـدد سـلوكها وهويتهـا التـي تعرف بها بين الأمم، إذ أن شخصية الأمة غالبـاً مـا تنبـع مـن ثقافتهـا التـي ترتكـز عليهـا، فكل أمة تسعى سعياً حثيثاً لأن تكون ثقافتها واضحة المعالم ذات الصيت الـذائع، وتتخـذ لذلك كل الأسباب والوسائل والأساليب، فتؤلف الكتب والنشرات وتعقد المؤتمرات وترسـل المبعوثين وتستقطب العلماء، وتبني دور العلم على اختلاف مستوياتها وتنوع تخصصـاتها في البلاد الأخـرى، سـعياً منهـا لـنشر ثقافتهـا في تلـك الـبلاد، لـذلك لا غنـى لأي أمـة مـن الأمم عن القيام بتفرد ثقافتها على غيرها من ثقافات الأمم، للوصول إلى درجة عاليـة مـن التفوق الثقافي، وإذا ما تمت المقارنة الرقمية للدلالـة عـلى هـذا الاهـتمام الـذي تهـتم بـه

الأمم بثقافتها، نجد على شبكة الإنترنت حسب إحصائيات عالمية، أن عدد المشتركين في العالم الآن (215) مليون مشترك في الإنترنت منهم (57.4%) من أبناء اللغة الإنجليزية و(26.4%) من أبناء اللغات الأوروبية الأخرى، و(16.2%) من أبناء اللغات الأخرى، أما حضور المشتركين العرب فهو (0.004%) مع العلم بأن حضورهم في معظمه باللغة الإنجليزية (المشيخي، 1999: 29).

إن هذا التنافس يبين بصورة جلية أهمية الثقافة لدى الأمم والشعوب، حتى أن أهل الاختصاص ذهبوا إلى اعتبارها معبرة عن هوية الأمة، فالأمة أي أمة تعرف بثقافتها والتي هي عنوان هويتها والهوية ما هي إلا شخصية الأمة القومية التي تتميز بها عن غيرها، وعلى هذا الأساس فإن المقصود بالهوية الثقافية: ما هي إلا ذلك النموذج الثقافي المكتسب والموروث النابع من الثوابت والمتغيرات التاريخية والطبيعية والبشرية التي تتميز بالثبات النسبي، لكن في الوقت نفسه تتميز بالتغيير والتطور عبر العصور والقرون، وإن كان تغييراً تدريجياً يأتي على شكل متغيرات ضئيلة وليس بالتغيرات الجذرية الحادة، وتنطوي أهمية الثقافة على العديد من المعاني والدلالات ذات الأهمية بالنسبة للأمة فهي تعني ما يلي:

- أن الثقافة ما هي إلا أداة التماسك والتلاحم لبنيان الأمة وكيانها، وأداة لإثراء وإخصاب هذا البنيان.

- أن الثقافة ما هي إلا الضمير الجماعي للأمة، ومن ثم لها وحدها الحق في تعديلها وتطويرها.

- أن الثقافة متواجدة دائماً في ضمير الأمة مما يجعل الأمة النظر إلى التقدم نحو الأفضل في المستقبل (المنوفي، 1997: 153-162).

- أن الثقافة ما هي إلا الرمز الذي يجتمع عليه كل أفراد الأمة المنتمين إلى كيانها وشخصيتها وبالتالي فهي موضع اعتزاز.

- أن هناك استقلال ثقافي كما أن هناك استقلال سياسي، فلكل أمة ثقافتها التي تميزها عن غيرها وتنفرد بها. (البوني، 1983: 4-10).

إن ما سبق يؤدي إلى التأكيد على أهمية الثقافة، وبالتالي يحق لأهل الثقافة العمل بكل ما بوسعهم لنشرها، ويحق لهم العمل على إتباع كل الأساليب لحمايتها، وصد كل المؤثرات التي تهدف للنيل منها، لكون الثقافة تمثل بهذا المعنى عنصر بقاء الأمة، لذلك نرى أنه ليس من حق أي فرد أو أي دولة، أو جماعة مهما كانت قوتها، أن تفرض ثقافتها على الآخرين، أو تعمل على سحق الثقافات والهويات القومية للأمم والشعوب الأخرى، وإن كانت واهنة وأياً كانت درجات الوهن.

إذا كان ما سبق من بيان للتعريف بالثقافة بوجهٍ عام وأهميتها وإعطاء الثقافة العربية الإسلامية بعض الخصوصية بالعرض، فإن الثقافة الغربية الجامحة والمتطلعة للهيمنة ذات ملامح خاصة بها، حيث ذهب البعض إلى تحديد ملامح هذه الثقافة في الخطوط الرئيسية التالية (درويش، 1999: 25-26):

1. أن الثقافة المراد نشرها هي ثقافة غربية بعامة وثقافة أمريكية في عصر هيمنة القطب الواحد بخاصة.

2. تعتمد هذه الثقافة في انتشارها على التقدم الهائل في تقنية الاتصال.

3. اللغة السائدة والتي تستخدمها الثقافة الغربية، هي لغة الصورة، وهي سريعة الإغراء والتأثير، ولها منطقها الأخلاقي الخاص الذي لا يتفق بالضرورة مع ما تعارفت عليه الثقافات الأخرى.

4. الجمهور المستهدف هو القاعدة العريضة من الناس والشباب على نحو خاص، والمادة المعروضة في معظمها هي ثقافة شعبية غربية، وخاصة الأمريكية منها في الغناء والرقص والموسيقى والإعلان، وهي تتسم غالباً بإبهار الحواس وسرعة توالي الصورة والمعلومات والتأثير غير المباشر على تشكيل الوعي.

5. توازي الثقافة الغربية المعروضة مادة علمية أكاديمية، وقد يكون بعضها مزيفاً لخدمة أغراض خاصة، لكنها تبث على شبكات يقبل بعضها من الناحية النظرية الحوار، وسماع رأي الآخر مع تفويت فرصة المشاركة وإبداء وجهة النظر بطريقة ملائمة تتجاوز دائرة الحوار.

6. أن الثقافة تعتمد في نهجها على فكرة "صراع الحضارات "، وبالتالي فالثقافات التي لا تثبت أمام المنافسة سيكون مصيرها التلاشي.

7. الراغبون في المحافظة على الهوية الثقافية لأمتهم، عليهم أن يتدارسوا حجم الخطوات التي تفصل بين " ثقافة العولمة " ومحاولة " عولمة الثقافة ".

إن الوقوف على معنى الثقافة كان لابد منه كي نستطيع ملاحظة مجالات التأثير بغيرها والتأثر بها، لكون حقل الثقافة هو حقل التفكير والإنتاج الفكري ومجال الأفكار والتصورات، فهي والحالة هذه تشكل للأمم قيم تصاغ منها الهوية، وتشكل أيضاً سوقاً مشتركاً لكثير من المجتمعات بحيث تشمل أنماط عيشهم بكل أشكالها من: مأكل وملبس ومشروب ومسكن وآداب التحية والزواج والأفراح والأتراح والفن وغيرها، وإن أي تبادل ثقافي بين أمتين غير متكافئتين يؤدي إلى شكل من أشكال الهيمنة أو الغزو الثقافي، فلابد من أخذ الاحتياطات لإفشال مثل هذا الغزو على الثقافة العربية الإسلامية، الذي أول ما يعمل هذا الغزو على تحقيقه هو زعزعة ثقة اللغة العربية في نفوس الناطقين بها، لكون اللغة هي الوسيلة المعبرة عن الثقافة والوعاء الذي يحتوي الثقافة فإن أصاب الوعاء أي خدش تتأثر ما فيه وفسد محتواه.

ثانياً: أبعاد الثقافة: إن لكل ثقافة من الثقافات أبعاداً تتشكل من خلالها القيم، وتتجسد هذه القيم في بنية المجتمعات، وتشكل في نهاية الأمر ضوابط محددة تحكم انفعالات الأفراد وتضبط سلوكهم، كما تعد الثقافة بكل أبعادها

مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى شخصية هؤلاء الأفراد، من خلال تأكيدها لاهتمامات أو أهداف معينة في نفوسهم، ولعلها بذلك تساعد على التمييز بين الأفراد والجماعات البشرية والمجتمعات الكبرى فيما بينها، فضلاً عن تمييز الجنس البشري ككل عن غيره من سائر الكائنات الحية، وفي مقام الحديث عن أبعاد الثقافة فهي بلا شك تسري في كل جوانب حياة الإنسان، فمن المستحيل أن نخص جانب من جوانب حياته، وننفي أي جانب ثقافي آخر من جوانب تلك الحياة، الأمر الذي يستدعي منا الاعتراف بأن التوسع الهائل في شبكة التبادل الثقافي في العقود الأخيرة من القرن الماضي، قاد الكثير من المهتمين وخاصة أهل الفكر منهم إلى القول: أن الممارسات الثقافية تكمن في قلب العولمة المعاصرة، لأن حجم التحولات الثقافية الحالية تجاوز كل ما حصل في العصور السابقة عليها، فهذه شبكة الانترنت والتكنولوجيا الحديثة من أضخم القنوات المساهمة في انتشار الثقافة العولمية، حيث أن هناك ما يشير إلى انتشار القيم الغربية وخاصة " الإنجلوأمريكية "، والبضائع المستوردة وأساليب الحياة الغربية تكتسح الثقافات الأكثر حساسية، وعلى الرغم من المحاولات الجادة لبعض الدول في التصدي لقوى الثقافة الغربية مثل: تحريم صحون الستلايت في إيران، وعدم السماح لمثل هذه الصحون والتلفونات النقالة زمن حكم الرئيس صدام حسين، وفرض الرسوم العالية من جانب فرنسا على الأفلام والتلفزيونات المستوردة، فإن انتشار الثقافة الشعبية الغربية وخاصة الأمريكية يبدو أنه عصي على المقاومة (محسن، 2008: 72- 73).

إن العولمة الثقافية ليست والحالة هذه سوى ما تعنيه السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات، بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقنية في ميدان الاتصال، وإن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم (سالم،

1998:86)، فالموسيقى الأمريكية والتلفزيون والسينما أصبحت منتشرة في مختلف أنحاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة وغيرها من السلع الاستهلاكية، انتشرت على نطاق واسع بين الشباب، إضافة إلى ذلك أخذت اللغة الإنجليزية وهي لغة تلك الثقافة لتصبح لغة عالمية، وهذا ربما يعود في حد ذاته إلى هيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي وقدرتها على استمالة الأذواق والأزياء في العالم، والتفوق الأمريكي على منافسيه في صناعة الأفلام الموسيقى والقدرة على السيطرة على السوق الخارجي (بلقزيز، 1998: 89) .

إن العولمة الثقافية بكل أبعادها ما هي إلا نتاج لعدة مستجدات منها: انهيار إحدى القوى العالمية إلا وهي الاتحاد السوفييتي، فانهارت معه ثقافة ذلك القطب، مما أفسح المجال للثقافة المناوئة لتمتد وتأخذ جرعه قوية في الانتشار، إضافةً إلى انفجار الثورة المعلوماتية والتطور السريع في وسائل الاتصالات، وأخيرا ازدهار حركة تعليم اللغات الأجنبية على نطاق جماهيري واسع خاصة مع تكريس اللغة الإنجليزية كلغة عالمية.

إن الناظر في الأبعاد الثقافية لثقافة العولمة يمكنه أن يؤطرها في عدة نقاط لكل منها أبعادها الخاصة وهذه الأبعاد هي:

1. **البعد الاقتصادي:** ويتمثل هذا البعد بالهيمنة على الثقافات الأخرى، وهذا يتم من خلال سعي الغرب للسيطرة والاحتكار على اقتصاديات العالم، وهذا يتجلى في البعد الاقتصادي لهذه الثقافة المتطلعة إلى إبعاد الاقتصاديات الأخرى عن الساحة.

2. **البعد السياسي:** ويتمثل بالتحكم بالثروات الوطنية والقومية، والتحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم غير العربي، وبالتالي التحكم

في ثقافة تلك البلدان، وهذه يفسح المجال إلى إتباع السبل التي من خلالها يتم تدمير للهويات القومية - الثقافة القومية للشعوب -، وإلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي كذلك، أضف إلى أنه بعد اختراق القوميات سيتم تفتيت بعض الدول الكيانات السياسية للدول، عندها يسهل على تلك الجهات القضاء على تراث الأمم والشعوب الفكرية والحضارية (الجميل، 1997: 98).

3. **البعد الاجتماعي:** ويقوم على أساس تحطيم القيود المتمثلة بالعادات والتقاليد والأعراف التي تؤمن بها المجتمعات غير الغربية وإحلال عادات وتقاليد وأعراف غربية كتلك السائدة في البلاد المنتجة للعولمة الثقافية، بحيث تخطب المرأة في الملهى والمرقص بعيداً عن عيون الأهل، واتخاذ الخليلات من النساء على طريق الولد الصديق في الغرب، وتعطيل سلطة الأبوين عن الأولاد وفقاً لما يعمل به في بلاد الغرب.

إن ما سبق يمكننا إجماله بأن الأبعاد الثقافية للعولمة، ما هي إلا فرض ثقافات سياسية واقتصادية واجتماعية على الشعوب بقصد استغلالها ونهب ثرواتها، وهذا ما يمكننا وصفه بأنه تهيئة لبزوغ فجر جديد من الاستعمار في القرن الحادي والعشرين، وهذا الاستعمار سيكون أبشع لوناً وأشد خطراً وأبلغ ضرراً مما سبقه من الاستعمار الذي عرفته البسيطة منذ العهود الاستعمارية التي مضت، إن هذه الثقافة بهذا اللون والخصوصية، ما هي إلا أيديولوجية لمرحلة جديدة أخذت خيوطها تتسرب شيئاً فشيئاً إلى أركان البسيطة، ألا وهي ما عبر عنها باسم " العولمة "، والتي منبعها العالم الغربي وخاصةً الولايات المتحدة، والتي تعتبر كمركز لانطلاقة ركب العولمة للعالم، وهذا مما يفسح المجال للحديث عن العولمة وأبعادها بعد إضافة مصطلح الثقافة الذي نحن بصدده إلى مصطلح العولمة.

ومن خلال ما سبق لابد من التأكيد على أن الثقافة الغربية تحمل في ثناياها الخطورة البالغة على الثقافات الأخرى، ومنها الثقافة العربية والتي تعتبر

اللغة العربية مادتها من حيث الفكر والمضمون، لذا فأي تهديد لهذه الثقافة فهو بالتأكيد تهديد للغة العربية، الأمر الذي يجعل الهوية القومية العربية في مهب الريح، إن تمكنت العولمة الثقافية من تحقيق أهدافها، وهذا يجعلنا إيلاء اللغة العربية قدراً كبيراً من الاهتمام، وذلك لأن اللغة العربية هي مادة الثقافة العربية ووعاء تلك الثقافة لذا فالاهتمام باللغة العربية يعتبر في حد ذاته اهتمام بالثقافة العربية والإسلامية معاً، وأي طارئ يؤثر على اللغة فهو بلا شك يؤثر على الثقافة الأمر الذي جعل من الاعتناء باللغة العربية أمر ذا أهمية بالغة.

المطلب الثاني

الثقافة واتجاهاتها المختلفة

ونحن نتحدث عن الثقافة العولمية، لابد من أن الحديث سيكون عندها له خصوصية، ونحن نتناول الاتجاهات الثقافية في هذا المقام، بمعنى أن لا نخرج عن مدى ارتباط الثقافة بالعولمة، وبالتالي يتحدد الأمر على اعتبار الثقافة أحد أبعاد العولمة المختلفة، بل إن الثقافة تعبر عن أبعاد العولمة أو على أقل تقدير عن أحد هذه الأبعاد، حيث أن البعض ذهب إلى القول: " أن العولمة في القلب من الثقافة الحديثة وتقع الممارسات الثقافية في القلب من العولمة" (توملينسون، 2008: 9 - 24)، وهذا يعني أن هناك علاقة متبادلة بين العولمة والثقافة، وإن وجدت علاقة فلا يعني أن أي طرف من أطرافها يعتبر المحدد الوحيد للطرف الآخر، كأن تكون العولمة هي المحدد للتجربة الثقافية، والثقافة هي المفتاح المفاهيمي الذي يفك مغاليق القوة الداخلية للعولمة.

إن هذه الأمر يقودنا ونحن نتحدث عن اتجاهات الثقافة في ظل ارتباطها بالعولمة، إلى تناولها في اتجاهين: الأول، اتجاه عالمية الثقافة، والثاني اتجاه الخصوصية الثقافية للأمم والشعوب، وذلك في فقرتين وعلى النحو التالي:

أولاً: الاتجاهات العالمية للثقافة.

ثانياً: الاتجاهات الخصوصية للثقافة.

أولاً: الاتجاهات العالمية للثقافة:

الكرة الأرضية تضم عدة ثقافات جديرة كل الجدارة بأن توصف بالدولية أو العالمية، نعني بذلك أن هذه الثقافة أو تلك لا تنحصر في دولة واحدة بل عبرت حدود وامتدت في أكثر من دولة مجاورة لها، فهذه الثقافة البوذية والكونفوشيوسية تهيمنان على الشرق الأقصى، والثقافة الإسلامية تهيمن على قلب العالم، والثقافة المسيحية الأرثوذكسية تهيمن على روسيا واليونان وما جاورهما وتنتشر انتشاراً واسعاً في مصر وأثيوبيا وغيرها، إضافة إلى الثقافة المسيحية البروتستنتية التي تهيمن على أجزاء كبيرة في أوروبا والأمريكيتين، ومن خلال نظرة سريعة إلى أن العالم يتجه بخطى متئدة، إلى فرض نموذج ثقافي يطول كل العالم وعرضه في ظل ما يعرف بعصر العولمة، هذا النموذج في حقيقته نموذج يأخذ طابع الهيمنة الغربي، ويتمثل بالقصور الغربي للثقافة على بقية أرجاء الدنيا، وإن شئنا الدقة قلنا تصور المتحدثين بالإنجليزية، وإن شئنا مزيداً من الدقة قلنا تصور المتحدثين بالإنجليزية وباللهجة الأمريكية على وجه الخصوص (نصار، 2000: 23 – 24).

إن الفكرة التي تتعلق بوجود ثقافة عالمية ليست بطبيعة الحال أمر بات من الممكن تخيله فقط في المرحلة الحالية المتسارعة من أحوال العالم، فقد كانت هناك أنواعاً متعددة من الأحلام والتأملات التي تتعلق بظهور ثقافات عالمية على مدار الحقب الزمنية التي سبقت، ولكنها لم تتحقق هذه على أرض الواقع في تلك الحقب، إلا أن هناك عوامل متعددة جعلت ما هو غير ممكن سابقاً، يعد أكثر إمكانية في التحقق اليوم، لكون الغرب الطامع في سيادة نموذجه الثقافي يعمل اليوم على استثمار الطفرة الهائلة في تقنية الاتصالات والمعلومات لتحقيق هذه

الغاية، والنموذج المطلوب سيادته هو النموذج الأمريكي على وجه الخصوص المتفرد عن غيره من النماذج الغربية الثقافية، حيث توافرت للولايات المتحدة الأمريكية الإمكانيات الضخمة التي تؤهلها للتفوق واكتساح أي منافس لها بسهولة (توملينسون، 2008: 101)، - لغاية كتابة هذه السطور - ومعظم الإنتاج الإعلامي والثقافي الذي يغطي البث الفضائي والأرضي ووسائل الإعلام، وكذلك معظم محتوى شبكات الإنترنت هو نتاج غربي وأمريكي في الأغلب، وهذه المواد الإعلامية الغربية ليست فارغة من المعاني أو محايدة في أفكارها بل تحمل فكراً محدداً وتعبر عن ثقافة معينة هي ثقافتهم الخاصة بكل ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأنماط وسلوك، وبمعنى مختصر تمثل وجهة نظر حضارية معينه لها خصائصها المحددة، وتحمل كل معاني التغريب (عبد الحافظ، 2005: 44)، وإذا أضيف إلى ما سبق أن الغرب الذي يسيطر على اغلب قنوات البث الفضائي وعلى أكبر دور الصحف والمحلات ودور النشر ووكالات الأنباء، فإن ذلك يعتبر اكتمال في اتجاه واحد ألا وهو اتجاه العالمية بطابع غربي على وجه العموم وبتصور ثقافي أمريكي على وجه الخصوص، قادر على اكتساح كل ما يقابله ويعوق مسيره، بل ويغير معالم الحياة وهو ماضٍ في طريقه ويشكلها على نحو آخر مختلف، فلا مجال عندها للتلاقي أو التفاعل أو الحوار بين الثقافات المتعددة، بل النفي والإقصاء والطمس للثقافات الأخرى على وجه الاستعلاء، وهكذا فإن العولمة تبدو في المجال الثقافي تتجه إلى إعادة صياغة العالم وفق ثقافة معينه هي الثقافة الأمريكية بوجه خاص، ونستند على ما صرح به مدير معهد كيسنجر بالقول: (الهدف الأساسي للسياحة الخارجية الأمريكية في عصر ثورة المعلومات هو الفوز في معركة التدفق الإعلامي بالسيطرة على موجات البث كما كانت بريطانيا العظمى تسيطر على البحار، وأن مصلحة الولايات المتحدة إذا تواصلت أطراف العالم بالتفاعل عبر الراديو والتلفزيون والموسيقى أن تكون القيم الأمريكية هي قيم العالم المشتركة) (أبو حلاوة، 2001: 188)، وبإشاعة قيم

ومبادئ ومعايير الثقافة الغربية في العالم، وفي مقدمتها النموذج الأمريكي وجعله نموذجاً كونياً، وبعد أن يفرض على العالم يتوجب تبنيه وتقليده فتكون العولمة قد حققت شوطاً كبيراً من بلوغ أهدافها، وقد استفادت من التطور الهائل والسريع الحاصل في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية، في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى، إن نمط الثقافة الذي تريده القوى الدافعة باتجاه العولمة هو نمط من الثقافة التي يصبح بها العالم بموجبه جملةً من الكيانات التابعة لثقافة الغرب، بحيث تتيح الفرصة لصناع العولمة تمرير مشيئة الصناع متى أرادوا، إلى الحد الذي تؤكد هذه الثقافة الهيمنة على تلك الكيانات ذات الإرادات المستلبة والهويات المصادرة، وذلك لأن الثقافة تنطوي على جملة من القيم والسلوك والأفكار والرؤى حيال الحياة والواقع والمجتمع والمعتقدات والطقوس والشعائر والشؤون السياسية والاقتصادية (هزايمة، 2005: 283-284)، إن العولمة الثقافية في واحدة من أهدافها الرئيسة السيطرة على العالم، فهي متجهة وبقوة إلى إلغاء هذه الخصوصيات التي تمتاز بها مجتمعات هذا الكون، لأن ما يقربها من غايات هو أن تعمم النمط الغربي، وإن الغرب الدافع نحو العولمة يدرك أن للتغيير الثقافي لابد من أن يسبقه تهيئة الظروف اللازمة والتي تنطلق من أمرين هما:

- ضرورة إعادة تشكيل المجتمعات المراد لها التعولم من جديد، ولا بد من هدم قيم هذه المجتمعات ومبادئها حتى تضيع ملامح ذلك تماماً، وحتى يؤذن للمتعولمين في البدء لوضع أسس الثقافة الجديدة وتصميم الشكل الذي يجب أن تكون عليه، وبالتالي نجد الغرب تدخل في تصميم المناهج التعليمية في الدول العربية والإسلامية، وذلك بحجة تجفيف منابع الإرهاب والتدخل في تصميم المناهج يعني خلع هوية واستحضار لهوية أخرى، قلع الإنسان والإيتاء بإنسان آخر مختلف (نادي، 2008: 88-89).

- أن ينطلق التغيير من قاعدة توجيه التغيير إلى كل المجتمعات، لكونه من الصعوبة إحداث التغيير في مجتمع منعزل عن الآخر، ولكون التغيير لا يحقق نتائج مرجوة، وبالتالي نجد الغرب طلب من كل المجتمعات داخل الوطن العربي ومن خلال أنظمتها السياسية لتعديل مناهج تعليمها، وشطب كل بعد أيدلوجي يميز المناهج العربية الإسلامية عن غيرها، وخصوصاً تلك النصوص القرآنية وأحاديث المصطفى ﷺ، لما لهذه النصوص من أبعاد عقائدية دينية يرى الغرب بضرورة شطبها، لكونها تبعث على التطرف من وجهة نظر صانعي العولمة (سعيد، 2005: 156-157) .

من خلال ما سبق نرى أن الغرب ما يريده من تصدير للعولمة، هو تصدير المآسي التي يعانيها إلى العالم، على اعتبار أنه أخذ على عاتقه إفساد المجتمعات العربية ثقافياً، والتي قد حافظت على هويتها الثقافية ذات الأصول العقائدية طيلة القرون التي مضت، ولهذا تجعل من ثقافتها تسود بكل ما تحمله من مضامين لا تتناسب مع بيئة المجتمعات العربية، لتصل إلى هدفها الأخير القائم على سلخ المجتمعات العربية من إطارها القومي أولاً، وسلخ هويتها العربية ثانياً، إن ما سبق يجعل كل إنسان ينظر إلى الأخطار التي تحدق في ثقافته نظرة جدية ويفكر في دفعها أو تعطيل سبلها كي لا تنال من تلك الثقافة، لذا إذا ما أردنا نحن العرب أن نواجه أخطار العولمة الثقافية بكل جدية وثبات، فما علينا والحالة هذه إلا القيام بتنمية ثقافية عربية خلاقة، وهذه الخطوة ملكات الفرد العربي فما عليه إلا تهيئة مناخ يحترم العقلانية ويضعها في المقام الأول، كما يحترم حرية الاختلاف أيضاً بمعنى قبول الرأي الآخر، وأهم المجالات التي يمكن البدء من خلالها هو ميدان التربية والتعليم ومجالات الإعلام الجماهيري ومحاربة قوى التعصب، هذه الأمور لابد منها لمواجهة ما يحيط بثقافتنا من أخطار، وقطع الطريق على النموذج الغربي بعامة والنموذج الثقافي الأمريكي بخاصة، والموجه

إلى كل الأصعدة وجوانب حياة الإنسان كافة، إن هذا الاتجاه القائم على سيادة التوجهات الغربية، يقابله في الطرف الآخر اتجاه مناقص له تماماً ويعمل على إفشاله ألا وهو اتجاه الخصوصية الثقافية.

ثانياً: الاتجاهات الخصوصية للثقافة:

إن مفهوم الخصوصية الثقافية أو الثقافة الخاصة بشعب هو في أصله مفهوم ألماني تأسس في نهاية القرن الثامن عشر، على الرغم أن هذا المفهوم ينسب إلى الألمان، إلا أن موقعه في عقول الناس لم يفرغ يوماً ما، فكل إنسان نجده لا يتخلى عن مكتسباته الثقافية بسهولة، لأن تلك المكتسبات أخذت موقعها في عقليته وتحصنت وأصبحت بالمكانة الأعلى التي لا يتخلى عنها إلا بعد جهود مضنية، ورغم هذا إلا أن الحنين لها لا ينفك ما دام ذاك الإنسان على قيد الحياة، إن هذا يقودنا إلى استنتاج هام مفاده أن الخصوصية الثقافية لها أهميتها البالغة في عقلية الأمم والشعوب، لكونها تعبر عن حياة الشعوب وعنصر إثراء لها، وهذه الخصوصية بعيدة عن الجمود تتجدد ما وجد المثقفون المبدعون الجديد الذي يجعل أمتهم في مركز متفرد عن غيرها، وهذه الخصوصية دالة على سعة معارف المجتمعات، كما هي دالة على شكل انتمائها، وما لها من استعدادات لمسايرة التطور في كل جوانب الحياة، وقد ضم التقرير النهائي للجنة الدولية حول الثقافة بين دفتيه فقرات ذات بال منها: (إن التنمية بلا ثقافة هي نموذج بلا روح)، وهذا ما ذهب إليه احدهم بقول يقترب إلى حد كبير مع هذا القول، عندما قال: (إن أمة بلا ثقافة هي أمة بلا مستقبل، بل هي أمة ميتة) (باي، 1999: 242)، لهذا وذاك فلا غرو إذن أن اعتدت الأنظمة الدولية بالهويات الثقافية، وأعدت خططاً للحفاظ عليها، لأن هذا من شأنه النهوض بالشعور بالذات وتنمية القيم بين أفراد المجتمع، ففي إندونيسيا مثلاً تبنت مبدأ الوحدة كهدف سياسي وإعداد برامج للتنمية الثقافية في إطارٍ موازٍ، وهذا يعطي الثقافة وضع خاص، ويجعل

منها هدفاً من أهداف الدولة العليا، ومن الطُرف الواقعية أن فنانه غنائية شهيرة رفضت تعيينها على رأس وزارة الثقافة، وذلك بسبب النظرة الضيقة التي تعيرها حكومتها للثقافة، وذلك بحصرها في الموسيقى والرقص التقليدي دون سواهما (باي، 1999: 242)، وأنه لمن صادق القول أن الثقافة العربية الإسلامية لها خصوصيتها على الصعيد العالمي وخصوصاً أن الحضارة العربية الإسلامية ولا زالت في بلاد أخرى غير العالم العربي والإسلامي، إما في بطون الكتب وإما على جدران الآثار التي لا زالت شاهدة على عصر ازدهار تلك الحضارة هنا وهناك، وحتى في بلاد الغرب الذي يعمل اليوم على محو تلك الآثار، واستبدالها بثقافته التي يعمل على نشرها بكل الوسائل مستغلاً ما وصل إليه من تقدم في جميع المجالات والاتصالات والإنترنت والتكنولوجيا، رغم هذا وذاك، إلا أنهم يعجزون رغم هذه التقدم من محو بصمات من ذاع صيتهم من المسلمين والعرب داخل العالم الإسلامي وخارجه، ولمعت أسماؤهم في كل المجالات الثقافية ونذكر على وجه الخصوص ابن سينا وابن رشد وابن الجزار وابن الهيثم والبيروني والخيام والخوارزمي، إن هؤلاء وأمثالهم مصابيح في دنيا أصبحنا اليوم بحاجة إلى أمثالهم لا لخوفنا نحن العرب المسلمين على ثقافتنا، بل نحتاجهم لاختراق ثقافة الآخر وتبديد خصوصيتها بعقلانية، لأننا نحشى أن تؤدي ثقافة الآخر إلى انحدار الجنس البشري في سلم الإنسانية، رغم هذه التقدم في دنيا المعارف وعصر تفجير الثورة المعلوماتية، لأننا نحن العرب المسلمين كنا مشعل هداية ونرغب في أن نبقى كما بدأنا أول المشوار مع ولادة الإسلام على يد رسولنا الملهم محمد ﷺ.

إن مما لا شك فيه أن خصوصية الثقافة العربية الإسلامية تكمن في مقدرتها على الثبات أمام كل التحديات التي توجه نحوها، لكون خصوصيتها تتفوق على ثقافة التحدي، وهذا ما سيتضح لنا عند الحديث عن اللغة العربية قوام الثقافة العربية الإسلامية، كما أن خصوصية الثقافة العربية الإسلامية

تتجلى في تعدد المعاني لأي لفظ من ألفاظ اللغة العربية قوام تلك الثقافة، وهذا ما يعـوز اللغات العالمية الأخرى فهي تفتقر لمثل ذلك، أضف إلى أن خصوصيتها تتجلى بقدرتها على التعبير بإعطاء الوصف الحقيقي لأي ما يراد وصفه، أو إعطاء التعبير اللائق عنه.

إن هذا ما يميز الثقافة العربية الإسلامية، وأعطاها خصوصية تعرف بها وتنفرد بهـا عن غيرها من الثقافات، الأمر الذي يجعل كل السـهام تتوجـه إليهـا مـن منطلـق المقولـة القائلة الشجرة المثمرة تضرب .

إن ما ذهبنا إليه لا يحتاج إلى تدليل، بل علينا أن نورد أحد الأدلة على سبيل المثال، ومن قول الآخر في خصوصية ثقافاتنا، فهذا الفيلسوف البريطاني المعاصر " برتراند راسـل " يعلن بصراحة ما وصلت إليه قناعته حيث قال: (أن الحضـارة الحديثـة أهملـت الاهـتمام بالروح، وأن العلم اليوم بحاجة إلى دين جديد يجعل غايته الإنسان) (جـمال، 1983: 26)، وإن هذا القول ينطبق على الحضارة الغربية لكونها هي التي أهملت الاهتمام بالروح، في حين أن الحضارة العربية الإسلامية هي التي اهتمت بـالروح إلى جانـب المـادة ولم تغلـب أحد الأمرين على الآخر، وهذه علامة مميزة لحضارتنا العربية الإسلامية، وأهـم خصوصـية تتميز بها، فالآثار التي بقيت علامة دالة عـلى وجودنـا في الأنـدلس تنبـئ الآخـرين بـالفن الإسلامي الرفيع الذي حاكته يد العرب المسلمين هناك بعد أن صممته فكرة عقلية العربي المسلم قبل أن يكون أثراً.

إن الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية أمر له من الأهمية بمكان، ومما يعنيه، الحفـاظ على بقـاء الأمـة حيـة بقيمهـا ومكتسـباتها وبهويتهـا، وبتميزهـا، ومـا تعنيـه الخصوصـية الثقافية الاستقلالية الشخصية للأمة، وهذا مبعث الفخار والـتجلي، لكـون ذلـك يعنـي أن الأمة قادرة على التواصل مع غيرها، كما هي قادرة على العطاء وفي كل مجالات الحياة.



الفصل الثالث

اللغة العربية

ورهان تحديات العولمة الثقافية

الفصل الثالث

اللغة العربية

ورهان تحديات العولمة الثقافية

إن اللغة العربية عصفت بها تحديات كثيرة ولا تزال، وهـذه التحـديات كانـت تتأتى تارةً من خارج أبناء العروبة وتارةً أخرى من أبناء العروبـة أنفسـهم، عـلى الـرغم أن هؤلاء كان عليهم الأخذ باللغة العربية والعمل على تذليل ما هو صـعب أمـام كـل من يشكو من ذلك، لكونها لغة القرآن، والناس على اخـتلاف مسـتوياتهم يسـتطيعون فهم هذه اللغة، والأخذ منهـا مـا يمكنـه التعبـير عـن الغـرض الـذي يريـدون، والـذين يشكون من صعوبة اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغةً ونصوصاً وأدباً، فقد ظل آباؤهم يعايشونها ثلاثـة عشر قرنـاً قبـل ذلـك بـلا شـكوى، وبالتـالي وعـلى افـتراض أن هنـاك شكاوي فقليل من الجهاد في سبيل الفهـم وفي اعتقادنـا أنـه يصرف الشـكاوي جانبـاً، ويبدل ما هو صعب بالسهل، وما أولئك الذين يجاهرون اللغـة العربيـة العـداء لـيس لسبب، هذه اللغة والتي هي لغة القرآن الكريم مثمرة والشـجرة المثمـرة تضرب، لـذا فلا نجد واحداً من أولئك الأعداء لا يوجه سهامه إلى هذه اللغـة، ولم يقفـوا عنـد حـد العداء بل يذهبون إلى تجنيد أبناء اللغة العربيـة للعمـل في صـفهم، وينـادون بـنفس دعاويهم، وكل من يعمل معهم يأخذوا بيده ويدفعوه إلى تقدم الصفوف بعد عمليـة تلميع لتلك الشخصية أمام الناس، وإلقـاء الألقـاب ذات المعنـى عليـه، وهـذا تكتيـك استعماري محض، الهدف منه جعل أبناء العربية يتمـردون عليهـا وينـادي بمـا ينـاديـه

الاستعمار، وفي هذا المقام سنتناول التحديات الداخلية والخارجية في مبحثين رئيسيين هما:

- المبحث الأول: اللغة العربية والتحديات الخارجية.
- المبحث الثاني: اللغة العربية والتحديات الداخلية.

المبحث الأول

اللغة العربية والتحديات الخارجية

إن التحديات الخارجية التي نذهب إليها ما هي إلا التحديات القادمة من الغرب المستعمِر، حيث تعود بنا البدايات إلى الحقبة الاستعمارية عندما خيم الاستعمار على بلادنا العربية، وأخذ يجول فيها شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً كما يحلو له التجوال، فأخذ ينهب الأرض وما عليها من خيرات، وما في باطنها من كل أسباب القوة والمنعة له، ولم يقف الاستعمار إلى هذا الحد، بل ذهب إلى مصادر الفكر العربي الإسلامي إلى مناهج التعليم، حيث كانت مصر الأزهر هي الهدف في تخريب كل ما تطوله يده، فهذا " القسيس دنلوب " الذي عينه كرومر مستشاراً للمعارف المصرية، كانت له السلطة الفعلية الكاملة في وزارة المعارف المصرية العربية الإسلامية، وحين يكون القسيس هذا على رأس السلطة في وزارة التعليم، فما الذي يتوقع أن يكون من أمر التعليم في أكبر دولة عربية تعتبر مركز النظام الإقليمي العربي بأكمله، وخاصة ونحن نعلم كل العلم، أن هذه الدولة تحتضن أكبر معهد إسلامي ينظر إليه العرب والمسلمين خاصة نظرة المنقذ لهم من الظلال من الناحية الروحية، واستقامة اللسان من الناحية اللغوية ألا وهو جامعة الأزهر.

إن الخبث الذي كان يملأ صدر " دنلوب"، أنه لم يتعرض لهذا الجامع بصورة مباشرة، بل أخذ يعمل على هدم التعليم فيه بصورة بطيئة، على خلاف ما فعله نابليون عندما دخل مصر أثناء حملته المعروفة، فقد قام بفتح مدارس تعلم العلوم الدنيوية، وأعطى أهمية لخريجي هذه المدارس، الأمر الذي جعل الناس يعزفون عن الأزهر، ومن ثم أخذ يعمل بصورة تدريجية لضرب اللغة العربية، مادة كل العلوم الإسلامية ابتداءً من القرآن الكريم وانتهاءً إلى أي علم آخر، وسوف نتناول هذه التحديات في مطلبين رئيسيين هما:

- المطلب الأول: التحديات الغربية المباشرة.
- المطلب الثاني: التحديات الغربية غير المباشرة.

المطلب الأول

التحديات الغربية المباشرة

إن ما نذهب إليه من التحديات الخارجية المباشرة، هي تلك التحديات القادمة من الغرب الطامع وتلك الإجراءات المتخذة من قبل المستدمر الغربي - المستعمر الغربي - بحق اللغة العربية وبصورة مباشرة دون مواربة أو تورية، وهذا يؤدي إلى أن تعود بنا البدايات كما ذكرنا إلى الفترة الاستدمارية - الاستعمارية - التي حطت بها رحال القوات البريطانية أرض مصر عام 1882م، عندها بدأت الخطوات الأولى لتهميش اللغة العربية وإقصائها عن الساحة العملية بدايةً ومن ثم عن السنة التي يتكلم بها أصحابها وهم أصحاب لسان الضاد، إن هذا الهدف الأول للاستعمار - الاستعمار - البريطاني حيث سدد سهامه نحو كل ما هو عربي إسلامي، وما يهمنا في هذا المطلب ما قام به الاستدمار لتهميش اللغة العربية، وإقصائها عن ساحة الحديث والتأليف وعن كل الساحات الأخرى وما قام به الاستدمار - الاستعمار - البريطاني ما هو إلا الباب الذي من خلاله تسللت الأمواج العولمية الثقافية لتنال من ثقافتنا ولغتنا العربية، وفي هذا المطلب سنتناول ما سعى إليه الاستدمار - الاستعمار - الغربي للنيل من اللغة العربية في الفقرتين التاليتين:

أولاً: زعزعة منظومة اللغة العربية :

إن العبث بتركيبة اللغة العربية يعني الإبقاء عليها شكلاً بلا مضمون، ونحن في صدد بيان ذلك، فإننا سنتناول هذا العبث من خلال الفقرات الفرعية الثلاث التالية:

أ- خلخلة بنية اللغة العربية.

ب- تغيير الحرف العربي الذي تكتب به اللغة.

ج- صرف اهتمام الناس بالأدب العربي القديم.

أ- خلخلة بنية اللغة العربية: إن العربية الفصحى هي اللغة العربية الأصلية، والتي هي عنوان الأصالة في كل ما كتب العربي منذ يومه الأول حتى أيامنا الحاضرة، الأمر الذي جعل الغرب ينظر للعربية نظرة عداء مستحكم، فتارةً أخذ يشجع العامية ويدعوا لها دعوةً صريحة، وتارةً يدعوا إلى التوسط بين العامية والفصحى، وتارةً يدعوا إلى فتح باب التطوير في اللغة والاعتراف بحق أصحاب الأقلام، أياً كان تخصصهم في تغيير اللغة العربية كيف ما يشاءون بالتغيير، وإلى أي مذهب يذهبون بهذه اللغة، التي تنتظم بها اللغة العربية على خلافها من اللغات، كالنحو والذي يعتبر الميزان الأساسي لهذه اللغة ويكسبها المكانة اللائقة بها بين لغات العالم، بل بهذا الباب تتميز لغتنا العربية، وعندما فشلوا في إسقاط هذا الباب نادوا بتعديل بعض القواعد، فعندما فشلوا في هذا وذاك، اكتفى الاستدمار - الاستعمار - بالدعوة إلى دراسة اللهجات العامية وحصر مفرداتها، ووضع القواعد والمعاجم لضبطها وإحصائها، وفي هذا يبررون دعوتهم هذه بالضرورة التي يقتضيها العلم، وهذا ما يتطلبه إتباع المناهج الأوروبية في البحوث اللغوية الحديثة، إن هناك من الحجج الذي ذهب إليه هؤلاء المنادون بالتغيير، أن هناك صعوبة في تعلم اللغة العربية من ناحية، والقول بعجزها عند تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية من ناحيةٍ أخرى، وربما أضيف إلى هذه الأسباب سبب آخر ذهب الاستدمار - الاستعمار - للتذرع به كذريعة تقف وراء ما هم ذاهبون إليه هو، ضرورة قطرنة اللغة العربية أي إخراجها من ثوبها العروبي إلى ثوب آخر ومختلف، بمعنى كل إقليم تكون له

لغته الخاصة به بناءً على اللـهجات التـي تسـود في كـل قطـر، فمـثلاً شـجع المسـتدمر - المستعمر- الفرنسي دعاة الثقافة فيهـا، ونـادوا باتخـاذ العاميـة السـورية بـدلاً مـن اللغـة الفصحى، واستندوا في دعوتهم إلى أن اللغة العامية أوفى تعبيراً أو أدق معاني وأحلى ألفاظاً من اللغة العربيـة الفصـحى (حسـين، 1986: 372 – 373) ونـادى المسـتدمر - المسـتعمر- البريطاني في مصر بخلع الثوب القـومي للغـة العربيـة واسـتبداله بثـوب إقليمـي وطنـي أي مصري، واستبدال العربية الفصحى باللـهجة المصرية إلى حـد أن أحـدهم ذهـب للقـول: (إن اللغة العربية الفصـحى تبعـثر وطننـا المصري، وتجعلهـا شـائعة في القوميـة العربيـة، فالمتعمق في اللغة الفصحى يعزز روح العرب ويعجب بأبطال بغداد - الرشيد - بـدلاً مـن تعزيـز الـروح المصريـة ويـدرس تـاريخ مصر)، إن أول الـداعين إلى تمصـير اللغـة العربيـة (حسين، 1983: 371) هو "أحمد لطفي السيد " في أوائـل القـرن العشريـن، ومـن أعجـب العجـب أن هـذا الـداعي إلى تمصـير اللغـة العربيـة قـد دفعـه الاسـتدمار - الاسـتعمار - بخطوات للأمام وأصبح فيما بعـد رئيسـاً لمجمـع اللغـة العربيـة حيـث ذهـب بعـدها إلى اقتراح يقوم على ما يلي: الدلالة بالحروف على الحركـات فتكتـب كلمـة (ضَرَبَ) (ضـارباً)، وبإثبـات التنـوين ورسـمه بالكتابـة فتكتـب (سَـعدٌ) (سـاعدون) بـالرفع و (وسـاعدان) بالنصـب) و (سـاعدين) بـالجر، واقـترح بفـك الإدغـام فتكتـب كلمـة (مُحَمَّـد) هكـذا (موحممادون) في الرفع و (وموحممادان) في النصب و(موحممادين) في الجر وهكذا (حسن، 1986: 379)، هذا وقد سبق أحمد لطفي السيد " قاسم أمين " حيـث نعـى الأخـير اللغـة العربية الفصحى حين قال في كلمة له: " إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم، أما نحن فـنفهم لـكي نقرأ "، وقد اقترح إلغاء الإعراب فنسكن أواخر الكلمات وبالتـالي ذاع صيت قاسـم أمـين، وأخذت بريطانيا تروج له على اعتبـاره أديـب كبـير، وفي هـذا رسـالة لغـيره مـن أصـحاب الأقلام للانضمام إلى زمرة المنادين بإقصاء اللغة العربية الفصحى عن الساحة.

إن الاستدمار - الاستعمار - البريطاني كان يدفع من يتماشى مع أهدافه الداعية إلى هدم اللغة العربية وخاصة الفصحى إلى الأمام، وكان يرتب الردود إزاء كل اعتراض من معترض على أية خطوة من شأنها هدم اللغة العربية الفصحى فمثلاً، كان هناك معترضون على التغيير في اللغة العربية الفصحى، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى ضياع التراث العربي القديم، فكان الجواب أن هذا التراث مضى عليه الزمان فلا تعود له قيمة بسبب قدمه، وأما الصالح منه فيمكن ترجمته إلى العامية الجديدة، إن دعاوى المستعمرين وأولئك الذين ساروا في خطتهم لهدم اللغة العربية الفصحى صادفت ردود مقنعة من أولئك الغيورين المدافعين عن اللغة العربية وأهم ما أبرز من ردود على هؤلاء ما يلي (حسين، 1986: 373-374):

- إن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى المطابقة للقرآن الكريم والحديث وسائر كتب الدين.

- أن اللغة العربية ليست غريبة عن إفهام العامة، إلا إذا أريد التقعر واستخدام الألفاظ الغريبة، أما لغة الإنشاء العصرية فهي شائعة في الصحف والمجلات.

- أنه لا يجوز قياس اللغة العربية على أية لغة أخرى كاللاتينية مثلاً، لأن الفروق بين العربية وأية لغة أخرى بعيدة جداً.

- أن الذاهبين إلى إحلال لغة في كل قطر عربي - الأقلمة - وذلك باتخاذ لهجة ذلك القطر لغة رسمية فهذا يعني انحلال العالم العربي وتشتيت شمل الناطقين بالعربية.

إن ما سبق من قول ما هو إلا نتاج استعماري، هدفه الأساسي النيل من لغتنا العربية الفصحى، فليس يعوزنا ما يدلل على امتياز لغتنا العربية كلغةٍ

للأدب والتراث، فقد استخدمها العرب منذ أن كانوا، ولا تزال تلبي حاجيات كل قائل أو كاتب ليعبر عن الغرض الذي يريد، وهذا ما يكذب مزاعم الذين يدعون أن لا حياة للعربية إلى جانب اللهجات السوقية التي يسمونها في هذه الأيام بالعامية.

ب- تغيير الحرف العربي الذي تكتب به اللغة: فقد ظهرت في مطلع القرن الماضي موجات تطالب بتغيير الحرف العربي مفادها الأخذ بالاقتراح إلى جانب المناداة بالعامية كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية، وكلما خبت الهجمة على الحرف العربي، وجدت من يبعثها من رقادها من جديد، فعندما دانت الساحة السياسية لجمعية الاتحاد والترقي التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، والذي شن حرباً ضروس بلا هوادة على الحرف العربي، فنادى باستبداله بالحروف اللاتينية، ودعم الغرب المنادون بهذا التوجه، حيث انتهى بالمنادين باستبدال الحروف العربية باللاتينية، إلى القول أن الخط العربي ليس بحرف أصيل، لكونه منقول عن السريانية والنبطية وعن الآرامية والفينيقية والهيروغلوفية القديمة، كل ذلك من أجل الذهاب بعيداً بالخط العربي واجتثاثه من الأصول، وهذا له من الانعكاسات السلبية على كثير من العلوم التي كتبت بهذا الحرف، فمثلاً لو أن هذا الحرف استبدل بغيره إلى حروف لاتينية كما ذهبوا إليه، فإن الآداب والعلوم العربية القديمة تنسى كما نسيت آداب اللغة السريانية والنبطية والآرامية والهيروغلوفية وغيرها من اللغات الأخرى التي لا يستخدم الناس حروفها اليوم، ولأصبح بيننا نحن العرب وبين تراث أجدادنا سداً منيعاً، وبالتالي تضيع كنوز عظيمة خلفتها الأجيال والعهود السابقة في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون وغيرها، وكلها مدونة بالخط العربي (حسين، 1983: 378 - 379).

إن الذين انقلبوا على الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية كما حصل في تركيا، فإن ذلك كان له بعداً سياسياً محضاً، فعندما استطاع الغرب

إقناع الشعب التركي بالقومية الطورانية والعرب بالقومية العربية، وإشعال فتيل العداء بين القوميين ووقوف العرب إلى جانب الحلفاء في الكونية الأولى، أخذ الغرب يوغرون صدور الأتراك باتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، وكان للغرب ما ذهب إليه، فكان هذا تغيير سياسي أكثر منه تغيير نحو الصلاح، وهو إشارة دالة على اتخاذ السلطات الكمالية التركية الجديدة سياسة قائمة على محاربة العنصر العربي والدين الإسلامي لطالما أن اللغة العربية مشتقة من العربي، وهي مادة الدين التي كتبت من حروفها كل ما يمت إليه بصلة، على اعتبار تركيا الحديثة انتهجت الخط العلماني الذي يقوم على أساس شطب الآخرة من قاموس حياة العلمانيين، فهم بذلك يريدون أن يزعموا أن المدنية التركية أقدم المدنيات فهي تتصل بالمدنيات البابلية والآشورية القديمة، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي ولهذا نجد أن هناك حملة قوية رافقت الانفصال التركي عن الولايات العربية، تمثلت في كثير من المظاهر الإسلامية كإبطال الأحوال الشخصية القائمة على الدين، واستبدالها بالأحوال الشخصية العلمانية، وتغيير الزي الإسلامي إلى آخر أوروبي خالص.

إن العبث في الحروف العربية ما هي إلا إحدى الدعوات الغربية، التي لا ترى بالعربية إلا العدو اللدود الذي يجمع شأن العرب، ومصدر من مصادر وحدتهم، لهذا لم يدعوا أيٍ من شأنه أن يوحد العرب وإلا شنوا هجمة شعواء عليه.

ج- صرف الناس عن الاهتمام بالأدب العربي القديم: لقد ذهب الغرب إلى الأدب القديم لطمسه فتارةً يدعوا إلى أن تخص الآداب القومية بمزيد من عناية الدارسين، كأن تعنى مصر بالأدب المصري والعراق بالأدب العراقي والشاميين بالأدب الشعبي، وتارةً يدعوا إلى توجيه عناية خاصة للآداب الحديثة، وتارةً أخرى تدعوا إلى العناية بما يحلو لبعض الناس أن يسميه بالأدب الشعبي، وأن الهدف الأول والأخير من كل هذه المحاولات هو صرف الناس عن الثقافة

العربية القديمة وتقليل العناية بالماضي العربي والإسلامي شعره ونثره وتاريخه وعلومه، إن المنادين بصرف الاهتمام بالأدب العربي القديم، وضعوا لذلك من المبررات، أن هـذا الأدب أصبح سلعة قديمة لا يلاءم مستجدات الحيـاة، إن مـا يرنـوا إليـه هـؤلاء تفريـق المجتمـع العربي، بل الإسلامي وتفريقه من محتوياته، تلك التي ما هي إلا كنوز تزين حيـاة العـرب والمسلمين الأدبية، إن هذا الأدب ما هو إلا أدب تشاركي تشترك فيه كـل مسـتويات الأمـة، ولـو ذهـب كـل عـربي إلى مذهبـه المكـاني، كـأن يعتنـي المصري بـأدب بلـده والعراقـي والشامي... إلخ، لم يبقى هناك قـدر مشـترك بـين ثقافـات الجيـل القـادم مـن العـرب بـل المسلمين عامة، وهذا القدر المشترك من الثقافة هو الذي يكون القدر المشترك من التفكير ولو ذهب كل عربي تجاه مذهبه وترك الأدب العـربي، لـتم اخـتراع قواعـد جديـدة وآداب جديدة وبالتالي لم يفهم أحدهم على الآخر، وقد قربـوا بعـدها البعيـد وأبعـدوا القريـب، ومنهم من ينتمي إلى أدب غير الأدب العـربي أو أن يقـوم بخلطـه مـع أدب آخـر وبـذلك يتحقق للغرب ما ذهب إليه (حسين، 1986: 382 – 383).

إن ما سبق من أهداف الهجمة الغربية على اللغة العربية تعني الكثير للغرب، كما تعني للناطقين بالعربية خاصة، وللمسلمين عامة، ففيها من الأهداف ما تمثل ضربة موجعـة للجميع، فماذا تعني الهجمة على العربية ؟!، تعني وباختصـار تفريـق العـرب والمسـلمين لأن اللغة عنصر أساسي ومقوم هام من مقومات الوحدة، وضرب العربيـة بأسـهم عدائيـة يعني تفريغ العرب والمسلمين من عقيدتهم الدينية لكونها كتبت بالحروف العربية، فلـم يعد أحد قادر بعد على التغيير أن يقرأ حتى كتاب اللـه عز وجـل، وتفـريغهم أيضـاً مـن ثقافتهم العربية الإسلامية، وقطع الطريق على وحدة العـرب والمسـلمين، كـما يعنـي بنـاء جدران مانعة بين العرب والمسلمين اليوم وتـراثهم القـديم مـما يعنـي جمعـه ووضـعه في متحف التاريخ.

إن الخطر الكبير الذي يحف اللغة العربية ليس في الدعوة إلى العامية وترك الفصحى، وليس في الدعوة إلى هجر الحروف العربية واستبدالها بالحروف اللاتينية، وإن الخطر الحقيقي يتمثل في أنصاف الحلول، والذي يقف وراءها أناس لا يطالبون بالانقلاب السريع على اللغة العربية، بل يقتنعون بالتحول الهادئ عنها وبأسلوب لا يسترعي الانتباه، إن التمسك باللغة العربية كتابةً ولغةً ونحواً وأدباً وثقافةً أمراً من الأمور التي تكاد أن ترتقي إلى التمسك بحكم الواجب ديناً، وإن لم يرتقي إلى مرتبة الفرض، لقد وضع اللغويون والنحاة حدوداً للغة العربية طابقوا فيها مذهب القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ وشعر العرب، وتركوا للناس من بعد أن يستحدثوا ما شاءوا من أساليب، وما أرادوا من أغراض، ولكن كل ذلك ينبغي أن لا يخرج بهم عن الحدود التي رسمها اللغويون والنحاة.

ثانياً: الحط من منزلة دور العلم العربية:

لقد سبق لنا القول أن القسيس "دنلوب" عين في منصب وزارة المعارف المصرية، مما ساهم مساهمة مباشرة في إضعاف مناهج اللغة العربية، والحط من منزلة المدارس والمدرسين للغة العربية ويمكننا بيان ذلك بما يلي:

أ- مناهج التعليم والمدارس العربية: لقد سعى " دنلوب " القسيس إلى ضرب المدارس ومراكز التعليم التي تأخذ المناهج العربية وإلى التي تمت إليها هذه المناهج بصلة، فأول ما توجه إلى ضرب الأزهر، والسبب في ذلك لأن مناهج العلوم التي يدرسها باللغة العربية، فضرب الأزهر يعني ضرب اللغة العربية وبصورة غير مباشرة، وأما كيف كان له ذلك ؟!، فقد انتهج أسلوب غاية في الخداع والمراوغة حتى لا يدع أهل الغيرة على اللغة العربية كشف خداعه وإذاعة ذلك بين الناس، وعندها ما ينكشف أمره فيقاومون ما هو ذاهب إليه، فقد ترك الأزهر على ما هو عليه لم يتعرض له على الإطلاق، واتبع طريقه هادئة لم

ينتبه لها إلا القلة القليلة من العرب الذين لديهم الاهتمام باللغة العربية، والذين أخذوا على عاتقهم لواء الدفاع عنها، فقام بفتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية، وتنأى بعيداً عن العلوم الدينية، لكون العلوم الدينية تتطلب التدريس باللغة العربية، وعند استبعادها فإنه بذلك يتخطى عقبة أمامه تتمثل بالابتعاد عن أهل الغيرة من العرب والمسلمين على لغتهم العربية (يوسف، 2008: 1)، ولكونه لا يريد إثارة مشاعرهم والاحتجاج بأن العلوم الدينية لا بد من أن يؤخذ بها في هذه المدارس، فجعل هامشاً ضيقاً للعلوم الدينية في هذه المدارس، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المدارس هي الوسيلة للرزق من ناحية وخريج هذه المدارس لهم مكانة اجتماعية كبيرة من ناحية أخرى، وهذا ناتج عن تهيئة الظروف لهؤلاء الخريجين، إذ يعين الخريج منها مباشرة بعد التخرج في المناصب الحكومية الرفيعة، وبراتب يفوق كل أولئك الذين تخرجوا من غيرها، وأما خريج المدارس الأخرى، فإنه لا يجد بعد التخرج وظيفة يشغلها وإن وجد فإن راتبه يكون أقل من راتب خريج المدارس التي تدرس العلوم الدنيوية، إلى الحد أن راتبه لا يكفي حتى الحدود الدنيا للعيش، كما أن عمله لا يتعدى المراكز الدنيا في الدولة مما يجعل الفارق بين خريج هذه المدارس وتلك كبير جداً، الأمر الذي يجعل الكثيرين هجر المدارس التي تدرس المناهج العربية، والإقبال على تلك المدارس التي تأخذ بالمناهج الدنيوية، وهذه الطريقة كانت بالغة في الدهاء والمكر والخديعة والتي بها استطاع وبالتدريج الانقلاب على المدارس والمعاهد التي تأخذ بالمناهج العربية، لقد كان الانتساب إلى الأزهر فيما مضى، قبل دخول المدارس التي تأخذ بالمنهاج الدنيوي شرفاً تتسابق إليه الأسر، حيث كانت الأسرة التي من بين أفرادها خريج الأزهر محط الأنظار، وينظر إليها الناس بالاحترام، لأن العلم في حس الناس يومها هو علم الدين، والذي لا يأخذ هذا العلم إلا باللغة العربية، وبعد تغيير الحال لم يعد يذهب للأزهر إلا الفقراء

الذين يعجزون عن دفع تكاليف الدراسة في المدارس الجديدة، وفي الوقت يـدفعون جـزاء فقرهم ضياعاً في المجتمع، إن هذا ولد الطبقيـة في المجتمـع المصري، فكـان هنـاك الطبقـة الصاعدة، وهي الطبقة الجديدة الـذين صـقلتهم المـدارس الجديـدة بقالـب وطـابع جديـد، وبلورتهم المناهج الأجنبية بعامة الغربية منها بخاصة، وهؤلاء أخذوا يفـاخرون بمدارسـهم وقد احتضنتهم القيادات الغربية ودفعتهم قدماً للأمام في أعلى المراكز، من أجل أن يـؤدوا الدور الغربي كما يحلو للغرب وفق إستراتيجية التي صـممت في الـدوائر الغربيـة للقضـاء على العربية ومنابعها.

ب - **مدرسو اللغة العربية:** إن الوضع الجديد الذي صـممه " دنلـوب " رسـول الدوائر الغربية الهادف إلى ضرب اللغة العربية له انعكاساته الخطيرة داخـل المدرسـة انعكس على راتب مدرس اللغة العربية المتدني الـذي يتقاضـاه خـريج الأزهـر مقارنـة بالراتب العالي لخريج المدارس الجديدة التي صممها الغرب، جعل مـن المـدرس للغـة العربية في ذيل القافلة التدريسية، يتقدمه أقل المؤهلات من المعلمين تأهيلاً هذا مـن جهة،فلا يستشار في شؤون المدرسة ولا يشارك في إدارتها، وليس له ذلك الاحترام الـذي يجب أن يجلس فيه المدرس بين التلاميذ أنفسهم، وأما في المجتمع فالذي يحمـل قـولاً باللغة العربية يكون أشد ضياعاً منه في المدرسة، بسبب وضعه المـالي متـدني وفقدانـه للسلطة في مكان عمله المدرسة، ولا يشاور أو يشارك في إدارتها مما يجعـل شـأنه أقـل شـؤون زملائـه ممـن يحملـون مـؤهلاً غـير مؤهـل اللغـة العربيـة، ويحتـل المناصـب ذات الأهميـة في المدرسـة أو داخـل المجتمـع، وهكـذا ينحـدر مـدرس اللغـة العربيـة تبعاً لانحدار راتبه ومستواه الاجتماعي، حين يصبح وضع مـدرس اللغـة العربيـة بهـذا الوضـع المهـين الـذي لا يبعـث عـلى الاحـترام، فإنـه وضـع يـؤثر حـتماً عـلى المـادة التي يدرسها، وقد كان هذا هو الهدف المقصود وراء ذلك التدبير الخبيث، لقـد انتقـل هذا الوضع المهين من المدرس إلى المادة، وصارت اللغة العربيـة ذات مكانـة لا ترتقـي

دراستها ومكانة المواد الأخرى، وأخـذت تنعـت بالصـعوبة والجمـود، الأمـر الـذي أدى إلى إفسـاح المجـال إلى اللغـة الإنجليزيـة لتقـدم خطـوات واسـعة للأمـام في نفسـية الطـلاب والمدرسـين، وأخـذ الإقبـال عليهـا يتضـاعف عامـاً بعـد عـام، وأصـبح الـذي يـتكلم اللغـة الإنجليزية موضع احترام وتقدير، ويتبوأ المناصب العليا في الدولة فكـان مـن هـؤلاء قـادة المجتمع والدولة على السواء (قطب، 1988: 55).

إن الفترة السابقة شهدت هذا النحو من النهج التعليمي، وهذا ما نجده اليـوم، إن المتكلمين باللغة الإنجليزية، والمدارس التي تأخذ بالمناهج والتي تُولي هذه اللغـة الدرجـة الأولى من اهتماماتها، يتهافت عليها الطلبة بحجة أن اللغة الإنجليزية أصبحت لغة العصر، وإن الدولـة العربيـة تقـف حـائرة أمـام هـذا الوضـع، فلربمـا أن هـذه الـدول تـرى باللغـة الإنجليزية هي القصرنة المتقدمة وهي السبيل إلى التقدم والازدهـار، في حـين يُـرى بعـدم الأخذ بهذه اللغة وإغلاق الأبواب أمامها، وذلك بعدم فتح المدارس هي السبيل الآخر نحو الجمود، من هنا فالدول العربية تركت الأمر على غاربة، حين جعلت هذه المـدارس تأخـذ بكل ما هو غربي وعدم الأخذ بما يحيط بالبيئة العربية، مما ينعكس سلبياً على البيئـة العربيـة والإسلامية، وجعل الناس ينقسموا إلى فريقين، الأول ينكب على اللغـة الإنجليزيـة وبالتـالي تفتح له كل مجالات الحياة حتى داخل دولته القطرية، ويتقاضى الراتب المناسب، ويحتل مركز القيادة في دولته، والفريق الثاني لا يأخذ باللغة الإنجليزية وبالتالي يقتصر دوره عـلى الدور التابع للفريق الأول وهو دور هامشي، كما أن البعوث التي توفرهـا الـدول الغربيـة لبعض أبناء الدول العربية، وتزويدهم بالأساليب الغربية في التدريس والإدارة ليعودوا من بعثاتهم رسلاً للدول الغربية يطبقون ما يتعلموه هناك على أبناء لغتهم، وبالتالي هؤلاء لا يختارون إلا من يتقن اللغة الإنجليزية كتابةً وتحدثاً، ومن خلال هذا يعملون على اتسـاع الهوة بين من يتكلم الإنجليزية وبين أولئك الذين يتكلمون العربيـة ولا يتقنـون الحـديث

بالإنجليزية، لذا فإن المدرسة الأجنبية تعمل على تزويد طلبتها باللغة الإنجليزية التي تؤهلهم لاحتلال المراكز الهامة في الدولة، كما تهيئهم للسفر للخارج وتطابق شروط البعثات الخارجية عليهم،فهي بذلك عنوان تغريب للنشء قبل أن يبدأ رحلة الغربة (قطب، 1988: 77)، هذه من وجهة نظر إلا أننا نرى خلاف ذلك فليس الكل يعمل في هذا الاتجاه، بل معظم العائدين من بعثاتهم الخارجية يعملون على الاستفادة من إيجابيات الثقافة واللغة الغربية ويبثون هذه الإيجابيات في بلدانهم، فكثروا هم أهل القلم من العرب كتب باللغة الإنجليزية يدافع فيها عن القضايا العربية، وينشر الثقافة العربية الإسلامية، ويوضح الإشكاليات المغلوطة لدى الآخرين من العرب وثقافتهم ولغتهم، وكثروا هم الذين ترجموا التراث العربي الإسلامي وقدموه لأبناء الأمم الأخرى، وهذه مساهمة ثقافية لا ينكرها إلا جاحد.

من هنا فإننا نجد أن الغرب يخطط ويجهد نفسه في وضع الخطط للقضاء على اللغة العربية، وفتح الطريق للغته الإنجليزية لتسود، لتصبح في المقام الأول بين الناطقين في بلاد العرب، ولن يكف الاستعمار الغربي عن إتباع كل الأساليب إلا بعد أن يستيقن أن أهل الضاد (اللغة العربية) هجروا لغتهم، وفضلوا عليها اللغة الإنجليزية وجعلوها لغتهم الرسمية يتحدث بها العربي بالشارع، والتعليم في المدارس، واللغة السائدة في إدارة الدولة في المراسلات الرسمية وغير الرسمية، ونخلص إلى القول: وهذا حق له فكل بلدان العالم تسعى إلى نفس هذا السعي، وأضعف الأمم هي التي تلعن الظلام ولا تستطيع أن توقد شمعة لتطرده، إن أعظم التحديات الخارجية على السواء تلك التي يتبناها الغرب هو ضرب اللغة العربية في أهم مصادرها المدرسة والمنهاج، وجعل القائمين عليها في أدنى مستويات الفئات في المجتمع وتقليص المجالات التي كانت تسيطر عليها العربية، وذلك بإفساح المجال أمام اللغة الإنجليزية لتمتد وتتسع.

المطلب الثاني
التحديات الغربية غير مباشرة

إن ما نذهب إليه من التحديات الغربية غير المباشرة، تلك الإجـراءات التـي تظهـر لنا نوعاً من التورية تتضمن هدفين، الأول قريب والثاني بعيـد، فالقريـب في هـذا التوجـه مصلحة الإنسان العربي ويكمن في تعلم التكنولوجيـا وإضـافة لغـة جديـدة إلى لغتـه، أمـا الهدف البعيد فهو ترك اللغة العربية وسلخها من على ألسـنة النـاطقين بهـا والتحـول إلى أخرى وهي لغة التكنولوجيا، إذا كان الغرب قد أخذ على عاتقه النيل مـن اللغـة العربيـة واستخدم لذاك وسائل وأدوات مكشوفة، إلا أنه لم يترك أية وسـيلة أخـرى إلا واسـتخدمها في سبيل ذلك، فالأمور المعلنة هي أقل خطورة من تلك المستورة، والسـبب في ذلـك لأنهـا تخفى على الكثيرين، فلا يعملون على مقاومتها حتى أنهـا تبلـغ مـا تبلغـه مـن الأهـداف عندها يتذكر الناس غفوتهم عنها، وتكون قـد أصـابت أهـدافها وعمليـة الإصـلاح عنـدها تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبـير، وقـد لا تجـد دعـاة الإصـلاح عندئـذٍ فيكـون الخطـب عندها أبلغ ونحن في هذا المطلب سـنتناول تلـك التحـديات غـير المبـاشرة لتغييـب لغتنـا العربية عن الساحة في الفقرتين التاليتين:

أولاً: التقدم التكنولوجي الغربي.

ثانياً: مزاحمة اللغات الغربية.

أولاً: التقدم التكنولوجي الغربي:

من المؤسف أن تكون التكنولوجيا والتطور العلمي حكراً عـلى مجتمعـات دون غيرها، لنجد أن تلك المجتمعات التي تمتلك التكنولوجيا أصبحت قادرة على فرض لغتها على العالم من خلال منتجاتها وتقنياتها التي غمرت العـالم، ودخلـت كـل بيـت، ومـن خـلال تلـك المعطيـات والمكتشـفات والمنتجـات المهمـة التـي

تصدرها لغيرها تلك المجتمعات المتقدمة، والتي شملت جميع نـواحي، الحيـاة نجـد أننـا مجبورين عـلى تقبـل تلـك الصـادرات، وبمـا تحملـه مـن أسـماء وماركـات وضـعها عليهـا مصدّرها، فأصبح الإنسان العربي مجبراً على التقيد بتلك الأسـماء ونطقهـا كـما هـي، نظـراً لعدم قدرته على الاستغناء عنها والتي أصبح أغلبهـا أساسـياً في حياتنـا اليوميـة كالأدويـة، والأجهزة الكهربائية، ومختلف الصناعات والتقنيـات الحديثـة التـي يصـدرها الغـرب لنـا، والتي أصبحت جزءاً من حياة البشر، حتى أصبحنا نحن العرب لا نعتمد كثـيراً عـلى لغتنـا العربية إلا في تلك الأمور والأحداث التي طواها الزمن، حيث أن الغرب قد أرفق مـع كـل سلعة يصدرها لمنطقتنا العربية دفتراً خاصاً، فيه التعليمات الواجب إتباعهـا عنـد تشـغيل تلك السلعة،وعند تركيبها، وعند إصلاحها إذا ما أصيبت بخلل، وحتى علبة الأدويـة يرفـق معها ذلك، وبلغته استعمالات تلك العلبة، والأمراض التي تعالج بها، ومكوناتها وبالتالي ما على الطبيب أو الصيدلي وحتى ممن يتقنون اللغة الإنجليزية قراءة ما على تلك العلبـة أو ما على الورقة المرفقة معها، لنجد أنفسنا قد اكتفينا بالتذكير والتباكي على ما جنى العـرب من تقصير في جانب اللغة، وتاريخهم المليء بالأحداث السعيدة والتعيسة على حد سـواء، فزادت المؤلفات واتسع مجال الترجمة في ذلك التاريخ القديم، وبالتالي نبرر ذلـك كلـه، أن اللغة العربية جامدة لا تستطيع أن تواكب تطورات العصر فهي متخلفـة ولا تسـتطيع أن تضع الأسماء للمسميات، خاصة تلك التـي لم يكـن للعـرب عهـداً بهـا، كالغواصـة وطاقـة الشمس وما أشبه ذلك مما يسمونه " لغة العلوم والمصـطلحات "، وقـد تبـين للمشـتغلين بدراسة اللغات ووسائل التعبـير عـن الأشـياء، أن هـذه دعـوة لا نصـيب لهـا مـن الصـحة وبخاصة بعد ظهور علماء الاستشراق، الـذين هـم مـن بنـي جلـدة الغـرب، فـأتقنوا اللغـة العربية وأجادوا الحديث بها، وأشادوا بمطاوعتها، ومرونتها وكثرة مترادفاتهـا، ووجـود معـانٍ فيها، مما يجعل للمعنى الواحد أكثر مـن عبـارة واحـدة تؤديـه (أبـو خشـب، 2009: 45-46).

إن تأخر الدول العربية في المجال التكنولوجي، وقلة أعداد المخترعين والمكتشفين والباحثين العرب الذين يقيمون بالبلاد العربية، انعكس سلباً على لغتنا العربية، وهذا أمر طبيعي نتيجة عدم اهتمام الدول العربية ببناء قاعدة تنطلق منها نحو التكنولوجيا، لتكون دولاً صانعة ومنتجه لها،إن الدول العربية وفقاً للسياسات التي تتبعها في كثير من الأحيان مع أصحاب العقول، إما بالمضايقات السياسية أو بوضعهم في أماكن غير مناسبة، و تقديم الأقل كفاءة على أصحاب الكفاءة، و منحهم رواتب متدنية وغيرها من هذه الأساليب فإنها تساعد الغرب على جذب هذه العقول، وتحرم المنطقة العربية من هذه المخترعات وما يمكنه أن يكون وسيلة للتقدم نستغني بها عن سلع الغرب، لهذا نجد أن العقول العربية اختارت الهجرة إلى الدول الغربية المتقدمة، نتيجة ذلك الإهمال الذي تبديه الدول العربية لتلك الكفاءات والتي وجدت ذلك الترحيب والتشجيع والدعم الكبير من قبل دول غربية كثيرة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ساهمت مساهمة كبيرة جداً في أن تكون اللغة الإنجليزية لغة عالمية، يتوجب على جميع سكان الأرض تعلمها والتعامل من خلالها واحترامها (الشراري، 2007: 1- 2)، وفي جامعاتنا هناك تخصصات كثيرة جداً يتم تدريسها باللغة الإنجليزية ومنها التخصصات الطبية، وهذا أمر طبيعي بل أنه أمر يجب القيام به، نظراً (لاحتكار) دولة مثل أمريكا المجال الطبي من خلال التطور الطبي الكبير الذي تشهده في مختلف مجالاته، سواء من حيث تخريج الأطباء والممرضين، أم من حيث صناعة الأجهزة الطبية والعقاقير وجميع تلك الأمور تحمل مسميات ومصطلحات باللغة الإنجليزية، لنجد أن (التقدم العلمي) لدولة مثل أمريكا عزّز من حضور لغتها الإنجليزية، التي أصبحت مطلباً للجميع لما تمنحه هذه اللغة من مميزات كثيرة لمن يقبل على تعلمها، ومن ذلك زيادة فرص الحصول على الوظيفة، فكثير من القطاعات الأهلية تحرص على أن يكون جميع العاملين فيها ممن يتقنون اللغة الإنجليزية كتابةً ومحادثة.

إن النهوض باللغة العربية وحمايتها ونشرها لا يأتي مـن خـلال الترجمـة أو تـأليف الكتب فقط، بل نحتاج أن ندخل غمار التكنولوجيا وأن ننـافس الـدول المتقدمـة صـناعياً وتقنياً.

وفي سياق نشر العولمة الثقافية، وتشـكل النظـام العـالمي الجديـد، تـأتي التحـولات العلمية والتكنولوجية، تحمل في طياتها بعضاً من التحديات الضاغطة على لغتنـا العربيـة، ذلـك أن القــوى الكـبرى تحــاول جاهــدة، أن توظــف الثــورة العلميــة والمعلوماتيــة والتكنولوجية لصالح قيمهـا وتوجهاتهـا اللغويـة، وفي هـذا الإطـار تزايـدت المخـاوف مـن الهيمنة اللغوية الغربية، وفرض لغة كونية مرتبطة بنموذج الحضارة الغربية، وقد زاد من هذه المخاوف الثـورة الإعلاميـة المتمثلـة في شـبكة إعلاميـة ذات سـيطرة مركزيـة في عـالم الشمال، وما تمتلكه من آليات الأقمار الصناعية، ووسائل الاتصال الفضائية، وثمـة مخـاوف في منطقتنا العربية من تهديد لتماسكنا الحضاري والثقافي اللذان قـوامهما اللغـة العربيـة، وذلـك مـن خـلال اسـتغلال الأقليـات في المنطقـة، والتركيـز عـلى أوضـاعها وخصوصـياتها الثقافية، وخاصة ونحن نجد مطالبة بعض الأقليات أن لم تكن أكثرها باعتماد لغتهـا الخاصـة بها بدلاً من اللغة العربية، باعتبار اللغة عنواناً لوجودها ويحميها من الاندثار أو الـذوبان في جسم آخر، لذا تطلب هذه الأقليات الحمايـة مـن قـوى أجنبيـة، دون الالتفـات إلى أن أوضاعها إنما هي أوضاع عامة في معظمها، تنسـحب عـلى غالبيـة الشـعوب العربيـة، وإذا كان للثورة العلمية والتكنولوجية أن تؤتي ثمارها التنموية والثقافية عـلى صـعيدنا العـربي، فإنه من الضروري ألا نكون مستوردين لها ومستهلكين، بل نأخذ بأسـباب إنتاجهـا، وذلـك في سياق حركة المجتمع وتطوره طبيعياً، وبحيث يكون هناك نوع من الاتساق بين الحيـاة الفكرية والقيم السائدة، وأسلوب الحياة وسلوك الأفراد.

وفي إشارة إلى واقعنا التكنولـوجي في جملـة الـدول الناميـة، نجـد أن الأخـذ بأساليب الثورة التكنولوجية ليس نتيجةً لتطـور طبيعـي، وإنمـا هـو أمـر مسـتعار،

ومضاف إلى هيكل اجتماعي متخلف في حياته الفكرية، وقيمه السائدة وأسلوب حياته، إذا كان الغرب متقدم تكنولوجياً، ويدفع بكل ما أوتي من قوة بكل ما يصدره لنا بلغته، فلماذا لا نستفيد من علمائنا بالغرب لتوطين ذلك العامل التكنولوجي في بلادنا، ونحن نملك من الأموال الكثير ؟!، ولماذا لا نعيد أولئك العلماء ممن هجروا بلاد العرب إلى ديارهم الأولى؟! ولماذا لا نفرض على الغرب كتابة كتب التعليمات والإرشادات لكل سلعة نستوردها باللغة العربية؟!

إن ما أدى إلى قبول العامل التكنولوجي وسرعة انتشار العولمة الثقافية عدة عوامل وهي ذات أبعاد تكنولوجية وأهمها (عطية، 2009: 363-364):

- انتشار الصحافة الدولية ومؤسسات النشر المقروءة والمسموعة والمرئية.
- انتشار الحاسب الآلي.
- انتشار شبكة الإنترنت العالمية.
- السياحة والرياضة.
- بنوك المعلومات وبنوك المال، والسينما.
- المؤتمرات الدولية بكافة أشكالها وأهدافها.
- الأقمار الصناعية والبث الفضائي وما يرافقه من إعلام موجه.

كل ذلك كان ولا يزال من خلال هذا المتجر التكنولوجي والمتعلق بكل أشكال العولمة الثقافية وذلك لسيادة الثقافة الغربية من مأكل وملبس ومصطلحات عبر إدراكات غير واعية، وتمارس العولمة الثقافية حضورها الشامل في مختلف فئات المجتمع وبمختلف أشكال التلقي والتبني والاستيعاب (الفرحان، 2001: 110)، والغرب لا يزال يضغط بكل قوة على الدول الصغيرة وكل الدول النامية مستغلاً كل ما يصدر عنه، والانخراط في منظمة التجارة العالمية (الجات) وهي

إحدى المؤسسات التي أتاحت نشر العولمة بين دول العالم، مدعية أن هـذه العولمـة ذات الاتجاه الحر و تـأتي مـن قبيـل الحتميـات الاقتصـادية والتكنولوجيـة الشـبيهة بالأحـداث الطبيعية التي لا يمكن الوقوف في وجهها.

إن العامل التكنولوجي والمشار إلى عوامله الآنفة الذكر، تعمل على الاختراق الثقافي لثقافتنا العربية الإسلامية دون وعـي أو عـن وعـي، فعواملـه متعـددة تتسـلل إلى بيوتنـا وذواتنا من دون استئذان، فهـي تحـدث تغيـيراً في كـل أوجـه الثقافـة العربيـة الإسـلامية، والمكونـة مـن مركـب متجـانس مـن الـذكريات والتطـورات والقـيم والرمـوز والتعبـيرات والإبداعات والتطلعات، التي تشكل الهوية الداخلية للعربي والمسلم على حد سواء لطالما تسوق هذه باللغة الغربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الأزياء تختلف مـن بيئـة إلى بيئة، فـالملبس في منطقتنـا العربيـة لأي شـخص يـدل عـلى بيئتـه فـالثوب ولبـاس الـرأس والعقال رموز مميزة لهذه المنطقة في حين نجد الجينز الغربي قد ساد بـين معظـم شـباب الأمة، والاستماع إلى الموسيقى الغربية بمختلف أنواعها، وأشكالها وشخصياتها باتت مبتغى كل الشباب، وكذلك ما يتبعها من طقوس ورقصات وما يصاحبها من ثقافة التلفزيون مـن أفلام وبرامج، إلى ثقافة المأكل التي يمثلها ماكدونالدز وكوكا كولا وغيرها من أنظمة المأكل والمشرب عـلى الطريقـة الأمريكيـة (الفرحـان، 2001: 111- 112)، ومـما يـدفع إلى فـتح الأبـواب للاخـتراق الثقـافي في المجتمعـات العربيـة، هـو ذات الـدور الـذي يلعبـه كـل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي حيث ألزم كل منهما الدول العربيـة التـي تحتـاج إلى معونات وقروض من هاتين المؤسستين المصرفيتين، على القبـول بـبرامج إعـادة هيكلـة وتنظـيم لأوضـاعها الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعيـة وعـلى رأسـها الثقافيـة، وقـف مـا يطرحـه الغـرب، وعـلى طريقتـه لإعـادة تنظـيم الأوضـاع فيهـا، وخصوصـاً الـدفع باتجاه مزيداً من الخصخصة وإعادة النظر في البرامج التعليميـة والضـغط باتجـاه إدخـال

لغته ضمن برامج التعليم وحتى في الصفوف التي تسبق مرحلة المدرسة الأساسية كإدخالها إلى رياض الأطفال وغيرها.

ومما سبق نرى بأن التقدم التكنولوجي لا يأخذ من لغتنا الكثير، فيما لو أحسنا التعامل مع الغرب كمدافعين عن لغتنا العربية، كما لا يأخذ من لغتنا الكثير لو قمنا بترجمة تلك الكتيبات المرفقة مع السلع واستبدالها بما يقابلها باللغة العربية، وتشفير الفضائيات التي لا يليق بثها بمجتمعنا العربي، إن التقدم التكنولوجي هو بمثابة غزو ثقافي غربي، هذا الغزو يعمل على تغريب العرب ولو كانوا في أوطانهم، فتصبح اللغة العربية والنطق بها غريبة في موطنها، إن هذا وبلا شك يؤدي إلى مزاحمة اللغات الأخرى للغتنا العربية في ديارها، وضروب وسائل هذا التزاحم مختلفة ومتنوعة، إلا أنها في النهاية تهدف إلى ما هدف إليه التقدم التكنولوجي، من إقصاء اللغة العربية عن الساحة بين ألسن أبنائها واستبدالها بلغة أخرى أجنبية، وهذا ما نراه فيما يلي:

ثانياً: مزاحمة اللغات الغربية:

تعتبر اللغة من أهم مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب، فهي بمثابة الروح والقلب في حياة الأمم ومن خلالها يتم التواصل بين الأفراد والأجيال، ومن خلالها يتم الحفاظ على التراث الثقافي الذي قوامه اللغة للجماعة، واللغة العربية هي لغة القرآن والسنة ومن خلالها يؤدي المسلم الشعائر الدينية، وفي أيام الحضارة الإسلامية كان يتم ترجمة الكتب من العربية إلى اللغات الأخرى للاستفادة منها، إلا أنه مع النهضة الأوروبية الحديثة بدأت اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية تزاحم اللغة العربية، ورغم هذه المزاحمة فقد ظلت اللغة العربية لغة قومية للثقافة الإسلامية والأمة العربية، وليست العامية هي العدو الوحيد للغة الفصحى، فثمة عدو لا يقل خطراً عنها وهو الانتشار الساحق للغة الفرنسية والإنجليزية في منطقتنا العربية، فالهدف الأول للعولمة الحالية أمركة

العالم، أي الهيمنة والإقصاء والإذابـة للغـة العربيـة، ويجـب ألا نظـل بعيـدين عـن ثقافـة العولمة، فلا يمكن أن نتفاعل مع حضـارة حـواراً أو صراعـاً إلا إذا اسـتوعبناها، وابتعـدنا عـن الانغلاق، والخوف من هاجس الذوبان فيها، فالخصوصية الثقافية المغلقة لـن تقـدم حـلاً بانغلاقها، ولا خوف من حوار الحضارات، والخـوف يكمـن في الانغـلاق، والانكفـاء الـذاتي، فلم تعد دولة قادرة عن الابتعاد عن التأثير الحضاري، ولجميع الشعوب الحق في الانفتاح على ثقافة الآخر مع الاحتفاظ بخصوصيتها الثقافية.

إن التعلق باللغات الأجنبية يعود إلى الهزائم العسكرية التي حلت بالوطن العـربي منذ مطلع القرن العشرين الفائت، وهذه الهزيمـة أورثـت العـرب الهزيمـة النفسـية التـي يعيشها الإنسان العربي أمام ما تنتجه اليوم حضارات الأمـم الناطقـة بغـير العربيـة، هـذه الهزيمة التي أورثت العربي شعوراً بأن العربية عاجزة عن استيعاب علوم العصر، ومواكبـة معطيات الحضارة الغربية ولا سيما الأمريكية منها، والافتتان الحضـاري بـذلك حتـى أصبح يقلد الغربي في ملبسه ومأكله ومشربه فغدا يشعر بالدونيـة إذا لم يكـن يعـرف الهـامبرغر، والبيتزا، والرقصات الغربية في الأفراح، وكلمات التحية والوداع والمجاملة بغير لغته.

إن ذلك يعود إلى عهود سابقة خلت منذ أن أخذ العالم العـربي والإسـلامي، يتـدرج في سلم التخلف الحضاري للأمة الإسلامية هبوطاً، والذي بدأ منذ القرن الرابع عشر المـيلادي، حيـث انتقـل مشـعل الحضـارة إلى أوروبـا وأمريكـا، خاصـة مـع الثـورة الصـناعية وثـورة المعلومـات والاتصـالات في السـنوات الأخـيرة، وحملـت هـذه الثـورة إلى العـالم منجـزات ومخترعات في شتى فروع العلم والمعرفة، وظهـرت معـان جديـدة ومصـطلحات باللغـات الأوروبيـة، حيـث أصـبحت لغـة التـدريس في الـبلاد العربيـة سـواء في بعـض المـدارس أو الجامعات حيث يتم إعطاء المعلومة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وارتبطـت الجامعـات العربية الإسلامية بعجلة الثقافة الغربية في التدريس والتأليف (شماس، 1999: 11).

إن مما سهل الأمر أمام اللغة الأجنبية كالإنجليزية خاصة و الفرنسية واللغات الأخرى عامة، هي المدارس الأجنبية المبثوثة في كل أنحاء الوطن العربي الكبير، حيث يسيطر تدريس الإنجليزية على المدارس الفلسطينية منذ الصف الأول الأساسي بدلاً من الصف الخامس، كما كان في الخطة القديمة، وكما هو الحال في الأردن اليوم منذ سنوات قليلة خلت، كما دخل تدريس الفرنسية في المدارس الريادية والجامعات العربية والإسلامية، وأصبحت هناك تخصصات باسم "تخصص لغات" يدرس فيها الطالب اللغات الأجنبية فبعدها يعمل الخريج في معامل تعزيز لغة الآخر في المجتمعات العربية، هذا وإن علمنا أن الدعم الحكومي الفرنسي في سبيل تدريس اللغة الفرنسية في معامل العقول العربية (2.5) مليون يورو، هذا إلى جانب تفشي اللغة العبرية في المدارس الفلسطينية، وهذا أدى بدوره إلى شيوع الكثير من الألفاظ والمصطلحات العبرية بين الشباب الفلسطيني خاصة والعربية عامة، وخصوصاً بين شباب تلك الدول التي أقامت صلحاً مع إسرائيل، وأما في لبنان فنجد الشباب اللبناني يجيد إتقان اللغة الإنجليزية بنسبة (56%) واللغة الفرنسية بنسبة (60 %) وهي نسبة عالية بالنسبة إلى عدد السكان هناك (شماس، 1999: 13- 15).

أما في بلاد المغرب العربي فإن مزاحمة اللغات الأجنبية واضح وضوح الشمس في النهار، فعلى سبيل المثال لا الحصر، في المملكة المغربية هناك ثانوية تسمى ثانوية " ديكارت " تقوم بتدريس المنهج الفرنسي المتكامل لغة وثقافة وبأبعد صورها، ويدرس بها أعداد غفيرة من أبناء اللغة العربية، وهذا دليل على الغربة في الوطن والازدواجية اللغوية الواضحة، والخطير في الأمر يولد انعدام الانتماء، بالرغم أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية والمعتمدة في المملكة (كواري، 2008: 2)، وواضح أن اللغات الأجنبية هي الأكثر شيوعا من العربية في المغرب العربي، وهناك سياسة لغوية مصممة على الانفتاح على اللغات الأجنبية مثل الفرنسية ثم

الإنجليزية ثم الإسبانية، وهناك توجه في المغرب بفرض الفرنسية على الأقسام العلمية والإنجليزية في بعض الجامعات، بينما تفرض العربية على المعارف العلمية حتى المرحلة الثانوية فقط، وهذا التوجه أحدث بلبلة في نظام التعليم وزعزعة الثقة في نفسية المواطنين المغاربة بلغتهم الأساسية ألا وهي اللغة العربية، مما أدى إلى عزوف الكثير من الطلبة عن لغتهم، هذه وتوجههم نحو اللغات الأجنبية، وأما في الخليج العربية فشأنه كشأن بقية الأقطار العربية، فإن من الأسباب الداعمة لمزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية كثير، فبالإضافة إلى المدارس هناك الشركات المتعددة الجنسية العاملة في الخليج العربي لكون تلك المنطقة غنية بالثروة البترولية والمواد الأولية للصناعات الشرقية والغربية، فأقامت معاملاتها على اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى اللغة الفرنسية وبعض اللغات الشرقية حسب جنسية الشركة، كما استقدمت عمال يتكلمون اللغات الأجنبية من الدول العربية وغير العربية، كان لهؤلاء دورهم في تسريب الكثير من المصطلحات والألفاظ لمجتمع الخليج العربي، وكذلك إلى المجتمعات التي ينتسب إليها هؤلاء العاملين بعد عودتهم، لكونهم تعودوا على هذه اللغة ونقلوا هذه الألفاظ والمصطلحات إلى مجتمعهم الصغير وهو الأسرة.

كما إن مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية، جاءت عن طريق استقدام المربيات للأطفال والخادمات للمساكن في الدول العربية، ومثل هؤلاء يقمن بدور كبير حيث يفطرن السنة الأطفال على اللغة الأجنبية، وكذلك اضطرت العائلات إلى تعلم شيئاً من اللغات الأجنبية لكي تتعامل مع العاملة الوافدة الجديدة للبيت، وهذا بدوره عزز بعض المصطلحات على الألسن، ومعرفة بعض أسماء المأكولات والمشروبات والملابس لكون تطويع الألسن، العربية أصبح لدى الكثيرين والكثيرات أسهل من تطويع الألسن الأجنبية.

إن مزاحمة اللغات الأوروبية بخاصة والأجنبية الأخرى بعامة يؤدي بلا أدنى شك إلى الاختراق الثقافي الأجنبي للثقافة العربية والإسلامية والتي قوامها

اللغة العربية، إن تحييد اللغة العربيـة أو إقصـاؤها عـن السـاحة، يعنـي بأبسـط قواعـد المنطق السماح بالحلول للثقافات الأخرى والتي قوامها لغة تلـك الثقافـات محـل الثقافـة العربية واللغة العربية، إن هذا يسري في المجتمعات العربية بهدوء وبلا هـوادة، ويسـهم في هذا السريان نحن العرب، الذين نقبل بكل أسباب الاختراق الثقافي ونباركه إما طواعية أو عن إكراه بفضل المؤسسات الأجنبية التي لا تـرى بالتعامـل مـع العـرب إلا مـن خـلال بوابة نافذتهم الغربية.

المبحث الثاني
اللغة العربية والتحديات الداخلية

إن اللغة العربية وهي لغة الأقطار العربية أرضاً وسكاناً تعترض طريقها عدة تحديات داخلية تحول بينها وبين اللسان العربي المتين، وهذه التحديات تكون بمثابة أكبر وقعاً على اللغة العربية لطالما أنها تنبع من الداخل العربي، هذا الداخل الذي كان عليه حمل لواء إزالة كل العقبات التي تعتور طريق تيسير اللغة العربية على ألسنة العرب أينما كانوا داخل وخارج الوطن العربي، إلا أنه من المؤسف ما نراه على أرض الواقع خلاف ذلك المتوقع من الأجهزة الرسمية وغير الرسمية في الدول والحكومات العربية على طول الوطن العربي وعرضه.

إذا كان الوسط العربي وغير العربي لا يهتم بإزالة كل عقبات تعترض طريق العربية لتجري على ألسنة العرب وغير العرب، فهل هذا متوقع من أولئك الأعداء للغة العربية والذين يعملون ليلاً نهاراً بالتخطيط لقتل اللغة العربية، ليس على ساحات بلدانهم بل على ساحة الوطن العربي الكبير ؟!!، إن الناظر في هذه التحديات يجدها تتشعب وتتنوع، وهذا ما يؤدي إلى حقيقة واحدة مفادها أن اللغة العربية هي اليوم الهدف، والسهام التي تتناولها كثيرة وتلك الموجه إليها أكثر، ومن المؤسف حقاً أن من هذه التحديات هي من صنيع معظم الحكومات العربية ومباركتها لكونها أعطت لها الترخيص للإقامة على أرضها وأغفلت الجانب الرقابي عليها، وهذا ما يجعل الإنسان العربي حائر وهو يفكر في أمر لغته حافظة تراثه، وعنوان وطنيته في المدى الضيق، وعنوان عروبته في المدى الأوسع، وهذا ما يجعل انتهاك حرمة اللغة على الصعيد الشعبي مبرراً، إن هذا المبحث معني بتناول التحديات الداخلية في الوطن العربي للغة العربية والتي هي من صنيع العرب أنفسهم تجاه لغتهم، وبدورنا سنقسم هذه التحديات إلى قسمين مع إقرارنا أننا

لن نستطيع تناول هذه التحديات جميعاً، لأنها تحتاج إلى أكثر مـن بحـث، إنما سـنتناولها بالقدر الـذي يـدلل عـلى وجـود هـذه التحـديات وعـلى الأهـم منهـا وبالقـدر الـذي يبلغنـا الأهداف، ولهذا سنتناول في هذا المبحث في مطلبين رئيسيين هما:

- المطلب الأول: تحديات الصعيد الرسمي العربي.
- المطلب الثاني: تحديات الصعيد الشعبي العربي

المطلب الأول

تحديات اللغة العربية على الصعيد الرسمي العربي

إن ما نقصده من تحديات اللغة العربية على الصعيد الرسمي هي تلك المؤسسات التي تأخذ ما يسمى ترخيصاً رسمياً من الجهات الحكوميـة في الـدول العربيـة عـلى طـول الوطن العربي لتقيم على أرضه، وهي لا تأخذ الطابع الرسمي كالمؤسسات الرسمية الحكومية العاملة في الدول العربية، بمعنى تلك المؤسسات التعليمية التي في ظاهرها تسهم في تقدم عجلة التعليم وازدهاره في أي بلد عربي، وهذا بـدوره يـدفع تقـدم البلـد نفسـه خطـوات متقدمة إلى الأمام على صعيد العلم والمعرفة، مـما يـؤدي بـدوره إلى إنعـاش البلـد علمياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، ويحسن الحال الاجتماعي إلى الأفضـل، ولكنهـا في واقـع الأمـر تسعى إلى خلاف ما يبدو في الظاهر، لأنها لو صدقت في ما تذهب إليه لما كـان للأجنبـي ذلك الدور الذي يلعبه اليوم في وطننا العربي من الناحية الثقافيـة عـلى وجـه الخصـوص، وهذا ما يهمنا تناوله ونحن نبحث في العولمة الثقافية وانعكاساتها على اللغة العربية، وفي هذا المطلب سنتناول تلك التحديات الرسمية ونحن نسعى إلى تحقيق أهدافـه في فقـرتين رئيسيتين هما:

أولاً: المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي.

ثانياً: المؤسسات الإعلامية العربية الفضائيات المنفلتة.

أولاً: المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي:

لقد أصبح الطلب على التعليم الأجنبي يتزايد يوماً بعد يوم، لذا لجأت الحكومات العربية إلى إتباع إجراءات جديدة نحو التعليم الأجنبي، تمتاز بسياسات تعليمية أكثر مرونة تجاهه فبدأت بالتوسع بإعطاء التراخيص للمدارس الأجنبية وحلحلة الإجراءات وتخفيف الرقابة عن كل هذه المدارس، ثم اتخذت خطوة أكبر حينما سمحت لهذه المدارس بتطبيق المناهج التعليمية المستغلة التي لا تخضع لرقابة وزارات التربية والتعليم، بمعنى أصبح حق كل مدرسة أجنبية إقرار وتطبيق المنهج الذي يتناسب مع هويتها بعيداً عن مناهج التعليم المفترض إتباعها في مدارس الوطن العربي، ومما لا شك فيه فإن نصيب اللغة العربية بين دروس ومفردات المناهج تلك قليلة إن لم تكن معدومة، وإبعاد الطلاب العرب في هذه المدارس عن دراسة اللغة العربية هو في حد ذاته هدف، بالإضافة إلى إضاعة مفتاح الهوية العربية القومية وهجر العلوم الدينية والاجتماعية، لا شك أن المدارس الأجنبية بمناهجها تؤثر سلباً في ثقافة الشباب، ولها تأثير مباشر في انخفاض درجة الحس والانتماء القومي العربي لدى الدارسين في هذه المدارس، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لخريجي هذه المدارس الذين لا يتقنون اللغة العربية، ولا يعرفون تاريخ وجغرافية الوطن العربي الكبير لأن لا مكان لهما في مناهج تلك المدارس، ولا يدركون أبسط قواعد العلوم الدينية التي تتبنى السلوكيات والثقافات، كما ينعكس ذلك على الشباب من جهة أخرى، وبالقدر الذي يتناقص عندهم الحس القومي يتزايد عندهم حس الغربة والتغريب وهم في بلادهم، ومظاهر ذلك التغني بسحر دول أخرى وهي تلك الدول التي تتبنى تلك المدارس وتشرف عليها، كما يأخذون برمي مجتمعاتهم وثقافاتهم بالتحجر والتخلف، وتحبيذ التكلم والتعامل والتراسل بلغة المدارس الأجنبية التي صقلت عقليتهم الثقافية، فيعمدون إلى هجر اللغة العربية

مفتاح الثقافة العربية وأداة التواصل بين الشعوب العربية فيما بينهم (العنزي، 2008: 1)، إن الحكومات العربية التي سمحت للمدارس الأجنبية عملت بـنفس التوجهـات الغربيـة وهدفت إلى ما هدفت إليه وهي بذلك نزعت السوط مـن يـد الجـلاد الحقيقـي، والـذي يعذر في كثير من الأحيان، لأن مصلحته تقع في الجلد، وأخذت السوط لتجلد لا جلد الأمة بل ما هو أبلغ وأقوى وأشد عليها، وذلك عندما فتحـت المـدارس الأجنبيـة وتركـت تصـميم المناهج والرعاية التعليمية والمنهجية بيد أولئك الغربيين أو المنحرفين مـن الغـرب، والـذين يرون بالثقافة الأجنبية والتي قوامها اللغة هي أساس التقدم والسبيل للأخذ بمعارج الرقي والازدهار، وهـي الخطـوة الصـحيحة في مفهـومهم عـلى طريـق الحضـارة وبلـوغ أسـباب مجدها، إن ترك الحكومات العربية لهؤلاء وأمثالهم أدى إلى تزايد هذه المـدارس الأجنبيـة التي تخرج أفواجاً صبوا في القوالب الأجنبية لغة وثقافـة، وهـذه المـدارس أكـثر مـا يمكـن تمييزها باعتماد اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهذه المدارس تتزايد عام بعـد عـام ففي عام 2006 م كان عددها (195) مدرسة أجنبية ثم وصل عددها عـام 2007م إلى مـا يزيد على (898) مدرسة، هذا يشكل هجمة شرسة على اللغة العربية لمحوها من الوجـود العربية (الكواري، 2009: 3).

إن سياسة الباب المفتوح للتعليم الأجنبي في البلدان العربيـة شـجعت كـل دول العالم على افتتاح الجامعات والمدارس والكليات على أراضيها كما يتضح مـن الأعـداد السـابقة، وتسـابقت الـدول الأوروبيـة كلهـا عـلى تصـدير ثقافتهـا، وبنـت الجامعـات والمـدارس التـي تحمـل مشـاعل التعلـيم الـذي لا يخفـى بحـال مـن الأحـوال، الطعـم السـام الـذي تنقلـه هـذه الجامعـات إلى المجتمعـات العربيـة والإسلامية، وهكذا نشأت المدارس التي من أسمها يعنـي أنهـا غريبـة عـن البيئـة التعليمية العربية مثل: المدارس الأمريكية والمدارس البريطانية والمدارس الدوليـة، وهذه المدارس تبنت شعار حرية التعليم وتعددية الثقافات، فالمدارس الأمريكيـة

المنتشرة في العالم عددها (185) مدرسة ومنتشرة في (132) دولة، ومن بينها (50) مدرسة بفروعها المتعددة في البلدان العربية والإسلامية وأنها تخضع مباشرة لإشراف وزارة الخارجية الأمريكية من خلال مكتب خاص يسمى مكتب المدارس الأمريكية عبر البحار، وتعتمد هذه المدارس على مبدأ الاختلاط بين الذكور والإناث في جميع المراحل الدراسية، فهي بذلك تقضي على ثقافة الجيل العربي الثقافة العربية ومادتها اللغة العربية التي هي من صلب الدين، ومقوم من مقوماته الأساسية، كما وأن الدور الذي تقوم به هو فرض نمط الحياة الأمريكية على طلابها من العرب والمسلمين، من خلال ترويج الثقافة الأمريكية، وأسلوب الحياة الأمريكية بين طلابها وطالباتها العرب والمسلمين على طول الوطن العربي وعرضه خاصة والوطن الإسلامي وعلى طول امتداده بعامة (بيومي، 2006: 1) .(http:/www.nourschool.com)

إن الجهات الحكومية في البلاد العربية تدفع عن قصد أو عن غير قصد، لتوجيه أولياء الأمور لدفع طلبتهم للانخراط في هذه المدارس، وذلك من خلال اعتبار النجاح في مادة الإنجليزية أو الفرنسية في المدارس شرطاً إجبارياً لاجتياز امتحان ما من الامتحانات، ذلك الامتحان والذي يعتبر فاتحة عهد جديد لدراسة جديدة، ولتخطي مشكلة الرسوب في تلك المادة يدفع الطالب للذهاب لمدرسة أجنبية ليحسن القراءة والكتابة والمحادثة بتلك اللغة، فإن لم يكن الانخراط في باكورة أيام التلاميذ، فإن المعاهد الأجنبية كالمعاهد الأمريكية والبريطانية والفرنسية منتشرة في البلاد العربية، وما تقوم به هو ذاك الذي تقوم به المدارس الأجنبية من تغريب للطلبة والعمل على استقائهم ثقافة أجنبية وبلغة أجنبية، فتمتد تلك اللغة على مساحات واسعة من الوطن العربي وتصبح دارجة على ألسنة أهلة.

إن هذه هي العولمة بحد ذاتها غازية لا تقبل إلا السيادة، وأما دول الوطن العربي فإنهم يرحبون بهذا الغزو عن طواعية والنتيجة التي ستؤول إليها الأمور

ثقافة جديدة بثوب جديد، وهجر لثقافة محلية عربية إسلامية، ونحن نسعى نحن العرب وعن غفلة وبلا هوادة نحو التقدم الذي هو في واقعه سراب، ولا نكتشف مقدار الخطأ إلا بعد فوات الأوان حيث نجد أنفسنا أننا نتهاوى في دروب الضياع، إن ما تسعى إليه هذه المعاهد الأجنبية على اختلاف أنواعها ومستوياتها ومسمياتها تعمل على إحداث موجة من التغيير في أنماط الفكر والسلوك لدى الشباب العرب، وذلك من أجل صياغة العقول والنفوس منذ الصغر على نوع من الإكبار إن لم يكن التقديس للمنظومة الأمريكية سواء في القيم والعادات أو حتى في النمط الاستهلاكي، ومن ثم نجد اغلب المنتجات الأمريكية تستند في ترويجها إلى تلاميذ تلك المدارس الأجنبية، لكونهم يتقنون اللغة الإنجليزية، وعرب يحاكون عرب، وبالتالي يكون لديهم القدرة على قراءة واستيعاب وترجمة ذلك الكتيب والتعليمات التي ترافق ذلك المنتج من حيث الصلاحية وفوائد ذلك المنتج، وما يعود بالفائدة على المستهلك سواء كان ذلك المنتج مادة غذائية أو سلعة للاستعمال البيتي أو الشخصي، إن خطورة هذه المدارس الأجنبية، في اعتقادنا وفي جانب اللغة العربية يتأتى عدة تحديات و من عدة جوانب أهمها:

إن بعض هذه المدارس تحمل في ثناياها من الوسائل والأدوات والمعاني المسمومة والمضامين الإيديولوجية تخالف تقاليدنا وأعرافنا وثقافاتنا، وتزود النشء بها وبلغة أجنبية وليس عربية فتصبح تسمياتها من المصطلحات الدارجة في البلاد العربية، وهذا يؤدي إلى هجر المصطلحات العربية التي تقابلها.

إن هذه المدارس بمناهجها تكرس فكرة فصل الدين عن الدولة بمعانٍ مختلفة، وهذا يعني الاتجاه بفكر الدارسين وجهة علمانية، فلا يعد للدين تلك الأهمية في النفوس فيعزف الطلبة عن قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبالتالي يدب الضعف باللغة العربية لكونهما لا يقرآن إلا بهذه اللغة، والتي تعتبر في حد ذاتها وعاء القرآن الكريم وبها أنزل.

إن هذه المدارس بمناهجها تؤدي إلى تجزئـة الثقافـة في فكـر المجتمعـات العربيـة، فهذا فريق يأخذ بالاتجاه الثقافي الغربي وهم الدارسون في المـدارس الأجنبيـة، وذاك يأخـذ بالاتجاه العربي والإسلامي، مما يهيـئ ذلـك سـبيل الاخـتراق الثقـافي والاجتماعـي والطـائفي والسياسي والاقتصادي، وإلى نوع مـن التآكـل الفكـري والحضـاري لكـل مقـوم مـن مقومـات الوطن العربي الحضارية والتاريخية والدينيـة، وبالتـالي اقـتلاع كـل الجـذور التـي صـنعتها مؤسساتنا الاجتماعية والتربوية الوطنية العربية، في فكر المجتمع والتي قامت على اللسان العربي الفصيح.

إن المعاهد التعليمية الأجنبيـة بكـل أشـكالها ومسـتوياتها ليسـت بريئـة الهـدف، وبالتالي لا بد من أن نبحث عن الأهداف التي ترك الأجانب بلادهم وأهلهم من أجلهـا، لا توجد أعمال خيرية في العلاقات الدولية، ولذلك فإن هناك أهدافاً غير بريئة، من وراء وجـود المدارس الأجنبية في أراضي المسلمين وفي جانـب الدولـة العربيـة، تهـدف إلى هجـر معـاني مصطلحات اللغة العربية، وإحلال معاني ومصطلحات أجنبيـة بـدلاً منهـا في دنيـا العـرب والإسلام، وغرس ثقافة بلسان أجنبي في بلاد العرب، ورعايتها وفق أسـس وقواعـد وبـرامج المدرسة الأجنبية، وصولاً إلى إقصاء لغتنا العربية واستبدالها بلغة أجنبية ما هو إلا الهدف النهائي لهذه المدارس في الجانب اللغوي بخاصة والثقافة العربية والإسلامية بعامة.

ثانياً: المؤسسات الإعلامية العربية المنفلتة:

إن المؤسسات الإعلامية في أي بلد من بلدان العالم لابد من أن تخضع إلى ترخيص رسمي بكل الإجراءات الرسمية حتى يكتب لها أخذ موقع بـين وسـائل الإعلام المختلفة، ولما كان الأمر كذلك، فالمؤسسات الإعلاميـة تمـر وفـق تشريـع البلد الذي تنوي البث من أراضيه، لـذا فالفضـائيات ينطبـق عليهـا مـا ينطبـق على المؤسسات الإعلامية الأخرى، إن أهمية الإعلام عامـة والفضـائيات خاصـة، كونها تعـد نافـذة عـلى فئـات واسـعة مـن الجماهـير عـلى اخـتلاف مشـاربهم

وأماكنهم، فهي تدخل البيوت حتى حجرة النوم بلا استئذان شئت أم أبيت أيهـا الإنسـان، فهي والحالة هذه تسعى إلى توظيف نمط واحد من لغات التواصل وهي تلك التي يقـف خلفها صانع الكلمة والمخرج والمبرمج في صف واحـد، إن اللغـة العربيـة تعـاني مـن هـذه الفضائيات لأنها تضاهي أي معاناة أخرى، فالأعلام بوصـفه مطلبـاً أساسـياً في حيـاة الفـرد المعاصر صار مصدراً تستقي منه المعلومة، كما تؤخذ عنـه مختلـف المعـارف نظـراً لتنـوع أوعيته وقنواته، فكلها تشد المشاهد أو القارئ أم المسـتمع مـن خـلال ترويجهـا لبرامجهـا المختلفة والمعدة مسبقاً، ومن خلال ذلك تستطيع أن تـروج للغـة التـي تريـد، واللـــهجة التي تريد والخلط بين هذه اللغة وتلك وفق أذواق العاملين بهذه الفضائيات أو تلك (بن موسى، 2008: 256).

إن التحدث باللغة العامية في وسائل الإعلام ومؤسسات التعلـيم، لهـا مـن المخـاطر التي تهدد اللغة العربية، إن المخاطر لا تواجه اللغة وحدها تواجه المتحدثين باللغـة العربيـة أيضاً، لأن اللغة العربية باقيـة ببقـاء القـرآن الكـريم والقـرآن محفـوظ بوعـد مـن اللــه سبحانه وتعالى بآية مـن الـذكر الحكـيم، إن الخـوف عـلى المتحـدثين باللغـة العربيـة مـن عاميات الفن خصوصاً الأغنيات التي تكـون رديئـة وسـخيفة مـن العاميـة، وتـنشر الفحـش والرذيلة المنافية للأخلاق، ومع انتشار هذه الفضائيات يكـثر عـدد المسـتمعين إليهـا، مـما يجعل فئة كبيرة من الشباب يتـذوقون تلـك الأغـاني ويهبـون بالنشـيد بهـا، فتنـدرج عـلى ألسـنتهم تلـك المفـردات العاميـة التـي مـا كـان لهـا أن تنتقـل عـلى هـذه الألسـن لـولا الفضائيات، والتي يميل الشـباب إلى مشـاهدتها، لكونهـا تحمـل الكثـير مـما ينـاسـب فـترة الشباب وخاصة فترة المراهقـة، وهـذا في حـد ذاتـه يهـدد اللغـة العربيـة ويطـيح ببنائهـا ويسهم في إنبات شجرة العامية والــلهجات الأخرى، مكانها وهذا لا يتم بيـوم وليلـة، بـل لابد من فترة زمنية تطول أو تقصر تبعاً للبث الفضائي، والمقدار الذي يسـتطيع بـه جـذب الناس لمشاهدته.

إن اللغة العربية أداة الحاضر العربي وصورة تاريخه القديم والحديث، ومنها تم اقتباس الألوان الحضارية والاجتماعية العربية الدالة على مجريات الأمور ومصائر العرب السابقين، فهي ليست بدعاً من اللغات بل هي أقدمها على الإطلاق (عبد الله، 2005: 20-21)، ولهذا فإن حياة اللغة العربية وحيويتها وإبقاؤها في حالة صفاء رهن استعمال العربي لها، وتعتمد على قدراته على توسيع مجالها وحملها على الاستجابة لحاجات العربي، فإذا ما انعدمت العربية على ألسنة العرب فهذا هو الضياع الذي لا ضياع بعده، وفي هذا التوجه قال الشاعر صقلية " أجنازيوبوتيتا ": (إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها ويظلون أغنياء، فالشعب يفتقر ويستبعد ما إن يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد عندئذ يضيع إلى الأبد) (إمام، 1969: 27).

إن اللغة العربية في وسائل الإعلام - الفضائيات العربية - تتعرض يومياً لموجات من التشويه والتحريف، والواقع أن لغة التلفزيون في شتى البرامج تخترق حرمة اللغة العربية، والحقيقة لا يطلب من رجل الإعلام أو الإعلامية التي تتحدث إلى الجمهور في الفضائيات العربية بلغة سيبويه، و يبالغوا في التقعر والتفاصح، وإنما أقصى ما يطلب منهم هو احترام قواعد اللغة والمعايير المنظمة لها، مما يضفي على أسلوب التقدم مسحة من الأناقة والجمالية، ويكون النأي عن الإسعاف والرداءة والقصور، وللوصول إلى هذا الأمر لا بد من اختيار من يحسن التقدير، في إبلاغ رسالته إلى الجمهور، بحيث يوصل محتواها إلى المتلقي دون التجني على اللغة تطرفاً أو قصوراً (كرم، 1988: 59).

إن الفضائيات العربية ترتكب في كل ساعة ودقيقة على الشاشات الصغيرة في معظمها مجزرة يومية بحق اللغة العربية، تطال أبسط المعلومات وبعض ما هو بديهي منها، في برامج عدة يتحدث فيها مقدموها أو المشاركون في تمثيل حلقاتها أو من خلال تقديم للندوات أو المؤتمرات، فإن التقديم من خلال هذه الفضائيات

يأتي بلغة ذات أداء سيئ أو منحرف كما في كلام بعض المقدمين أو المقدمات لهذا البرنامج أو ذاك المؤتمر وتلك الندوة، فمن الأمثلة على تلك (العريس، 2005: 7) ما يلي :

- أن يطبع المقدم لغته بلهجة مطاطة ومتعثرة بلفظ الحروف وتراكيب الكلمات.

- الخلط غير المبرر بين العربية والفرنسية والإنجليزية ولهجات محلية أو مستوردة.

- عدم إعطاء القواعد العربية أية أهمية، فهناك يقع الخلط في كل يوم وفي كل ساعة أو دقيقة على الشاشة الصغيرة، وهي لا تحصى وتعد بالمئات من نصب للفاعل ورفع المفعول به وجر المبتدأ ورفع المضاف إليه ناهيك بالكوارث التي تحل بالحال والتمييز.

إن ما سبق يعظِّم الخطر أكثر عندما نعلم أم مجتمعاتنا العربية تكثر فيها نسبة الأميين، وتقل فيها نسبة المقروئية، وخاصة في غياب الفضائيات الملتزمة باللغة العربية أو على الأقل المعتدلة التي يمكن أن توجه برامجها لمثل هؤلاء من الأميين، إن اللغة العربية لم تنل حقها بإنصاف في برامج الفضائيات العربية على اختلافها فعلى الرغم من أن عدد القنوات الفضائية العربية يزيد عن (192) قناة حكومية وخاصة إلا أن البرامج التي تقدم بالفصحى قليلة، وأغلبها سيئ التنفيذ والإخراج، ويغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربية، ويفتقد عنصر التشويق، ويعود السبب في ذلك إلى أنها تميل إلى توظيف العاميات المحلية واللهجات المزوجة بالألفاظ الأجنبية فيما عدا بعض المسلسلات التاريخية والأخبار وبعض الحصص الزمنية الخاصة كالبرامج الدينية على سبيل المثال، حتى وليس كل هذه البرامج، إن الفضائيات العربية وفي عصر العولمة هرعت

إلى تبني برامج بعيدة كل البعد عن البيئة العربية، مما أدى إلى استيراد برامج أجنبية مقنعة بالثوب العربي، ومثالها ما يبث على قناة الـ (إم، بي، سي) والبرنامج المعروف بـ (ستار أكاديمي)، وهذا البرنامج بلا شك عربي اللسان ولكن بلهجات مختلفة، ويقوم أحياناً على مزج اللـهجات بلغات مختلفة، ويسوق للعرب على إحدى الفضائيات العربية، على أنه برنامج عربي هادف جذب أعداد كبيرة من الناس ومن مختلف الأقطار العربية وهذا البرنامج في حقيقته ومما لا شك فيه أنه برنامج في نسخته الشرق عربية قد حقق نجاحاً وشهرةً منقطعة النظير، وإن كان الهدف منه فني محض كما يروج له، وأن طموحه هو البحث عن المواهب الحقيقة في مجال الغناء والطرب، وتتويج الأحق بلقب الستار في النهاية، إلا أن المتابع الجيد والمتأمل في برنامج ستار أكاديمي أنه من أكبر البرامج تصديراً لثقافة العولمة، والتي تتناقض مع الثقافة الجماهيرية العربية كما أن البرنامج قد خرج عن أهدافه الحقيقة واتخذ منحى له عدة أبعاد منها (com/123963.html heep://forum.rrro44.)

إن هناك تطاحن واختصار وإهانات بين مختلف المشاركين وهذا ينعكس على بلدانهم، وخصوصاً لكل واحد منهم جمهوره من البلاد التي جاء منها، وهذا هو ضرب تحت الحزام بتمرير صور وعبارات على السن مختلف المشاركين، الهدف منها تشتيت الوحدة العربية، ولأنه يخفى على اقل المتأملين أيضاً أن بعض الصور والعبارات ممثلة في جلسات التقييم للمشاركين، وفي الخلافات المفتعلة وفي قصص الحب المتشابكة، وذلك بفضح الطلاب بعضهم أمام بعض، وخلق الأحقاد بينهم، وبالتالي بين شعوبهم الذي يسعى كل واحد منهم إلى تحدي الآخر، وتزيين صورة مشاركته على حساب الآخر، والغريب في الأمر أن جمهور البرنامج يعلقون آمالاً كبيرة على أخلاق وتصرفات طالب لم يكمل سن النضوج العقلي ليمثل حتى نفسه، إذا كانت تلك الأهداف التي وضعت عند

قيام البرنـامج بالبـث التلفزيـوني عـبر فضـائية ممولـة بالمـال العـربي، وانحرافـه عـن تلـك الأهداف فإن الحقيقة واضحة للعيان أن تلك الأهداف ظاهرية وأمـا الأهـداف الحقيقيـة فهي (http://www.02team.com):

أولاً: تشـجيع الاخـتلاط غـير المشروع بـين الجنسـين مـن الـذكور والإنـاث، وتصـيد الشباب المسلمين وبناتهم، لأنهم هم الهدف الحقيقي لهـذا البرنـامج، وبهـذا يـتم تفعيـل وتطبيق ثقافة العولمـة التـي تـرى بـالاختلاط أمـر مشروع ومحبـذ وتعمـل عـلى تشـجيع الجنسين على ذلك.

ثانياً: الدعوة إلى إماتة الحياء وقتل الغيرة في قلوب المسلمين، وهـذا مـا ترنـوا إليـه ثقافة العولمة، لأنه لا قيمـة للحيـاء في دنيـا الغـرب الصـانع للعولمـة، ولا مكـان للغـيرة في قلوب الغربيين ذكوراً وإناثاً ولطالما العولمة هي بمعناها الفضفاض أمركـة العـالم، فالهـدف إذن جعل ما يجري هناك في شوارع واشنطن يجري في شوارع كل عاصمة عربية.

ثالثاً: الدعوة الصريحة للفاحشة ووسائلها ولأدل على ذلك مـن الاطـلاع ولـو لفـترة وجيزة على بعض البرامج الفضائية لوجد المُطلع الكثير مما تقشعر لـه الأبـدان، مـن صـور خلاعة وكلام فاحش، وأوضاع جنسية، لا تكاد تكون إلا في الأماكن المخصصة لذلك، إن كـل ما يسوق من ثقافة العولمة تلك إلى منطقتنا العربية بلغة غير اللغة العربية الفصحى، بل باللـهجات الرنانة والمطاطة والمقعورة والمقلوبة والممزوجة بالكلمات المستقاة من اللغات الأخرى، وكذلك أغنيات المشاركين كثيراً مـا تكـون بلغـة غـير العربيـة وتسـوق لتطـرق آذان المشاهدين والمشاهدات على طـول وطننـا العـربي الكبـير مـا هـو إلا ضرب للغـة العربيـة الفصـحى، وإن هـذا يعنـي ولادة ثقافـة عولميـة بقوالـب غربيـة وبتعبـير عـربي، إن هـذا له تفسير يقبـع خلـف القنـاع مفـاده أن اللغـة العربيـة ليسـت مهمـة وأنهـا ليسـت في

الغنى المطلوب لتستوعب مختلف التطورات، وغير قابلة للتجديد والتكييف مع ما يتأتى بجديد، إن هذا ما يهدف إليه دعاة العولمة لاغتيال اللغة العربية على اعتبارها اللغة القومية التي تفرد جناحيها على طول الوطن العربي وعرضه، إن مثل هذه التفسيرات التي تتهم فيها اللغات العريقة بالمحدودية والفقر، كاللغة العربية لا تقوى عند أول خطوة للمحاججة، فاللغة العربية لغة الوحي ومصدر الإلهام الثقافي للعربي، والإرث التراثي للأمة العربية على طول تاريخها الطويل، لذا فهي قابلة لملئها بعناصر التجديد والتحديث لخدمة تطور المعرفة، والتعبير عن كل معلومة للتربية والثقافة (أبو هيف، 2002: 418)، لقد حملت لنا الفضائيات المنفلتة عدداً كبيراً من المسلسلات الأجنبية والتي تهدف إلى غزو المنطقة العربية بثقافة غربية عن الوطن العربي، ولجأت هذه الفضائيات إلى (دبلجة) اللغة الأجنبية بلغة عربية من النوع الرديء، كما أنها تسوق عادات وتقاليد لا تتفق والواقع العربي ومثال هذه المسلسلات: "سنوات الضياع" والذي بثته فضائية الـ (إم، بي، سي،1)، و "الحلم الضائع" و " وتمضي الأيام " ، والذي بثته فضائية الـ (أم، بي، سي،4) هذه المسلسلات بثت في الفترة الزمنية بين 2007-2009، إن ثقافة هذه المسلسلات وفدت إلينا من خلال فضائيات عربية ممولة من المال العربي والقائمين عليها عرب، كان بالأحرى من القائمين عليها عدم بث مثل هذه المسلسلات لأنها، في واقع الأمر وفي اعتقادنا تهدف إلى ما يلي:

- تصدير ثقافة هادفة تشجع على السلوك غير السوي بين شباب الأمة العربية وبناتها.

- بناء لغة عربية ركيكة ممزوجة بلهجات مختلفة و بكلمات أجنبية يسهل إدراجها على ألسنة العرب.

- ترويض الشباب العربي كخطوة أولى للتمرد على الثقافة العربية والإسلامية، واستبدالها بثقافة غربية هي ثقافة العولمة.

- سرقة الوقت من الشباب العربي لمشاهدة أحداث هذه المسلسلات التي صممت على الإثارة، وخاصة أن هذه المسلسلات طويلة في حلقاتها تحتاج إلى شهور للانتهاء منها.

ويبقى القول أن الجيل الذي يتربى على اللغة العربية الفصحى، هو الجيل الذي تأسست لديه الملكة اللغوية الفطرية بصورة صحيحة، وبالتالي تشكل هذه الملكة نقطة مضيئة بالاتجاه الصحيح، فهناك فضائيات ناطقة بالعربية الفصيحة تمثل نقطة على الطريق الصحيح لتقويم النطق اللغوي العربي، وهي مشروع نوعي على طريق تقويم وتصحيح الوضع اللغوي العام، وتنظيف البيئة اللغوية من جزء لا بأس به من الملوثات، والتي تحدث في نفس الطفل تشوهاً لغوياً، أو في أحسن الأحوال لهجة لغوية تكون على حساب قدرته التعبيرية وطاقاته الإبداعية عموماً، إن مثل هذه الفضائيات ليست هي مدار البحث في هذه الدراسة، وإنما تلك الفضائيات المنفلتة من كل قواعد الأدب والخلق والدين وقوام ذلك هو اللغة العربية.

إن الفضائيات العربية تلقى ترحيباً من المشاهدين العرب، ويظن البعض أن هذه الفضائيات ما دامت تنطق باللغة العربية فكل ما تبثه لصالح العرب، وإنما في الحقيقة،ه ليس جميعاً سمناً بل يخالطه السم اللغوي وخاصة والحديث عن اللغة العربية، هذا السم يتسلل من الفضائية عبر البرنامج إلى أذن وسمع المشاهد فيسيطر على الذات الفردية والتي تؤدي بدورها إلى السيطرة على منافذ الذات الجماعية، وهذا هو الاستلاب الذي يصبح به الفرد العربي ناطقاً باسم المرجعيات التي يريد الآخر أن نقوم نحن بمهمة ترويجها والإشادة بها، إننا ما نريده من الفضائيات ألا تكون السبيل إلى تسلل ثقافة الآخر إلى ذواتنا العربية، وما نريده أيضاً أن تعمل على تعزيز ثقافتنا العربية باللسان العربي المبين.

المطلب الثاني
تحديات الصعيد الشعبي العربي

مما لا شك فيه أن الآخر إذا ما أراد اختراق جبهة مجتمع ما، فإنه يعمل على تحسس مواطن الضعف فيه، ومن خلال الجبهة الأضعف يعمل على التسلل من خلالها، ولما كانت الطبقات الثقافية الشعبية في اعتقادنا هي الثقافة الأضعف في أي مجتمع من المجتمعات، لكونها في العادة أقل ثقافة، وتكثر فيها نسبة الأمية، لذا ينطلي عليها الكثير من الأفكار التي تسوق إليها عن قصد أو عن غير قصد، أضف أن لديها القابلية للتصديق، وخصوصاً إذا كانت تلك الأفكار جاءت من الخارج ومن مصدر قوي علمياً أو اقتصادياً...إلخ، إن الثقافة الخارجية تعمم عن طرائق مختلفة وسريعة وفعالة من خلال الجهود الإعلامية ضمن عمليات الاختراق القيمي للثقافات بعامة وللثقافة العربية على وجه الخصوص، ولما كانت أبواب الثقافة العربية مفتوحة للجميع فإن التحديات أخذت تدخل من خلالها للغة العربية، إن هذا الأمر يحصل في كل الثقافات إلا أن المؤسف له، أن التحديات التي تعصف باللغة العربية في معظمها من صنيع أهل اللغة أنفسهم، وفي هذا المطلب سنتناوله من خلال فقرتي تحدي هما:

أولاً: ظاهرة العامية واللهجات المحلية.

ثانياً: ظاهرة الأمية واللاوعي العربي.

أولاً: ظاهرة العامية واللهجات المحلية:

انتشار العاميات المعاصرة وطغيانها على اللغة العربية، يكاد ينسي ما واجهته اللغة قديماً من صراع، مع مختلف اللهجات عند بدء العمل الأول الذي على أساسه، بنيت قواعد الأصول في جميع مستويات اللغة، وإن كان المعجم لم يستثني شيئاً من روافد اللغة التي كانت لهجات أصيلة لا تبتعد عن المتفق، كما

هو الشأن بالنسبة للفارق اللغوي الذي نشأ عن اختلاط العرب بالعجم، هذا التلاقح اللغوي الذي حدث بانفتاح الأمصار على بعضها وتواصلها فيما بينها، أدى إلى ظهور ألفاظ هجينة ليست لها انتماء محدد، بالرغم من كونها أجرت اللحن على اللسان العربي، بوصفه الأداة المطلوبة للتواصل والتبليغ، فمن كان له الخطوة في الدخول إلى الإسلام هو الذي عمل أولاً على تحريف بعض الكلمات التي استعصت على لسانه، فأعمل في ألفاظ اللغة العربية التغيير والتحويل والتبديل، وما من شأنه أن يطاوع نطقه، ويجعله ضمن حلقة التواصل مع البيئة اللغوية الجديدة التي استقطبته عقيدتها واستعصى عليه نطق مفرداتها.

إن العامية في المجتمعات العربية تعمل كتحدي لهذه اللغة فعملت فيها هي الأخرى التحريف والتحويل والتبديل والتغيير، في ألفاظ اللغة العربية وهي كثيرة ومتشعبة، حيث تظافرت عدة عوامل أسهمت في انفصال اللسان العربي عن أصله اللغوي، واستبداله بلفظ ومنطوق لغوي جديد لا يكاد يمت للأول بصلة، عدا تلك البقايا التي ما زالت الفصحى تفرضها على العامية فرضاً، وتحشرها بين مجموعة ألفاظها، نظراً لحاجة العامية لها لما تؤديه من دلالات خاصة، حاول الذهن الاحتفاظ بها لتعلقها بعرف اجتماعي أو معتقد ديني، وهذا يجعلنا في أمر لا مفر منه لبيان أسباب انتشار العامية والتي أهمها (بن موسى، 2008: 247):

1.أسباب تاريخية: حيث تمتد جذور أزمة ابتلاء الفصحى بغيرها من الألفاظ الوافدة إلى عهد الفتوحات الإسلامية، وما نجم عنها من دخول طوائف كثيرة ومتنوعة من حيث الأصل واللغة، غير أن هذا لا يمكننا التأسيس عليه في تتبع منشأ أزمة العامية تاريخياً ، لأن ذلك لم يكن له كبير الأثر على واقع اللغة، إذ أنها هي التي سيطرت بوصفها لغة الدين ولغة العلم بعد ذلك، مما أدى إلى سهولة حصر كل دخيل أعجمي غير مرغوب فيه، وتصنيفه ضمن تصنيف يشير إلى أنه دخيل وليس من العربية بالأصل،أضف إلى عهد الفتوحات الإسلامية،

هناك دور للمستعمر في تهميش لغة القوم، والعمل على إحلال لغته بدلاً منها، وهـذا مـا جرى في عهد جمعية الاتحاد والترقي التركية بقيادة مصطفى كمال أتـاتورك عنـدما أصـدر مرسوماً بتعطيل العمل باللغة العربية واستبدالها باللغة التركية، وهذا ما عرف (بالتريك).

2.أسباب جغرافية: غالباً ما يعيش الأفـراد في وطـن جغـرافي واحـد تجمعهـم لغـة واحدة، ومع ذلك نجد تبايناً بين مناطق الحضر والباديـة، إذ يختلفـون في نوعيـة العاميـة المستخدمة، ففي الجزائر على سبيل المثال لا الحصر تعـد اللغـة العربيـة اللغـة الرسـمية بحكم الدستور الوطني لا غير، إلا أن هناك لهجات لا تعد ولا تـحصى فكـل منطقـة تعـج بلهجات رئيسية وأخرى فرعية حتى في حدود مفهوم المدينة الـذي تختلـف طبيعـة كـلام سكانها في الأطراف عنها في المراكز من حيث التنوع الصوتي ونوعيـة الألفـاظ المسـتخدمة، فلو تمسكت كل لهجة بما تنطق به لعز التواصل بين بعض المناطق في هذا البلد، إن اتساع المساحة أدت إلى جغرافية الـلـهجة كما هي الحال جغرافية المكـان، فمـن كـان أقـرب إلى الحدود مع دول أخرى لهم معجم لهجي، يكاد يختلف عن معجم أهل المناطق الوسطى، فكـأن العاميـة في حـد ذاتهـا ازدوجـت مـرتين، مـرة بانحرافهـا عـن أصـل اللغـة العربيـة وامتزاجها باللغة الفرنسية بوصفها لغة المستعمر، ومرة كما حدث لها من امتزاج بلهجات دول مجاورة (مرتاض، 2004: 43).

3. أسـباب اجتماعيـة: إن هنـاك طبقـات في كـل مجتمـع مـن المجتمعـات العربية تبعاً لأماكن سكناهم، فالذين يعيشون في كبرى المدن لهم ثقافتهم الخاصـة بهم تسود بين أفراد مجتمعهم، لكون اتصالهم بالعـالم الخـارجي ميسـور، فضـلاً أن هناك ارستقراطيين، فإنهم يختارون الألفاظ التي تعبر عن واقعهم الذي يختلف عن واقع المناطق الأخرى، إن هذا التقسـيم ينشـأ عنـه مفـردات لهجيـة تصـنع الفـرق الضمني بين طبقات المجتمع، ويتضح هذا في تنوع صور المنطـوق الواحـد والمعنـى

وهذا يؤدي في النهاية إن لم يكن واقعاً مسموعاً إلى صناعة حواجز تواصلية عندما يحاول المتكلم أن ينسجم إلى طبقة أخرى غير طبقته، فإذا ما اجتمع أبناء عدة طبقات مع بعضهم البعض فإن المفارقة اللهجية تتضح بوضوح (فندريس، 1950: 315)، إن هذه اللهجات منبعها الطبقية في كل المجتمعات، وخصوصاً إذا علمنا أن الثروة محصورة بيد قلة في المجتمعات العربية، وهذه القلة لها خصوصيتها اللغوية التي تبتعد عن اللغة العربية بلهجة طنانة ومقلوبة وبرطانة خاصة.

4. أسباب فردية: إن منشأ هذه اللهجات يعود إلى أسباب تتعلق بالفرد وحده ولا تتعداه إلى غيره، فمثلاً نجد الفرد يساهم في نشوء اللهجات لظروف أحيطت به، في حين لم تحط هذه الظروف بفرد آخر، فمثلاً الأخطاء التي تحصل للفرد في مستويات التعليم الدنيا عنده لم تعالج، وكذلك عيوب النطق المعروفة بأمراض اللغة وعلى اللسان لم تعالج، مما يؤدي إلى نشوء عدد قليل من الألفاظ تنمو على هامش البيئة اللغوية للفرد، كما تؤخذ بوصفها دعابة تندرج تلقائياً في الوسط الاجتماعي، ثم سرعان ما تتحول إلى لفظ عامي يستخدم، هذه الألفاظ ذات المنشأ الأحادي لا تشكل خطراً كبيراً على اللغة، إلا أن ألفاظها تندرج تحت قائمة الألفاظ العامية وإن قلت في اللغة العربية.

5. أسباب الهجرة: إن الوطن العربي يعج بالثروات وخاصة مادة البترول، حيث أدت هذه الثروة إلى استجلاب العدد الكبير من العمالة ومن دول مختلفة من الشرق والغرب، إن لهؤلاء خصوصيتهم اللغوية فمع هجرتهم هاجرت هي الأخرى معهم، أضف أن استقدام عدد كبير منهم ومن كلا الجنسين ليعملوا في البيوت، كخدم ومربيات أدى إلى إدراج الألفاظ العامية على ألسنة هؤلاء مع طول الإقامة، لكون العامية هي الأكثر استخداماً خارج دور العلم على اختلافها، أدى ذلك إلى ترسيخ هذه اللهجات المنبثقة من عامية اللغة على ألسنة هؤلاء المستخدمين، ومن خلالهم تسربت إلى الأطفال الذين تقوم

الوافدات بتربيتهم، ومع الزمن أصبح الأطفال شباباً فيحملوا لغة المهد معهم طيلة ما بقي لهم من أعمار، وكأنها هي الأصل اللغوي والبديل عن اللغة العربية الأصيلة.

إن العامية ما هي إلا نعرة من نعرات الفكر الاستشراقي وأداة من الأدوات الاستدمارية التي فعّلها الاستدمار - الاستعمار - يوم أن احتل البلدان العربية، وذلك من أجل اختراق السور اللغوي المتين الذي يجمع كل أبناء العروبة بلغة مميزة تختلف عن بقية اللغات، وصولاً إلى التشكيك بتراثهم الأبيض الذي حملته الأيام، لقد عمل الاستدمار على تغيب بعض الألفاظ العربية تدريجياً ووضع ألفاظاً بدلاً منها، ولهجات لا تعبر عن المعنى المراد بالقدر الذي تعبر عنه ألفاظ العربية الفصيحة، لقد أعمت العامية بصائر الخاصة من المثقفين قبل عوامهم وجعلتهم يستسلموا لرغبات الأعداء،وخصوصاً إذا علمنا أن دراسة معظمهم في بلاد الغرب، فأصبحت لغتهم الأصلية ليست العربية بل لغة البلاد التي درسوا فيها، وأخذوا بعد ذلك بتدريس أبناء العرب وهم لا يحسنون إجادة اللغة العربية، فما لهم من تعبير لشرح مادتهم أمام هؤلاء الطلبة إلا لغة الشارع التي لن ينسوها نتيجة المخالطة لغيرهم في الأسواق والمناسبات على اختلافها، وبالتالي فإن اللغة العامية تنتقل من الشارع إلى الصفوف داخل معاهد العلم من المستوى الأدنى حتى المستوى الأعلى، إن الأخذ باللغة العامية وهجر اللغة العربية الفصحى له سلبياته الكثيرة منها عودة القبلية المقيتة، والتعنصر لجبهة أو للعرق، وهذا ما يحدث في بلاد المغرب العربي، حيث ينادي البربر بوجوب اعتماد لغتهم كلغة أصلية ومعتمدة بالشارع الجزائري، والأكراد في شمال العراق بالمناداة بنفس نداء البربر بجعل لغتهم هي الأخرى اللغة الرسمية بجانب اللغة العربية، إن ما تحمله اللغتين من ألفاظ ولهجات يعني إعطاء اللغة العربية والفصحى إجازة مفتوحة لتهجر أرض البربر والأكراد إلى الأبد، وهذا ينتقل تأثيره على الوسط العربي نفسه.

إن اكتساب العامية انطلاقاً من منابر العلم نفسها يؤدي إلى جعل اللغة العربية الفصحى في أذهان الأجيال القادمة لغة اللاوعي واللاحضور في مسرح العولمة الثقافية المتزايد، إن إقصاء اللغة الفصحى وعدم حضورها في واقع الاستعمال اليومي عمل جائر إلى أن يشهد الواقع خلاف ذلك بعدتها عندما استأثرت ببناء فكر حضارة ما زالت شواهده حاضرة إلى اليوم على أسوار غرناطة ومساجد طليطلة وبلد الوليد في الغرب الإسباني وعلى مآذن القسطنطينية وأماكن أخرى.

إن ارتباطنا بالفصحى هو ارتباط وثيق بذلك الموروث الحضاري الذي ارتضيناه منذ اليوم الأول الذي تكلم به أول لسان عربي بلغة الضاد، وصقل ذلك اللسان منذ أربعة عشر قرناً مضت، عندما نادى الرسول الكريم ﷺ بنداء الله أكبر، إن ابتعدنا عن هذا الموروث اللغوي الفصيح، واستبدلت بعض ألفاظه بلهجات واستبدال حتى الموروث نفسه بألفاظ عامية، مما لا شك فيه فإنه يبعدنا عن فهم صحيح لشريعة الإسلام وعقيدة التوحيد، وهما يشكلا الخصوصية للأمة العربية والإسلامية، لا يشاركها أحد في هذا الموروث العقائدي واللغوي في آن واحد، حيث أن اللغة العربية الفصيحة تشكل الوعاء لهذا الموروث، وبتشويهها بالعامية يؤدي إلى الالتباس على الكثيرين معرفة ما تهدف إليه معاني الأصول العقائدية، إننا لا نخش على اللغة العربية لأنها محفوظة بحفظ القرآن الكريم لقوله تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ {9/15}**) [الحجر:9]، وإنما نخش على المتكلمين بالعربية الفصحى إذا ما ارتضوا بالعامية بديلاً عن اللغة الفصحى، أن يضيعوا بعد الهداية في دروب الظلال.

ثانياً: ظاهرة الأمية واللاوعي العربي:

إن الأمية إذا ما حطت رحالها في مجتمع من المجتمعات يرافقها تغيب اللاوعي، وهذا ما نلحظه في المجتمعات العربية فحالة اللاوعي أصبحت صفة

متأصلة فيها، وذلك بسبب تعدد حالات الأمية على الساحة العربية، إن أول ما يتبادر للذهن والحديث عن الأمية في الوطن العربي، هو سؤال مفاده ما هي الأمية وما أسبابها وكيف يمكن تلافيها؟؟ وفي هذه الفقرة سنتناول ذلك على النحو التالي:

أ- **الأمية**: فهي ما تعرف بأنها: ظاهرة اجتماعية سلبية متفشية في معظم أقطار الوطن العربي والعالم وبخاصة النامي منه ولها أسماء عدة تبعاً لتنوعها منها: الأمية الأبجدية وهي ما تعنيه عدم معرفة القراءة والكتابة والإلمام بمبادئ الحساب الأساسية، ويعرف الإنسان الأمي بأنه كل فرد بلغ الثانية عشرة من عمره، ولا يلم إلماماً كاملاً بمبادئ القراءة والكتابة والحساب بلغة ما، ولم يكن منتسباً إلى مدرسة أو مؤسسة تربوية وتعليمية. وأما الأمية الحضارية فهي ما تعنيه عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والفلسفية والأيديولوجية، والتفاعل معها بعقلية ديناميكية قادرة على فهم المتغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي فعال يحقق الانسجام والتلاؤم ما بين ذواتهم والعصر الذي يعيشون فيه، وتنقسم الأمية الحضارية من حيث المبدأ إلى عدد غير قليل من أقسام وفروع الأمية، فتندرج تحتها عدة أميات فرعية وهي: الأمية الثقافية،والأمية العلمية، والأمية التكنولوجية، والأمية الفنية، والأمية الجمالية، والأمية الصحية، والأمية العقائدية (تيشوري، 2005: 1)، وبهذا الفهم للأمية تصل نسبة الأمية بكل أنواعها في الوطن العربي (97%)، وإذا ما تم استثناء بعض فروع الأمية، وأخذنا نسبة للأمية بشكل عام فإن عدد الأميين في نهاية القرن العشرين بلغ (45) مليون من الإناث و (25) مليون من الذكور فيكون مجموع الأمية من كلا الجنسين (70) مليون أميتهم أبجدية وتجاوزت أعمارهم (10) سنوات.

ب- أسباب تفشي الأمية: إن هناك أسباباً وراء تفشي الأمية في الوطن العربي، وهذه الأسباب تتفاوت من قطر إلى آخر فمنها أسباب سياسية وأخرى اجتماعية وثالثة ثقافية وأخيرة اقتصادية وهذه الأسباب هي (منتديات،2004: 3):

- عدم تطبيق التعليم الإلزامي بشكل كامل في أقطار الدول العربية.

- عجز بعض الحكومات العربية عن تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والتربية.

- عدم جدوى الإجراءات التي تتخذ بشأن مكافحة الأمية، وتعليم الكبار في البلاد العربية.

- عدم ربط التنمية الثقافية والاجتماعية في البلاد العربية، بالتنمية التربوية التعليمية.

- تدني مستوى المعيشة وانخفاض مستوى الدخل في معظم الأسر العربية، مما يدفع إلى تسرب الأطفال إلى سوق العمل وترك التعليم.

لذا فعلى الدول العربية أن تعمل جاهدة للحيلولة دون هذه الأسباب وقطع الطريق على كل منفذ يؤدي إلى الأمية، وذلك كتطبيق التعليم الإلزامي، وإقامة دورات فاعلة للكبار، وتقديم الحوافز المادية والمعنوية للمتحررين من قيد الأمية، ونشر الوعي الثقافي والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى التي حققت نسب متدنية في مجال محو الأمية، إذ بلغ عدد الأميين في هذا الوطن خمس و سبعين مليون شخص، وقد ورد هذا التقرير في الذي قدم في اجتماع المجلس التنفيذي الأخير من العام نفسه لمجلس التربية والتعليم التابع لجامعة الدول العربية، وذكر التقرير أن هذا العدد يعادل ضعف المتوسط العالمي للأمية، كما ورد في التقرير المذكور أن عدد الإناث يقترب من ضعف عدد الذكور، ومن المعطيات الصادقة في هذه الوثيقة نذكر أن مصر احتلت المرتبة الأولى بـ (17) مليون أمي، ويليها

السودان ثم الجزائر ثم المغرب واليمن، في حين احتلت الرتب الأولى في باب تدني نسبة الأمية كل من: الأردن والإمارات العربية المتحدة وقطر ثم البحرين والكويت، ومن المعلوم هنا أنه لا سبيل للمقارنة بين النتائج بحكم عدم تناسب الكثافة السكانية، وعدم تناسب الموارد الاقتصادية بين مجموعتي الدول الأولى والثانية (عبد اللطيف، 2005: 5).

إن العرب يواجهون في مطلع القرن الحادي والعشرين قرن التطور المذهل لمجتمع المعرفة نتيجة الطفرات الحاصلة في تكنولوجيا المعلومات، معضلة انتشار الأمية في المجتمعات العربية ذات الكثافة السكانية المرتفعة، وهذا الأمر يحتاج إلى مراجعة من أعلى صناع القرار في الوطن العربي بعامة، والدول ذات الكثافة السكانية بخاصة، والتركيز على ضرورة محو الأمية، وبصورة جدية لأن الإنسان يعتبر كقيمة عليا في مجال التنمية والتقدم، وهذا بعد أن أصبحت الموارد البشرية المؤهلة تشكل اليوم دعامة مركزية من دعامات البيئة الاقتصادية والاجتماعية.

إن أرقام الأمية التي ذكرت في التقرير يساعدنا على إدراك فشل سياسات التعليم في كثير من الأقطار العربية، وهو الأمر الذي يؤكد مطلب الإصلاح في مجالات التربية والتعليم المختلفة، والدفع نحو الاستفادة من المكاسب والمنجزات التي حققتها الأنظمة التربوية التي تتدنى بها نسبة الأمية، إن ما نذهب إليه من التخوف في باب العولمة الثقافية واللغة العربية، ليس من أولئك النفر الذين تعتبر أميتهم أمية أبجدية، بل ما نحن بصدده أولئك الذين يحملون الشهادة العلمية ولكنهم لا يعرفون القراءة الصحيحة والكتابة الصحيحة والنطق الصحيح، وفق قواعد اللغة العربية التي وضعها أولئك النفر الذين نفروا من بين الصف وشمروا عن سواعدهم ووضعوا قواعد ناظمة لتلك اللغة و لا يدركون ما وراء الإقبال على الثقافات واللغات الأخرى، وخاصة الثقافة الغربية التي تجللها اللغة الإنجليزية، إن تأثير الأمية تلك التي نود بيانها هي التي تتمتع بها الفئة التي تأخذ

من النماذج الحضارية الغربية كل صغيرة وكبيرة وتعتد به، ونقل هذه النماذج إلى العالم العربي والإسلامي و بلغة الغرب، فهي تنقل بلا وعي وبلا تحسب لما سيقع في المستقبل، والمهم عندهم يومهم الذي يعيشون، ومثل هؤلاء كان عليهم ترجمة ما هو غربي، لكونهم يتقنون اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية الفصحى، لكونهم أبناء لغة الضاد "اللغة العربية "، ليس نقل كل ما هو غربي بل ما هو نافع ومفيد بعد تنقيته من كل شائبة، وبذلك يقدمون خدمة لأبناء أمتهم، وهذا جزء من رسالتهم الوطنية لأبناء وطنهم، ورسالتهم القومية لأبناء أمتهم، ورسالتهم الدينية لأبناء دينهم.

وأما في مجال القضاء على الأمية، فهذا يقع على عاتق الدول العربية والمؤسسات التابعة لها، وعليها الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى كاليابان التي احتفلت في أيار عام 2009 بالقضاء على الأمية، ولنجاح ذلك لابد من أن يقف وراء هذا الأمر نخبة مخلصة ترى بالأمية مرضاً خطيراً قد يهلك الأمة ويفنيها والتعرض لأساليب وطرق محو الأمية ها هنا لا نتعرض له لأنه خارج عن أهداف الدراسة ومراميها.

* * *



الفصل الرابع

آثار العولمة الثقافية على اللغة العربية

الفصل الرابع

آثار العولمة الثقافية على اللغة العربية

لا شك أن العولمة الثقافية تركت بصماتها ولا زالت على اللغة العربية، فاليوم بلا شك نواجه مشكلة لغوية قد تؤدي إلى انحراف اللسان العربي وفقد هويته، فنصبح نحن العرب أقواماً ناشزة متنافرة بعد أن كنا أقواماً متعاونة مؤتلفة، وهذا بدوره يؤدي إلى الخلط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، الأمر الذي يحتم علينا إعداد منهج تربوي لغوي عربي عام وشامل للميادين التطبيقية، في البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع بأسره، إن الفوضى اللغوية أو ما يمكن تسميته بالتلوث اللغوي أصبح واضحاً كل الوضوح الآن في السلوك اللغوي العربي عند الشباب، خاصة وهم رجال المستقبل في حاراتهم ومدارسهم وجامعاتهم وأماكن العمل التي يعملون بها، إن التغريب الثقافي أو العولمة الثقافية لها جذور ووجود من وقت غير قصير، إن آثار العولمة الثقافية على اللغة العربية له من السلبيات ما يفوق الإيجابيات، إن كان هناك جانباً إيجابياً في هذا التيار العولمي الزاحف من الغرب الذي لم ينسلخ لغاية الآن، رغم التقدم في كل مجالات الحياة عن ثوبه الاستعماري، القائم على استعباد الشعوب منذ أن لبسه، شهد العالم أنماطاً من العولمة والعالمية في حروب اليونان والرومان وفي الفتوحات الإسلامية، لكن العولمة المعاصرة هي الأخطر لكونها جاءت عن طريق الاقتصاد ولقمة عيش الشعوب وعن طريق الثقافة لتبسط قوتها وهيبتها على شعوب الأرض، وعولمة الثقافة هي الأخطر لأنها تسرق من الأمة العربية مقومات

وجودها، واستبدال هويتها بهوية أخرى، هذه الثقافة المغزوة هي ثقافتنا العربية والتي عنوانها اللغة العربية، وفي هذا الفصل سنتناول آثار العولمة الثقافية على اللغة العربية وفق ما أسلفناه من تحديات للوفاء بمنهجية البحث وذلك في مبحثين هما:

- المبحث الأول: أثر التحديات الخارجية على اللغة العربية.
- المبحث الثاني: أثر التحديات الداخلية على اللغة العربية.

المبحث الأول
أثر التحديات الخارجية على اللغة العربية

إن الحديث عن آثار العولمة اليوم يختلف عنه بالأمس، حيث كانت العولمة في بداية هبوب رياحها تعني عولمة اقتصادية والتي تمثلت في عولمة الاقتصاد الرأسمالي، إلا أن الحديث اليوم بدأ بالحديث عنها من منظور ثقافي، ذلك لأن العولمة الثقافية كما يراها الكثيرون قد تركت آثاراً كبيرة على حياة الجنس البشري في مشارق الأرض ومغاربها منها الإيجابية والسلبية، أما آثار العولمة الإيجابية ثقافياً فمنها توفير الوسائل الحديثة ليس فقط لنشر الثقافات المحلية، والمحافظة عليها في حدودها، وإنما أيضاً للتعامل عبر الثقافات بين الأمم، مما يمكن من خلال ذلك تبادل الاستفادة والاحترام بين أبناء الثقافات المختلفة.

وأما تلك الآثار السلبية التي تركتها العولمة الثقافية فمنها اختفاء الحدود الثقافية بين الأمم، حيث أن الإنسان في هذا العصر، يكاد لم يعد ينتمي إلى ثقافة أرضه ودينه، إنما ينتمي إلى الثقافة السائدة دولياً، وهي كما يتفق عليها الكثيرون الثقافة الغربية، بمعنى آخر يعني انتماء الفرد لم يعد على أساس الحدود الجغرافية والدينية، وإنما على أساس السيادة الثقافية في تيار العولمة، وهذه لأنها لغة الغرب، وبالتالي هذا ما يمكننا أن نطلق عليها عولمة اللغة، وفي هذا المبحث سنتناول أثر التحديات الغربية المباشرة وفق ما تم الحديث عنه في فصل التحديات وفاءً للمنهجية العلمية التي تقضي بتناول التحدي و أثره وعدم الذهاب بعيداً في تناول آثار لم يتم الحديث عن التحديات التي كانت بمثابة السبب في إيجادها، وعلى هذا النحو فإننا سنتناول تلك الآثار في مطلبين رئيسيين هما:

- المطلب الأول: أثر التحديات الغربية المباشرة.
- المطلب الثاني: أثر التحديات الغربية غير المباشرة.

المطلب الأول

أثر التحديات الغربية المباشرة

ذكرنا أن التحديات الغربية غير المباشرة تتمثل بالعبث بتركيبة اللغة العربية، والحط من أهمية المدرسة العربية ومدرسيها وإن لهذه التحديات الغربية المباشرة آثاراً لا تكاد تحصى على اللغة العربية، لكون العبث باللغة العربية جاء من خلال العبث بالحرف العربي والكلمة العربية والخط العربي والقواعد الناظمة لهذه اللغة، الأمر الذي جعل لغة الضاد تهتز الثقة بها في نفسية النشء، على الرغم أنها لغة تحمل في ثناياها كل مقومات القوة، وتضاهي اللغات الأخرى كلغة معبرة عن هوية الأمة العربية، ومقوم من مقومات وحدتها تستند إليه، إن التحديات المباشرة في واقع الأمر أعطت أكلها، وأصبحت اللغة العربية الفصحى اليوم لا ينطق بها إلا اللغويون الذين اختاروا اللغة العربية كتخصص جامعي، و أولئك الذين تقترب لغتهم من اللغة العربية أو لنقل أولئك الذين لا يفهمون تخصصهم العلمي إلا باللغة العربية كطلبة كليات الشريعة وأساتذتهم، وما شابه هؤلاء وفي هذا التوجه سنبين بعض الآثار التي تركتها التحديات الغربية على اللغة العربية وعلى النحو التالي:

أولاً: زعزعة الثقة باللغة العربية.

ثانياً: تعميم النموذج اللغوي العربي.

أولاً: زعزعة الثقة باللغة العربية:

لقد كان أثر هذا التحدي الخارجي المباشر على اللغة العربية فالعبث بتركيبتها أدى إلى انصراف الناس عن دراسة هذه اللغة و الموروث العربي: وفي هذا الصدد سنتناول ذلك بفقرتين هما:

أ. انصراف الناس عن دراسة اللغة العربية: فقد كان من الأسباب التي جعلت الناس ينصرفون عن دراسة اللغة العربية والإلمام بها كتابةً وقراءةً تلك

الهجمة الاستدمارية عليها، وهذا بدوره انعكس على واقع اللغة العربية في بيئتها، وقد برروا ذلك بالأسباب المتعلقة بصعوبة اللغة العربية، لقد زعم المنادون بهذه الصيحة أن قواعد اللغة العربية صعبة ومعقدة، وبالتالي فإن الجهد المضني الذي يبذل لفهم هذه القواعد سيكون بدوره صعب وشاق، حتى وإذا ما تم تذليل كل الصعاب يبقى شأن اللغة العربية متخلف عن ركب اللغات الأخرى في الالتحاق بركب التقدم وعصر التكنولوجيا (حسين، 1986: 366- 367)، إن هذا الأثر يحتاج إلى تدليل فالناظر في الجامعات العربية يجد الإقبال على دراسة اللغة العربية في كليات الآداب أقل منه في بقية الكليات الأخرى بالجامعات، والمقبولين على تخصص مادة اللغة العربية، هم واحد من اثنين، الأول دفعته الرغبة لدراسة اللغة العربية وهؤلاء القلة القليلة، والثاني لم يسعفه معدله بالالتحاق بكلية أخرى كالتجارة على سبيل المثال (جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، 2004: 29)، أضف أن الجامعات العربية والأقسام ذات الاختصاصات أخفقت في إكساب الطلبة مهارات اللغة العربية، وفي هذا المضمار يلمس الجميع مشاكل عديدة وعميقة، إذ يتحدث معظم دارسو أوضاع الجامعات أو التعليم العالي إجمالاً عن ضعف عام لدى الطلاب والخريجين في اكتساب المهارات اللغوية، وتعد هذه المهارات من المتطلبات الأساسية لسوق العمل، فكثير من الخريجين وخاصة أصحاب التخصصات لا يجيدون استخدام اللغة العربية الفصحى بدرجة كافية، تؤهلهم للاستفادة منها في المجالات العلمية مثل كتابة خطابات أو رسائل، أو إلقاء محاضرات، أو المشاركة في ندوة، أو كتابة تقرير دون أخطاء لغوية أو إملائية أو نحوية، أو أن تكون المفردات المستخدمة معبرة عما هو مقصود وهذا عامل مهم للنجاح في الحياة العملية، ومصدر مهم لكسب ثقة الطرف الآخر الذين يتعاملون معهم (باقدر، 2003: 11).

إن اكتساب المهارات وأهميتها منبعها من البيت ثم المدرسة ثم من الجامعة قبل أن يصبح الطلاب في صفوف العاملين، إن هذا يعني الكثير، إن

معلمي هؤلاء لم يكونوا بالمستوى الذي يؤهلهم ليقوموا بمهنة التدريس الجامعي، أو أن هؤلاء المعلمين وجدوا صعوبة في إكساب هؤلاء الطلبة تلك المهارات، لكونهم لم يؤسسوا عليها في مراحل تعليمهم ما قبل الجامعة، وهذا له أسبابه والتي تكمن في المنهاج الدراسي الذي درس عليه، فالكتاب المدرس في معظم البلدان التي تستخدم غير العربية يكون " أجنبياً " مستورداً والمدرسة التي تخرج منها البعض مدرسة أجنبية وإن كانت في الوطن العربي لا تلقى للعربية أية أهمية في محطات المنهج إلا القليل.

ب. انصراف الناس عن دراسة الموروث الإسلامي، ويتم هذا بعزوف الناس عن دراسة التخصصات التي لها علاقة بالموروث التاريخي كالأدب القديم وبقية الموروثات وهذا له أهدافه البعيدة، منها تفريق المسلمين عامة والعرب خاصة بتفريقهم عن لغتهم، وترك اللغة العربية يترتب عليها مفارقة لغة الأدب، وما جاء بالكتب الموروثة وخاصة تلك المتعلقة بالدين الإسلامي، أضف أن ذلك سيقطع ما بين أصحاب اللغة العربية وبين قديمهم، والحكم على كل تراثهم بالموت (حسين، 1986:384)، ولا يصبحون أمة واحدة حتى تكون لغتهم واحدة، وتنقطع صلتهم بالماضي إذا انقطع موروثهم التاريخي وبالتالي فالعزوف عن دراسة تلك التخصصات كالتاريخ مثلاً يعني التخلي عن أمجاد الماضي الذي بوأ العرب أعلى المنازل بين الأمم فهذا أحدهم تخرج من الجامعة ويحمل مؤهل التاريخ وبقي عشرين عاماً حتى أصاب وظيفة، فهل يقبل أحدهم على دراسة التاريخ والأمر الذي حل بمن سبقه ما حل، التخصصات ذات العلاقة بالموروثات القديمة لقد باتت في مؤسستنا العلمية على اختلاف مستواها مهددة إلى حد كبير بالانقراض، فالذي يحمل تخصصاً كالتاريخ مثلاً فكأنه يبيع سلعة بائرة لا قيمة لها، في حين نجد التاريخ أكبر محرك ليقظة الشعوب، ولنا في ذلك مثال كبير من واقعنا العربي، يكمن في تحرير الجزائر التي عاشت أكثر من قرن من الزمن

تحت براثن الاستدمار الفرنسي، فعندما جاء المجاهد عبد الحميد بن باديس، وجد أن إحياء الأمة بإحياء لغتها العربية فعمل على تدريس اللغة العربية وباللغة أحيا شعيرة الدين وأشعل فتيل الحرية، وباللغة العربية أيقظ الأمجاد في نفوس الجزائريين وبعدها لوح باللغة العربية شعار هوية، وبالدين مبعث العقيدة، وبالتاريخ مخزون الأمجاد العربية وإذ بالناطقين بالفرنسية من الجزائريين هم أول الثائرين عليها (فرسوني، 2009: 35 – 40)، إن الدروس التعليمية في مناهج الدول العربية المتعلقة بالتاريخ، تكاد تكون معدومة في كثير من البلدان، وتلك التي تأخذ بها، ما هي إلا دروس مفرغة من المضمون الصحيح لا تعبر عن واقع ماضي الأمة العربية والإسلامية، إن انصراف الناس عن دراسة اللغة العربية وتلك التي لها علاقة بالموروثات القديمة، للأمة العربية والإسلامية كالأدب القديم وماضي الأمة المجيد، والذي لا يمكن فهمه إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى، لفظاً وإملاءً وبياناً، وهذا الانصراف يتأتى عن طريق آخر يكمن في عدم توفير فرص العمل لدارسي اللغة العربية والتاريخ، فالخريج يجلس على مقاعد الانتظار سنين حتى تلوح له فرص عمل وبأجر قليل يكاد هذا الأجر لا يوفر له لقمة العيش، ناهيك عن متطلبات حياته من تأمين ومأوى وشريكة حياة يلتئم إلى جانبها، لتكوين أسرة، وهذا ما يرنوا إليه كل إنسان في هذه الحياة.

إن انصراف الناس عن دراسة اللغة العربية وتخصصات ذات العلاقة بالموروث التاريخي له عدة نتائج ونلمسها اليوم في كل ضروب حياتنا وشتى مجالاتها، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1. أن اللغة العربية الفصحى لا تكاد تسمع إلا في أماكن ضيقة ومحدودة جداً على طول وعرض وطننا العربي الكبير، وهذا ما هدف إليه الغرب الذي يحمل لواء ضرب اللغة العربية في بيئتها وبين أبنائها، فالمتكلم باللغة العربية

الفصحى اليوم، وكأنه يحمل لغة غريبة، لكون ما حوله لا يعرفونها وفق أصولها ويتكلمون بلهجات شتى.

2. إن المساحة التي انحسرت عنها اللغة العربية الفصحى امتدت إليها واتسعت العامية واللهجات المحلية واللغات الأخرى، كالإنجليزية لغة العولمة الثقافية الغربية.

ج. نجاح دعوة كتابة اللغة العربية وأرقامها بالأجنبية: إن استخدام الحرف اللاتيني ظاهرة ملموسة في مجتمعاتنا العربية بخاصة والإسلامية بعامة، من قبل أهل اللغة العربية وحماتها وخاصة بين جيل الشباب والنشء، مما أضر باللغة العربية وأساء إليها بدلاً من أن نخدمها بالحفاظ على اللفظ السليم لها، مما أدى إلى بعض التحريف لها، إذ يتم استخدام بعض الأرقام مكان الأحرف العربية التي لا يوجد لها رديف في اللاتينية، بينما ظلت حروف أخرى دون لفظ لها (المعمري، 2004: 1)، وفي عالم ما بعد 11 أيلول أخذ الغرب ينادي جدياً بـ "بتجفيف منابع الإرهاب" من وجهة نظر الغرب حامل لواء العولمة النظامية، ورأت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها أن لغة العرب هي إحدى مقومات هويتهم، فأخذت تعمل على تفريغ اللغة العربية من قدرتها على تأكيد هذه الهوية، وكتابة العربية بالحرف اللاتيني، إن تنفيذ هذا المخطط يجري تحت عناوين براقة وهادفة كالتطوير والتحديث والتيسير ومواكبة العصر الإلكتروني، وفي ظل القابلية للاستعمار وسيادة ثقافة الانصياع تضخمت قوى العدوان على اللغة العربية، وتراجعت مؤسسات العرب الذي كان المأمول منها التصدي لذلك، حتى كان من بين العرب أنفسهم من يعمل عن عمد أو عن غفلة على تنفيذ مخططات الغرب ضد العروبة ولغة العرب، إن اللعبة الاستدمارية - الاستعمارية - تتضح في هجمتها الشرسة على اللغة العربية من أجل كتابتها بالحرف اللاتيني فاستغلت مناطق الأكراد في الشمال العراقي، والبربر (الأمازيغ) في الشمال الإفريقي، والنوبة في

السودان وغيرها، وجندت الكثيرين من أهالي تلك المناطق من أجل تدوين اللغات هناك بالحرف اللاتيني، وصحب هذا الأمر حملات كراهية ضد العروبة والإسلام تغذيها قوى سياسية، ومؤسسات مالية وأجهزة إعلامية، وما يدل على ذلك إصدار فرنسا عام 2000 م، قراراً يقضي بأن تحل الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في المدارس والمعاهد والجامعات الفرنسية، والاعتراض على القرار الفرنسي بإلزام متعلمي اللغة العربية بكتابتها جاء من مسؤول فرنسي وليس من أي مسؤول عربي (المقريزي، 2009: 5-7).

إن مظاهر تلك الآثار كثيرة ولكننا نقف عند أثرين هامين هما:

أ. انتشار ما يسمى بالعربيزية بين الشباب العربي وهو مظهر آخر عند الشباب العربي الذين يستعملون الشبكة العالمية (الانترنت) بالإنجليزية بدلاً من العربية إذ راح هؤلاء يكتبون الكلمات العربية بحروف اللغة الإنجليزية ووضعوا أرقاماً للأصوات العربية التي لا توجد في اللغة الإنجليزية، فالرقم (7) الأجنبي بدلاً من حرف الحاء العربي، وهذا إن نم عن شيء فهو ينم عن عقدة النقص التي حملها هؤلاء الشباب غير الواعي بمرامي هذا التغيير (جكلي، 2008: 1).

ب. التخلي عن الأرقام العربية واستبدالها بالأرقام الأجنبية وهذا الذي تم الأخذ به في معظم أقطار الدول العربية، رغم إقرار المجلس الفقهي الإسلامي، بعدم جوازية ذلك وهذا الأمر موضع اهتمام مجلس المجمع الفقهي الإسلامي وفيما يلي نثبت ما تم حول هذا الموضوع وبالصورة التي جاء فيها، ولما له من أهمية (الأمانة العامة، 1985: 129-131):

بسم اللـه الرحمن الرحيم

1، 2،..... 3 أرقام عربية أم هندية ؟!

من قرارات المجمع الفقهي بمكة المكرمة

القرار الثالث: في عدم جواز استبدال رسم الأرقام العربية برسم الأرقام المستعملة في أوروبا، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد نظر في الكتاب الوارد إلى الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، من معالي وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في الأردن الأستاذ كامل الشريف، والبحث المقدم من معاليه إلى مجلس الوزراء الأردني بعنوان " الأرقام العربية من الناحية التاريخية "، والمتضمن أن هناك نظرية تشيع بين المثقفين، مفادها أن الأرقام العربية في رسمها الراهن (1.2.3.4 إلخ) هي أرقام هندية، وأن الأرقام الأوروبية (1.2.3.4 etc) هي الأرقام العربية الأصلية، ويقودهم هذا الاستنتاج إلى خطوة أخرى هي الدعوة إلى اعتماد الأرقام في رسمها الأوروبي في البلاد العربية، داعمين هذا المطلب بأن الأرقام الأوروبية أصبحت وسيلة للتعامل الحسابي مع الدول والمؤسسات الأجنبية التي باتت تملك نفوذاً واسعاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية، وأن ظهور أنواع الآلات الحسابية و(الكمبيوتر) التي لا تستخدم إلا هذه الأرقام يجعل اعتماد رسم الأرقام الأوروبي في البلاد العربية أمراً مرغوباً فيه إن لم يكن شيئاً محتوماً لا يمكن تفاديه، ونظراً أيضاً فيما تضمنه البحث المذكور من بيان للجذور التاريخية لرسم الأرقام العربية والأوروبية.

واطلع أيضاً على قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، في دورة الحادية والعشرين المنعقدة في مدينة الرياض ما بين 17-28

من شهر ربيع الآخر عام1403ه في هذا الموضوع، والمتضمن أنه لا يجوز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي للأسباب التالية:

1. أنه لم يثبت ما ذكره دعاة التغيير، من أن الأرقام المستعملة في الغرب هي الأرقام العربية، بل إن المعروف غير ذلك، والواقع يشهد له، كما أن مضي القرون الطويلة على استعمال الأرقام الحالية في مختلف الأحوال والمجالات يجعلها أرقاماً عربية، وقد وردت في اللغة العربية كلمات القرآن الكريم (وهي الكلمات التي توصف بأنها كلمات معربة).

2. أن الفكرة لها نتائج سيئة، وآثار ضارة فهي خطوة من خطوات التغريب للمجتمع الإسلامي تدريجياً، يدل على ذلك ما ورد في الفقرة الرابعة من التقرير المرفق بالمعاملة ونصها "صدرت وثيقة من وزراء الإعلام تفيد بضرورة تعميم الأرقام المستخدمة في أوروبا لأسباب وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي ".

3. أنها "أي هذه الفكرة " ستكون ممهدة لتغيير الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بدل العربية ولو على المدى البعيد.

4. أنها "أيضاً " مظهر من مظاهر التقليد للغرب واستحسان طرائقه.

5. أن جميع المصاحف والتفاسير، والمعاجم، والكتب المؤلفة كلها تستعمل الأرقام الحالية ترقيمها أو في الإشارة إلى المراجع، وهي ثروة عظيمة هائلة، وفي استعمال الأرقام الإفرنجية الحالية (عوضاً عنها)، ما يجعل الأجيال القادمة لا تستفيد من ذلك التراث بسهولة.

6. ليس من الضروري متابعة بعض البلاد العربية التي درجت على استعمال رسم الأرقام الأوروبية، فإن كثيراً من تلك البلاد قد عطلت ما هو

أعظم من هذا وأهم وهو تحكيم شريعة اللـه كلها مصدر العز والسيادة والسعادة في الدنيا والآخرة، فليس عملها حجة.

وفي ضوء ما تقدم يقرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي ما يلي:

أ- التأكيد على مضمون القرار الصادر عن مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في هذا الموضوع والمذكور آنفاً، والمتضمن عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حالياً برسم الأرقام الأوروبية المستعملة في العالم الغربي للأسباب المبينة في القرار المذكور.

ب- عدم جواز قبول الرأي القائل بتعميم الأرقام المستخدمة في أوروبا، بالحجة التي استند إليها من قال ذلك، وذلك أن الأمة لا ينبغي أن تدع ما اصطلحت عليه قرونا طويلة لمصلحة ظاهرة وتتخلى عنه تبعاً لغيرها.

ج- تنبيه ولاة الأمور في البلاد العربية إلى خطورة هذا الأمر، والحيلولة دون الوقوع في شرك هذه الفكرة الخطيرة العواقب على التراث العربي والإسلامي.

واللـه ولي التوفيق وصلى اللـه على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

ثانياً: تعميم النموذج اللغوي الغربي:

مما لا شك فيه إن هناك مواجهة قائمة على الصراع بين اللغات وإن هذه المواجهة يمكن ملاحظتها في توجهين هما:

أ. تغريب النموذج العربي: إن ما تؤدي إليه العولمة في ضوء التحديات الغربية المباشرة على اللغة العربية، ما يعرف إقامة نوعاً من المواجهة بين اللغة العربية كلغة مغزوة من قبل الآخر وبقية اللغات الأخرى، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية، وهذا يعني جعل النموذج العربي غريب في بيئته، وذلك من أجل طمس الهويات وضياع الاتجاهات غير الغربية بعامة والأمريكية اليوم بخاصة، لأن تعميم النموذج الغربي وخاصة الأمريكي في هذه التوجهات، يعني الابتعاد عن أي نظام آخر متبع فيها فتعميم النموذج الغربي يعني، تبني نظام آخر غير النظام الذي هو مؤسس على اللغة العربية التي هي عنوان الهوية العربية.

إن العولمة اللغوية لا تقل خطورة عن تغيير النظام العربي وتوجهاته، بل أنها أخطر أنواع العولمة، لأنها تعني عولمة اللغة الإنجليزية، وهي اللغة التي تتسلح بها الولايات المتحدة الأمريكية رافعة لواء العولمة في شن هجوم العولمة على العالم، وهيمنتها على سائر اللغات فقط، وإنما تعني أيضاً عولمة ثقافة هذه اللغة وسيادتها على ثقافات العالم كلها، واللغة العربية تعد أكثر ما يتعرض لهذا النوع من العولمة، لكونها لغة متميزة عن غيرها كلغة رسمية وشعبية صالحة وميسرة، ولغة دينية في آن واحد، مما يعني أن المواجهة بين الإنجليزية والعربية في ضوء العولمة تعني المواجهة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية، الأمر الذي قد أشعل غزواً فكرياً منذ قرون (جوهر، 2004: 2-3).

إن تعميم النموذج اللغوي الغربي يمكن ملاحظته، من خلال تكوين الاتجاهات الإيجابية تجاه اللغة الإنجليزية، وتكوين الاتجاهات السلبية تجاه اللغة العربية، وما ينتج عن ذلك من طمس الهوية اللغوية العربية والثقافة الإسلامية،

ولعل أبرز صورة من صور هـذا الطمـس أن يفتخـر المسـلمون بالإنجليزيـة ويعتبرونهـا لغـة وحيدة للفوز في الحياة المعاصرة، وفي المقابل ينظرون إلى العربية نظرة مخالفة، وهـذا مـا يمكن ملاحظته من خلال دفع العرب لأولادهم للدراسـة في المـدارس الغربيـة، سـواء تلـك المزروعة في بلادهم، أو تلك التي يقومون بالإرساليات إليها لكي يجيـدوا اللغـة الإنجليزيـة أكثر من اللغة العربية، بل هناك ظاهرة تفوق الخيال مـا يلاحـظ في العقـود الأخـيرة مـن القرن الماضي وأوائل القرن الحالي، من أن بعـض السـيدات الحوامـل يسـافرن إلى أمريكـا أو بريطانيا ليلدن هناك، حتى يكتسب الوليد جنسية فوقية لا عربية دونيـة وفـق تصـورهن، لقد وصلت هذه الأزمة أزمة الهوية بين أبناء هذه الأمـة إلى أقصى حـدودها (بشر، 2002: 47)، ترى لماذا هذا التدافع لتعلم اللغة الإنجليزية؟ ألا يعني ذلـك الـتخلي عـن النمـوذج العربي في المحادثة والقراءة والعزوف في نهاية الأمر عن كل أمر عـربي، والـرضى بتقبـل مـا هو غربي والتخلي عن اللغة العربية واعتماد غيرها في البيئة العربية، ألا يعني ذلك طمس الهوية العربية بأيد عربية ؟!!.

ب. تحييـد اللغـة العربيـة: عنـد المواجهـة بـين اللغتـين اللغـة العربيـة واللغـة الإنجليزية من خلال العمل على تعميم النموذج الغربي بعامة والأمـريكي بخاصـة، فـإن اللغة العربية ليست بالخاسرة لأنها محفوظة بالعناية الربانية نتيجة حفظ اللـه للقرآن الكريم، وإنما الخسارة ستلحق بالعرب أهل اللغـة والنـاطقين بهـا، سـيخسرون هـويتهم وموروثاتهم التاريخية من أمجاد عربية وآداب خلفها السلف مـن أولئـك الـذين نصـبوا لواء الاهـتمام باللغـة العربيـة (جـوهر، 2004: 2)، وإن هـم الغـرب هـو تحييـد اللغـة العربية لتفسح مجالاً إلى لغته لتمتد وتتسع جغرافياً على الأرض العربية، وهـذا معنـاه تقليل عدد الناطقين بها إلى أقل عدد ممكـن، وكلـما نجـح الغـرب في ذلـك يعنـي هـذا إحلال لغته على ألسنة الناطقين بالعربية بعد تركها.

إن تحييد اللغة العربية وانحسارها عن الساحة وامتداد اللغة الإنجليزية نتيجة الافتتان بها، يعني سيادة اللغة الإنجليزية وهذا له مدعاته، لأن ذات اللغة الإنجليزية تفرض نفسها على الوسائل التكنولوجية ومجال الأعمال والاتصال الدولي، تقول الأرقام الدولية الرسمية أن (90%) من العناصر التي تتحرك في شبكة الإنترنت هي الإنجليزية وحدها، و(85%) من الأفلام التلفزيونية والسينمائية بالإنجليزية، و (65%) من برامج الإذاعات في كل العالم بالإنجليزية، أما في مجال الإعلام فتشكل الإنجليزية أهم شروط تعيين موظفي هذا المجال.

إن سيادة النموذج الغربي وخاصة النموذج الأمريكي، بسبب عوامل كثيرة ونفوذ أمريكي تتمتع به الثقافة الأمريكية منها (خليل، 2000: 102) هيمنة شركات الإعلام الأمريكية على التسويق العالمي بكل أشكاله المقروء والمسموع والمرئي، والتفوق الأمريكي في صناعة الأفلام والموسيقى وباقي الفنون، والقابلية التسويقية التي تتمتع بها المنتجات الثقافية الأمريكية، إيلاء الولايات المتحدة شريحة الشباب بالصناعة الثقافية، وفتح معاهدها على اختلافها أمام الطلاب من أنحاء العالم، وهناك عامل سياسي عزز نفوذ الثقافة الأمريكية يتمثل في تفرد أمريكا سياسياً بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وهناك عوامل أخرى أكثرها عربية تسهم في إبراز ذلك النموذج، وهذا ما نراه ولا يخفى على أحد في أيامنا الحاضرة وخصوصاً ونحن نرى الأزياء للذكور والإناث قد وشحت بكتابات إنجليزية للتدليل على أنها من الأنواع الفاخرة، الأمر الذي يفضي بنا إلى القول، أن ما هو غربي مقبول خاصة لدى الشباب في وطننا العربي الكبير، وما هو عربي مرفوض لأنه علامة دالة على أن هذه الأنواع ليست بالمستوى المطلوب ، والناظر في شوارعنا العربية يجد تجليات الأزياء والحرف التي كتب به عليها اللغات المختلفة، وهذه ظاهرة لا تكاد تنفك عن ملابس شبابنا وشاباتنا وخصوصاً من هم في طور المراهقة، وهذه صورة من صور الإخفاق في المواجهة، فكم هي تلك

الأزياء التي لها أسماء عربية أو كتب عليها باللغة العربية وكم هي الأسماء الأجنبية لتلك الأزياء، أو كتب عليها باللغة الأجنبية، في اعتقادنا أن تلك التي تحمل أسماء وكتب عليها باللغة الأجنبية أكثر وهذا هو الإخفاق بعينه.

المطلب الثاني

أثر التحديات الغربية غير المباشرة

إن هناك تحديات غربية غير مباشرة عملت على النيل من اللغة العربية، وهذه التحديات لها أثارها الكبيرة تنال من لغتنا العربية من حيث لا يدري العرب أن الأخذ بما تفرزه الحضارة الغربية وما تقدمه للعرب كالسم في الدواء، إذ يبلغ من العرب مبلغاً لا يدركون نتائجه إلا في الوقت الذي قد مضى عليه عهود طويلة، لا يتداركون عندها إصلاح ما فات من أفساد، لقد حصرنا تلك التحديات رغم كثرتها بالتقدم التكنولوجي الغربي، وبمزاحمة اللغات الأوروبية، وفي هذا التوجه، فإننا سنتناول أثر ذلك على النحو التالي :

أولاً: آثار التقدم التكنولوجي على اللغة العربية.

ثانياً: أثر مزاحمة اللغات الغربية للغة العربية.

أولاً: آثار التقدم التكنولوجي على اللغة العربية:

إن تأثير التكنولوجيا في الثقافة يكاد يشمل كافة عناصرها، فالتأثير غير محدود، ويتعدى حدود المؤسسات والموارد الثقافية، كما يتعدى المثقف كعامل توجيه مستقل إلى علاقته بالمجتمع والتراث والتقاليد الاجتماعية، فالقرن العشرين الذي مضى حدث فيه من التطور التكنولوجي الكثير الكثير وفي مختلف المجالات والميادين، نلاحظه في الصواريخ العابرة للقارات وغزو الفضاء والفيديو والكمبيوتر، وأبرز ما نشاهده اليوم ثورة الاتصالات التي ساهمت في جعل الكرة الأرضية وكأنها حقاً قرية صغيرة، فما يحدث هناك للتو يشاهد هنا والعكس صحيح أيضاً.

لم تستثمر المجتمعات العربية هذا التطور لا بل معظمها أساء استعمالها فبرزت مجموعة من المشاكل انعكست على واقع لغتنا العربية وفي هذا نجد:

1. **التكنولوجيا والمجال الثقافي:** في المجال الثقافي تمثلت في غلبة الشاشة التلفزيونية على الكتاب والصحيفة، فبان الجهل الثقافي في المجتمعات العربية، لكون التلفزيون لا يقوم بتغطية الأحداث والبرامج الفكرية والثقافية بشكل مفصل ومعمق بل يتطرق إلى القضايا بصورة مختصرة، وبهذا يضيع الكثير من الثقافة الضرورية على المجتمعات والتزود بها ويبدأ بعدها التأثير على الفرد عبر البرامج المتنوعة، يبدو من خلالها شد تفكيره، وبالتالي إبعاد الفرد عن القراءة باللغة العربية، لكون ذلك يشعره بشيء من الاكتفاء المخادع (بوخمسين، 2007: 25).

2. **التكنولوجيا والمصطلحات الجديدة:** إن أهم ما ساقته لنا التكنولوجيا الحديثة، استخدام مصطلحات جديدة غير عربية أصبحت من أساسيات التعامل اللغوي عند الشباب العربي أو كل من يحمل جوال، وبالتالي فإن هذه المصطلحات أصبح الفرد العربي يتكلم بها ولا غضاضة، فمن هذه المصطلحات استخدام تعابير ليس لها أصل في اللغة العربية مثل: أرسل لي مسج بدلاً من أرسل لي رسالة، وكانسل الموضوع بدلاً من إلغاء الموضوع، أنا أشيك على الإيميل بدلاً من أتفحص البريد الإلكتروني، وغير ذلك من التعابير والاصطلاحات، إن مثل هذه المصطلحات يتعامل بها المثقف والعامي والأمي في الوطن العربي.

3. **التكنولوجيا والحرف العربي:** ساهمت التكنولوجيا في كتابة اللغة العربية بالحرف الأجنبي، وقد أخذ الشباب في استخدام الوسائل التكنولوجية في الدراسة والمحادثة والدردشة، وبما أن بعض برامج الدردشة لا تسمح بإدخال النص الحديث باللغة العربية، تحول الشباب الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية إلى كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني، وعمدوا إلى حل أشكال بعض الحروف التي لا يوجد رديف لها في اللغة الإنجليزية باستخدام بعض الأرقام للدلالة عليها،

وهك،ذا أصبح رقم (7) حرف (حا) بالعربية، ورقم (3) يعني حرف (ع)، ورقم (9) يعني حرف (ط)، وأصبحت جملة كيف حالك تكتب على شكل Keef 7alaK (المبارك، 2008: 1)، لقد كان لتزايد استخدام الحرف اللاتيني في المحادثة، أثرة ليس على اللغة العربية بل على الثقافة العربية، حيث أخذ الشباب يستخدمون هذه اللغة على أنها اللغة الأصيلة، وأصبحت وسيلة التخاطب بينهم عبر الرسائل الورقية العادية، إن هذا يندرج تحت إطار الغزو الثقافي العولمي، والذي تقوده الأمم الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد اللغة العربية لغة الثقافة العربية، وظهر هذا الغزو صريحاً في المشروع الأمريكي الذي دعا إلى " تغيير شكل حروف اللغة العربية واستبدالها باللغة اللاتينية "، وذلك تحت حجة التقريب بين الشعوب العربية والشعوب الغربية (المبارك، 2008: 2)، إن الشعوب العربية والإسلامية عليها أن لا تركن على أن اللغة العربية محفوظة بحفظ القرآن الكريم، وعليها أن تعي الأمر، فآثار التحول إلى الحروف اللاتينية لا زالت نتائجها ظاهرة إلى الآن في مناطق عديدة في العالم وهي بتزايد واستمرار، حيث كان لاستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في تركيا أثره في فقدان الشعب التركي صلته بالحضارة العربية الإسلامية، والتراث الإسلامي الموجود في الكتب العربية القديمة، وكذلك الجمهوريات الإسلامية في آسيا التي رزحت تحت الهيمنة الروسية عقود كثيرة ثم استبدال الحرف العربي بالحرف الروسي رغم حصولها على الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفييتي لا تزال مستمرة بالاستعمال ولم يكن بمقدورها اليوم استعادة الحرف واللغة العربية.

4. **التكنولوجيا وتشويه الخط العربي:** لقد ألقى عصر العولمة بما حملته من وسائل تقنية بظلاله على جمالية الخط العربي، فاستخدام الحواسيب لأغراض النسخ وضعف تدريس الخط العربي قادر على خلق جيل من الطلبة يكتب خطاً عربياً مشوهاً، يفتقد الجمالية والسمات الفنية التي يتمتع بها هذا

الخط، بل رداءة الخط أصبحت صفة ملازمة للجيل الحديث من الطلبـة، ومسـت أعـداداً واسعة من المعلمين أنفسهم، وتعود الأسباب إلى أن استخدام الحاسوب لأغـراض الطباعـة والنسخ أدى إلى قلـة اسـتخدام الخـط اليـدوي، لا سـيما في الأغـراض التعليميـة، واحتـواء الحاسوب أنماطاً خطية متنوعـة للخـط العـربي مـا هـي إلا مجـرد نمـاذج تقليديـة تفتقـد لسمات الخط الأصلي، مما أدى إلى خلـق خطـوط أخـرى مفككـة وغـير منتظمـة (عـودة، 2008:13)، إن تشويه الخط العربي يعني تشويه اللغة العربية نفسها، مـما يفقـدها هـي الأخرى جمالية الصورة في نفوس أصحابها، أضف أن تشويه الخط العربي يعطي للكلـمات معانٍ غير المعاني التي تهدف إليها في سياق الجملة، وربما تصرف المقالة على وجهة أخرى غير وجهتها، مما يؤدي إلى بلبلة وتشويش في عقليـة القـارئ أو المسـتمع، وهـذا في حـد ذاتـه سهم آخر يضاف إلى مجموعة سهام توجه إلى اللغة العربية.

ثانياً: أثر مزاحمة اللغات الغربية للغة العربية:

إن من بين اللغات الأوروبية نشير إلى اللغة الإنجليزيـة ومـن ثـم اللغـة الفرنسـية، واللتان شاعتا شيوعاً كبيراً بين أعداد لا يستهان بها من أبناء المجتمع العربي بشقيه المغـربي والمشرقي، وقد زادت ظاهرة الانتشار بسبب تبني بعض أولياء الأمور موقفاً ليبراليـاً منفتحـاً من مسألة حرية اختيار أبنائهم اللغة التي يحبذون التحدث بهـا (الشـيخ، 2009: 6)، وفي إطار واقع العرب والمسلمين، وضعفهم وافتتانهم بعدوهم الذي هزمهم فصار لهـم قـدوة في كل شيء، في عاداته وأحواله في مأكله ومشربه وملبسه، والأخطر من ذلك بـتعلم لغتـه ليقرأ ويتواصل ويتفاخر بها، وفي هذا الإطار تم إنشاء كل ما يمكن توصيل اللغة الأجنبيـة وخاصة الإنجليزية ليقترب العربي من عـدوه الـذي اتخـذه قـدوة (سـلامة، 2009: 1)، وفي هذه الفقرة سنبين مظاهر تزاحم اللغات الأوروبية للغـة العربيـة في ديارهـا وبـين أهلهـا ومن أهم هذه المظاهر هي:

1. أن اللغة الإنجليزية أصبحت لغة الإنترنت بلا منازع، وهذه الشبكة العنكبوتية أصبح لها مقاهي منتشرة هنا وهناك، وفي كل ربوع وطننا العربي الكبير، وإذا ما نظرنا لواقع اللغة الإنجليزية من بين اللغات العالمية الأخرى لوجدنا أن هذه اللغة تحتل مساحة كبيرة على صفحة الشبكة العنكبوتية، وقد أظهرت دراسة أجرتها إحدى المؤسسات الألمانية أن (77%) من صفحات الإنترنت باللغة الإنجليزية بينما لا تتمتع بقية لغات العالم ومن بينها اللغة العربية سوى بـ (23%) من صفحات الإنترنت، وقد جاءت هذه الحصيلة بعد تصفح أكثر معيار الصفحات الإلكترونية على الشبكة (الأهرام، 2001)، وبالتالي فإن انتشار المقاهي لهذه الشبكة في وطننا العربي وتعدد نوافذ الاتصال من خلال هذه الشبكة، جعل الشباب العربي وهم يتواصلون مع الآخرين من أصحاب اللغة الإنجليزية عن طريق الدردشة المعروفة، يتنازلون عن لغتهم ليقوموا بتلك الدردشة باللغة الإنجليزية ويوماً بعد يوم وإذا برواد الدردشة أجادوا اللغة الإنجليزية أو اللغة المزوجة من أكثر من مصطلح لغوي جيء به من هذه وتلك اللغة لكون التكرار في الدردشة يجعل منها أمر عادي، أضف إلى الرسائل التي تصل لأصحاب البريد الإلكتروني باللغة الإنجليزية فإنهم يعكفون على معرفة معناها، وبذلك يدفعون إلى ترجمة الرسائل للغة العربية، وبعد مرور الوقت لا يحتاجون للترجمة، لأنهم أصبحوا على إحاطة تامة باللغة الإنجليزية يعرفون المعنى دون الحاجة إلى الترجمة، هذه بعضاً من الحالات الدافعة لمعرفة اللغة الإنجليزية وبالتالي إتقانها وإهمال اللغة الأم بين شباب الأمة العربية ولو بالقدر اليسر وكخطوة أولى يتبعها خطوات أخرى، يؤدي مع الزمن إلى أن يكون التنازل عنها أمر لا غضاضة فيه.

2. أن من أسباب مزاحمة اللغة الإنجليزية والفرنسية للغة العربية في ديارها، هو الاستدمار - الاستعمار - الذي رحلت أداته العسكرية، وبقيت

مظاهره الثقافية، ففي كل بلد نجد لغته تعتبر اللغة الثانية إلى جوار اللغة العربية الأم، وفي بعض الدول نجد اللغة الثانية لغة الاستدمار - الاستعمار - تتقدم على اللغة الأم، وإن اعتبرت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، فاللغة الإنجليزية تسود كلغة ثانية في الدول العربية التي استعمرها الإنجليز، واللغة الفرنسية في البلاد التي استعمرها الفرنسيون، وهذا يبين أثره الحقيقي من خلال، نظره سريعة لمناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي (الحداد، 2002: 64)، إن الناظر في وضع اللغات الأوروبية كلغة ثانية على الصعيد الرسمي، يجد أن مزاحمة هذه اللغات واقع ملموس، وخصوصاً عندما نرى أولياء أمور الطلاب يدفعوا أبناءهم للمراكز الثقافية المنتشرة في عواصم وكبريات مدن العالم العرب، لتعلم لغة المستعمر وننشر ثقافته على حساب اللغة العربية الأم في هذا الوطن العربي الكبير.

3. إن السفارات الأجنبية في وطننا العربي الكبير لا تقبل أية معاملة من أي من أبناء العروبة، إلا باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو لغة دولة السفارة في العواصم العربية، ماذا يعني هذا ؟، إن ما يعنيه القبول إلزامي بلغة غير اللغة العربية، ومن ثم كم من أبناء العروبة يسافر في البلاد الغربية، سواء كان للتطبيب أو لقضاء إجازات أو للعمل أو للدراسة، ومن ثم تكون اللغة الأجنبية قد أخذت من خلال التعامل بها مساحة في عقلية ذلك الذي ينشد أبواب السفارات الأجنبية (نور الدين، 2005: 177)، في حين نجد سفاراتنا في الخارج لا تعامل أبناء تلك البلدان الغربية بالمثل، بل نجد موظفي تلك السفارات ممن يشجعون على التعامل باللغة الغربية أياً كان نوعها، لأن معظمهم إما خريج جامعة غربية أو قد درس وتأسس بمدرسة تأخذ بالمناهج الغربية في بلده.

4. إن الشركات العاملة في وطننا العربي، وجامعات الوطن العربي تشترط في قبول الموظف أو عضو هيئة التدريس، أن يكون لديه إلماماً جيداً

باللغة الإنجليزية على أقل تقدير، والبعض يشترط الإجادة الكاملة للغة الإنجليزية أو الفرنسية لينضم إلى كادرها، إن هذا أدى إلى دفع أولياء الأمور اكتساب المعارف والدراسة في البلاد الأجنبية أو الانضمام إلى مراكز تعليم اللغات الأوروبية ليكون عضواً فاعلاً في تلك الشركة أو موظفاً في تلك الجامعة، علماً أن الجامعات تفضل أولئك الذين تخرجوا من الجامعات الأجنبية وتعطي لهم رواتب أعلى من غيرهم، مما يدفع الكثير لاكتساب المعارف بالإنجليزية والفرنسية لأجل الوظيفة والأجر العالي، في حين نجد أن خريج المعاهد العلمية العربية يقف على قارعة الطريق بانتظار الفرصة، ولا يستطيع الحصول عليها إذا لاحت وخريج من الدول الغربية قد تقدم معه لها، وربما يحالفه الحظ إن وجدوا واسطة قوية ولها نفوذ.

5. أن الجامعات في الوطن العربي تدفع لتزاحم اللغات الأوروبية للغتنا العربية دفعاً، وذلك من خلال ما يلي:

أ. جعل شرط التخرج للدراسات العليا الحصول على فحص اللغة الإنجليزية، وبدرجة عالية وهذا هو المعروف بين الأوساط العلمية " بالتوفل ".

ب. دفع أعضاء هيئات التدريس للتعامل باللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية وذلك من خلال احتساب الأبحاث التي تنشر في مجلات عالمية وهذه عادةً ما تكون باللغات الأوروبية، إن ما يبعث على نشر الأبحاث العلمية باللغة الإنجليزية هو الاعتراف بها أكثر من غيرها وهذا ما يبعث على الإقبال على اللغة الأجنبية وهي تلقى القبول مهما كان مستواها العلمي، لأن المجلات العربية غير مسجلة في فهارس المؤسسات العلمية العالمية، وهذا سيؤدي إلى ترسيخ فكرة عدم صلاحية اللغة العربية للعلم (حكلي، 2004: 3)، أضف إلى ذلك احتساب نقطتين لكل بحث ينشر في مجلة أجنبية في حين تحتسب نقطة واحدة للبحث المنشور في مجلة عربية لأغراض الترقيات العلمية، وهذا بدوره

يجعل الأخذ باللغة الإنجليزية وإعداد البحوث بها أمر في غاية الأهمية، لكون الأبحاث هذه تختصر الطريق وتوصل للهدف أسرع من تلك البحوث المنشورة بالمجلات العربية وباللغة العربية.

6. إن مزاحمة اللغات الأوروبية للغة العربية يتضح من خلال ما يلي:

- أن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية في كثير من جامعات الدول العربية، وهذا لا غضاضة فيه وهذا الجانب الإيجابي للعولمة ويجب الأخذ به، إلا أن الأمر يقع على عاتق الخريجين في هذا المجال والذين نهلوا دراستهم في الخارج ليقوموا بترجمة ذلك ليكون قريباً من المتعلمين في هذه الأسام وطالبي المعرفة من خارج هذه الأقسام.

- اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات والفنادق هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب.

إن ما سبق ليس كل ما يمكن حصره من مزاحمة اللغات الأوروبية للغة العربية، وإنما ما ذكرناه ما هو إلا أمثلة متنوعة، التي من خلالها تم اختراق أبواب لغتنا العربية التي كانت بالأمس مؤصدة إلى حد كبير أمامها، إن الملاحظ في معظم هذه المحاولات ما كان لها أن تنجح لولا العرب أنفسهم سهلوا لها الطريق ووجهوها لاختراق الأبواب الواهنة التي خلت من الحراس لتنجح في هذا المضمار.

المبحث الثاني
أثر التحديات الداخلية على اللغة العربية

إن التحديات الداخلية هي تلك التي تنبع من داخل الوطن العربي، وهذه التحديات قسمت إلى قسمين تحديات رسمية من صنيع الحكومات والدولة العربية، وأخرى تحديات شعبية، وهي من صنيع الشعوب العربية وإن كانت الأخيرة ذات صلة بالإجراءات الثقافية الحكومية، على اعتبار أن للحكومات واجبات تجاه شعوبها، منها العمل على توفير كل سبل الثقافة للشعوب واستئصال الأمراض الثقافية الاجتماعية كالأمية على سبيل المثال لا الحصر، لذا فإن هذه التحديات ما هي إلا أمراض اجتماعية ثقافية بل هي أشد خطراً وفتكاً من الأمراض التي تفتك بالشعوب، لكون الأخيرة قدر الشعوب تقتحمها دون استئذان أو أن يكون لها خيار، في حين تعمل الشعوب على الأخذ بها، سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد.

إن التحديات الداخلية آثارها تدوم عقود وربما تمتد إلى قرون، وإن محو آثارها يحتاج إلى جهود مضنية ومتلاحقة، وليس كل الجهود تؤتي أكلها إلا تلك الجهود التي يبذلها المخلصين من أبناء الأمة، وهؤلاء هم أولي العزم وأصحاب الهمم، والذين يعرفون بصائر الأمور ويأخذون بالأسباب، إن الآثار التي تتركها التحديات الداخلية أكبر من التحديات الخارجية، لكون الأولى تجد وحدة شعبية لمقاومتها في حين الثانية قد ينقسم المجتمع إلى عدة أقسام تجاهها،لكون البعض من تلك الآثار من صنيع طائفة من المجتمعات العربية، فتعمل على الدفاع عنها، وهؤلاء ربما يكونوا من أصحاب الامتيازات التي توفر لهم تلك التحديات ما يشبع طموحاتهم، لذا فإننا سنتناول أهداف هذا المبحث في مطلبين أساسيين هما:

المطلب الأول: أثر تحديات الصعيد الرسمي العربي.

المطلب الثاني: أثر تحديات الصعيد الشعبي العربي.

المطلب الأول

أثر تحديات الصعيد الرسمي العربي

عند دراسة التحديات الداخلية على اللغة العربية تـم تقسـيمها إلى قسـمين هـما: المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي والمؤسسات الإعلاميـة ونخـص بـذلك منهـا الفضائيات العربية المنفلتة، وهذه المؤسسات تحظى بـدعم ورعايـة الأجهـزة الرسـمية في الدولة القطرية العربية، وإن لم تكن الرعاية مباشرة إلا أن مباركة قيام هذه المؤسسـات لا يمكن بأي حال من الأحـوال إنكارهـا، فالدولـة هـي التـي توافـق عـلى تـرخيص مكتـوب، وتوقيع من تفوضه بالتوقيع على كـل المعاملـة التـي تسـبق قيـام هـذه المؤسسـات، لـذا فالشروط التي تضعها المؤسسات تلك، هي تلك التي تراهـا الحكومـات العربيـة تتناسـب وتوجهاتها المكتوبة أيضاً.

إن هذه المؤسسات تشكل تحديات للغة العربية في كثير مـن توجهاتهـا وبرامجهـا، هذه التحديات إذن والحالة هذه من صنيعنا شئنا أم أبينا، لكوننا نحن الذين وقعنـا عـلى تراخيصها، ونحن الـذين أردناهـا وبإرادتنـا، أمـا إذا خرجـت تلـك المؤسسـات عـن الخـط المرسوم لها وانفلتت من عقالها، فإن هذا يعود أسبابه عـلى الحكومـات العربيـة، لأنهـا لم تضبط شروط القيام من جهة، أو أنها وافقت على كل ما يتأتى من خـلال هـذه المؤسسـات، أو أنها لم تضع شروط واضحة وغرامات قد تصل إلى الإغلاق في حـالات الانفـلات، وفي هـذا المطلب فإننا سنتناوله في فقرتين رئيسيتين هما:

أولاً: أثر المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي.

ثانياً: أثر المؤسسات الإعلامية المنفلتة .

أولاً: أثر المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي:

إن ما نعنيه هنـا مـن مؤسسـات تعليميـة في الـوطن العـربي وتلـك التـي تـترك آثارها الواضحة على اللغـة العربيـة تتمثـل بالمـدارس الأجنبيـة، والـدور الـذي تلعبـه

من تأثير على اللغة العربية وصولاً إلى طمس التراث العربي، والذهاب بالهوية العربيـة إلى لا رجعة.

إن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التـي يسـتطيع بهـا الإنسـان إدراك هويتـه، فاللغـة ليست مجرد وسيلة لنقل القضايا الفكرية أو العقلية، إنهـا التعبـير الحقيقـي عـن تجربـة عميقة من خلال التقاليد والتراث والتاريخ، فإذا كانت قابلية النطق والكلام عنـد الإنسـان هي التي تميزه عن غيره من الحيوان، فإن اللغة هي التي تميز الشعوب التي ينقسم إليها أبناء البشر حيث تنفرد كل جماعة إنسانية بلغتها الخاصة (ابن تاويت، 1980: 27)، ومـن ثم إن التعليم باللغات الأجنبية سيرمي بظلاله على حياة الشعوب ويكسبها مـن العـادات والتقاليد والتراث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ما ينعكس على هويتها القومية.

إن أثر المؤسسات التعليمية الأجنبية في الوطن العربي عديدة ومتشـعبة، ولكننـا في هذا المقام سنتناول بعضاً من هذه الآثار التي تترك بصـماتها عـلى السـاحة العربيـة لغـةً وثقافةً، وتعمل هذه الآثار إلى جر العرب للانجراف في تيـار العولمـة الثقافيـة وهـذا لآثـار هي:

1. نقل نموذج القيم الغربية للساحة العربية: إن من آثار هذا الأثـر المبـاشرة ضعف لواء الانتماء للمجتمعات العربيـة برمتهـا، فالمـدارس الأجنبيـة تعتـبر وسـيلة النقل ذلـك النمـوذج، لأن هـؤلاء شـباب الأمـة رجالهـا ونسـاؤها نتـاج تلـك المـدارس ، فيشب الصغير وفي ذهنه ذلك الشيء بمساوئه وإيجابياته، الـذي تلقـاه في المدرسـة التي درس فيها فهو وليد المعلومات التي سـوقت لـه مـن خـلال الكتـاب الـذي درسـه ، والمـدرس الـذي قـام بتلقينـه المحتـوى، الأمـر الـذي يجعـل مـن ذلـك مسـلمات غير قابلة للنقاش، يتبناها في حياته العملية ويـدافع عنهـا عنـد أول موجـة نقـد لهـا، لكون النقد الذي ينصب على ما تلقاه من معلومات هو في حد ذاته نقد لشخصيته ، إن المـدارس الأجنبيـة سـوقت ذلـك، وصـبته في ذهـن الـنشء مـن خـلال منـاهج

تعليمية مدروسة، تؤتي أكلها ولو بعد حين، إن الغريب في الأمر أننا نحن العرب نساهم في ذلك بعد أن استسلمت بعض الطبقات المقتدرة لشهوة المال أو لشهوة المنصب، فأخذت تفتح المدارس الأجنبية، والحكومات العربية وكأن لا علاقة لها بالموضوع، بل عليها التوقيع على أوراق التأسيس وفتح المدارس الأجنبية، حيث وضعت المناهج في الغرب الطامع التي تتناسب وهوية المدارس، وأخذ مرتادوها يدافعون عن نظمها وأدوارها في صناعة العصر الغربي المتقدم ورؤيته التقدمية بظنهم، والتي يرون أنها تجعلهم في مصاف الطبقة البرجوازية المتمكنة من اللغات الأجنبية، والمؤهلة لتولي المناصب القيادية بغض النظر عن التلاعب في عقيدة الأبناء وهويتهم وطمس لغتهم العربية، محتمين بذلك ضعف التعليم المحلي وفشله في إلحاق الأبناء بركب الحضارة الغربية، وبذلك ينفقون آلاف الدولارات على تشكيل النشء وفق النموذج الغربي، إن هذا النموذج الغربي الذي ترعاه المدارس له تأثيراته على اللغة العربية وكما يلي:

أ- إن اللغة العربية لا تعد اللغة الأولى المعتمدة في تلك المدارس، بل يكون هناك عملية إحلال فتحل اللغة الأجنبية سواء كانت، اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية أو غيرها مكان اللغة العربية، ولما كانت المدارس تلك تعني بالنشء فينشأ ذاك الطالب وقد ودع اللغة العربية الفصحى، وإن وعى منها فإنه يعي تلك اللغة المهمشه أو العامية سمها ما شئت، إن اعتياد اللغة الأجنبية يؤثر في العقل والخلق تأثيراً قوياً (المبارك، 1978: 53).

ب- إن اللون الثقافي في الذي ينشأ عليه ذلك الدارس لون ثقافي غريب عن البيئة العربية، على الرغم أنه يعيش على أرض عربية، هذا اللون غربي في مضمونه وإطاره، أنه اللون العولمي الثقافي الذي يعمل الغرب ليلاً ونهاراً دون كلل ولا ملل على تسويقه هنا وهناك، وصولاً إلى تعميم هذا النموذج العولمي إلى كل بقاع العالم، إن هذا اللون العولمي يصاغ بلغة المدرسة الأجنبية، لا بلغة

العرب، فيقع التغريب اللغوي للنشء العربي الذي لا يـزال الـوعي يتشـكل في عقليتـه ولم يكتمل بعد.

ج- إن هذا النموذج الثقافي الذي ينشأ في هذه المدارس الأجنبية عـلى أرض عربيـة يباعد بين الإنسان العربي المسلم ودينه، وسبب ذلك لأن المعايير العولمية المراد لها التوسع والانتشار تنطلق من فكر علماني محـض، هـذا الفكـر لا يـترك للـدين مسـاحة في منـاهج الدراسة، كما لا يجعل للدين اعتبار، على اعتبار العلمانية تقوم عـلى أسـاس فصـل الـدين عن الدولة، وبمعنى آخـر العلمانيـة مـا هـي إلا تيـار يهـدف إلى حـذف الآخـرة مـن دنيـا الإنسان، ولما كان طمس الدين هو الهدف في واحد من محاور أهداف هذا التيار العلماني العولمي، واللغة العربية ما هي إلا لسان هذا الدين من على ألسنة الناطقين بها، فبهدمـه تحذف اللغة العربية، وبذلك نجد الدارسين في المـدارس الأجنبيـة أكـثر إحسـاناً في النطـق باللغة الأجنبية منها باللغة العربية، وهذا مـن شـأنه هـدم القـيم العربيـة التـي صـيغت بلسان عربي، وبنـاء قـيم أجنبيـة جديـدة تصـاغ بلسـان أعجمـي، لأن اللغـة تحمـل آدابـاً والآداب تحمل التراث، والتراث فيه كل القيم، وصـياغة الآداب عـلى الصـورة العلمانيـة، لا يجعل للدين واللغة أي قيمة (منصور،1983: 14).

د- أن المدارس الأجنبية تظهـر الآخـر عـلى حسـاب أصـول الدارسـين، فتجعـل مـن الأجنبي هو الأعلى والآخر هو الأدنى، وعندها يتبنـى فكـر الغـرب الأجنبـي، ويـدافع عنـه ويتخذ من دعاة الغرب قدوةً له، ولتحقيق المدارس الأجنبية هذا الهدف تلجـأ إلى عمليـة الاختلاط في قاعات الصف وبرك السباحة وتشجيع الزمالة بين الجنسـين، وعنـدها يتخـرج الدارس، إذ به يتبنى الخط الغربي سلوكاً ومسلكاً قلباً وقالباً في حياته الاجتماعيـة، فيتخـذ من الصديقات على شاكلة البنت الصديقة في الغرب، وتتخذ البنـات أصـدقاء عـلى شـاكلة الولد الصـديق، لأن ذلـك تعـود عليـه في المدرسـة التـي درس فيهـا ووجـد مـن المدرسـين

والمدرسات في تلك المدارس التشجيع الكامل على ذلك، إن هذا علامة من علامات الذهاب بالكيان القومي العربي، ولأن اللغة العربية أحد مقوماته وهاهي تتأرجح بسبب هذه المدارس، وما هو إلا بعضاً من الوقت حتى تأخذ العادات والتقاليد العربية تهوي صريعة في ساحات المدارس الأجنبية فلم يبقى إلا القليل من تلك المقومات، وهذا ما حدا أحدهم إلى القول: (إننا أخذنا نشهد في النصف الثاني عشر من القرن العشرين - وهو عهد انتشار المدارس الأجنبية بصورة متسارعة - مرحلة تاريخية جديدة أصبح فيها الكيان القومي العربي مهدداً بالفناء) (عياد، 1993: 49).

إن هذه العولمة الثقافية التي أرادها الغرب، والتي يتم تسويقها من خلال المدارس التي زرعها في الوطن العربي بمباركة الدولة والحكومات العربية، وتبني الطبقة البرجوازية الأخذ بيد هذه المدارس تأسيساً وترويجاً، فإن النشء مستقبلاً يأتي صورة لذلك المنهج الذي درس عليه والمدرس الذي لقنه إياه، والمدرسة التي قضى معظم عمره في قاعاتها، والعادات التي اكتسبها منذ أن كان صغيراً، دخل اليوم الأول إلى المدرسة حتى تخرج منها.

2. تكريس هيمنة اللغة الغربية على العقلية العربية: إن فكرة العلاقة بين الهيمنة والتعليم باللغة الإنجليزية في الغرب أساسية، لذا فالغرب يحاول الهيمنة والسيطرة وإخضاع الأمم الأخرى وخاصة الدول العربية عبر التعليم بلغته، ومن خلال تغيير المناهج التعليمية وخاصة الدينية في البلاد العربية، وقد اهتم الغرب بمصر العربية، لكونها قائدة للنظام الإقليمي العربي، وفي السعودية لأن أرضها تضم المدينة المنورة والتي تحوي رفاة الرسول ﷺ، ومكة المكرمة محج الناس وقبلتهم في الصلاة، وذلك من أجل القضاء على المدارس الدينية والمعاهد والجمعيات الخيرية التي تدعمها، وهي التي تتخذ من اللغة العربية

لسانها التعليمي، ويغري الأمريكان اليوم بحسن صداقتها لهذين البلـدين، علـماً أن هـذه الصداقة مقنعة لا صداقة حقيقية، لقد أصبح واضحاً أن قضية المنـاهج التعليميـة باللغـة الإنجليزية لم تعد شأناً داخلياً ترتبه الحكومات متى وكيف شاءت، وتهملـه وتؤجلـه متـى وكيف شاءت، وإنما أصبحت شأناً عالمياً في ظل ثقافة العولمـة وبفعـل أدواتهـا، وأصـبحت منطقتنا العربية محط الأنظار والتعليم فيها له أبعاده الثقافية والاقتصادية والعسكرية.

إن قضية العبث بالمناهج التعليمية العربيـة لم تفـتر منـذ أواخـر القـرن المـاضي ولغاية الآن، وهذا العبث برر له الغرب أسباباً كثيرة منها: أن مناهج التعليم في الـدول العربية خاصة والإسلامية بعامة تشكل منبعاً للإرهاب، وهذا ما حدا بالولايات المتحدة الأمريكية مـن وضـع (100) مليـون دولار لبنـاء بنـك معلومـات عـن طـلاب المـدارس القرآنية، بهدف وضع كل معلومة عن كـل طالـب ومـدرس في هـذه المـدارس (الفلـق، 2005: 1)، ويجب أن لا يغيب عن البال أن هذه المدارس جميعاً تدرس باللسان العربي المبين والمنضبط قواعدياً وبصورة صـحيحة، ومـا قيـام أمريكـا بهـذا الغـرض إلا لفـرض الهيمنة على عقلية الشعوب من خلال هيمنة لغتهم أولاً تمهيداً لنشر ثقـافتهم، وهـذا النوع الأخطر من بين أنواع الهيمنـة واعتـداء صـارخ عـلى اللغـة العربيـة، لأنهـا عـماد التعليم في العالم العربي، وفي ذلك قال الرئيس الأمريكي ريجان: (لو أن المناهج التي بين أيدينا فرضتها علينا أمة من الأمم، لاعتبرنا ذلك اعتداءً سافراً علينا) (الفلـق، 2005: 2)، لذا إن التغيير في المناهج التعليمية، ما هو إلا اعتداء على حـد قـول أكـبر رئـيس دولـة تحاول فرض مثل هـذه المنـاهج عـلى الـدول الأخـرى، ومنهـا الـدول العربيـة بخاصـة والإسلامية بعامة، وبالتالي ستكون هذه المناهج في مساحاتها تخصيصـاً أكـبر مـا يكـون لصالح العولمة الثقافية الغربية منها لمصـلحة الشـعوب العربيـة، إن الولايـات المتحـدة تقف وراء "مؤسسة كير " وهي تابعة للمخابرات المركزية الأمريكيـة، وهـذه المؤسسـة

تقوم بالتخطيط للمناهج في وزارات التربية والتعليم العربية بخاصة والإسلامية بعامة (البيان، 1423: 49)، إن المدارس الأجنبية المنتشرة في وطننا العربي متنوعة الأهداف فمنها ما يهدف إلى التنصير، وهذا يؤدي إلى التغيير في المعتقد الديني، ومنها ما يهدف إلى محو الأمية كسبيل للهيمنة الشاملة، ومنها ما يهدف إلى الهيمنة من خلال المناهج التعليمية، وهذا الأمر كان محط اهتمام علماء المسلمين فأصدروا الفتوى المحرمة حتى لتأجير أبنية لمثل هذه المدارس ومن هذه الفتوات:

- فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز بتحريم تأجير الأماكن للمدارس الأجنبية، ورقم الفتوى (20262) في 1419/3/3هـ وهناك بيان للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية في 1420/2/3 هـ نادى بتحريم فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وكانت برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله آل الشيخ (اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، 1420)، وكان محور الحديث قبل إصدار الفتاوى له ما يبرره، ويكمن في اتخاذ هذه المدارس من المناهج و اللغة الإنجليزية والفرنسية اللغة الأولى في التدريس، وإقصاء اللغة العربية الفصحى عن الساحة التعليمية، وما لهذه اللغة إلا حصص لا تكاد تصل إلى حصة واحدة في بعض المدارس من مجموع حصص الأسبوع التي تصل في العادة ما بين (42-48) حصة، وما لها أثر على الدين لأنها تنقل النموذج الغربي العلماني والعولمي للساحة العربية وتشجع ثقافة الانحلال.

إن هذه الفتوى لها ما يبررها لأن اللغة العربية هي الوطن وإضاعتها إضاعة للذات بلا منازع (حجازي، 1990: 27-31)، وإن إهمال اللغة العربية يعني إهمال الروابط التي تربط إنسان الوطن العربي بترابه والبدء بالتخلي عن الاهتمام به، ولذلك قالوا العبث باللغة عبث بالوطن وغاباته ومياهه (بوبو،

1991: 748)، كما أن اللغة التي تتصف بالسيادة يعني يتكلم بها الجميع كما ينبغي أن يؤخذ بها ما هي إلا وسيلة الارتقاء بهذا المجتمع من مستوى إلى آخر أعلى منه، وأداة تعبر بها معالم التوزيع الثقافي والعلمي في المجتمع، ولكن اللغة المهزوزة في محيطها مركونة في زاوية مظلمة من زوايا بيتها، أدى بها ذلك أن تكون عاجزة قاصرة خارج حدود مجتمعها بسبب هجر أناسها لها ولدى انس غير أناسها، من هذا المنطلق تعمل المدارس الأجنبية على سيادة اللغة الإنجليزية، وذلك للهبوط بالمجتمعات العربية من مستوى عالٍ، تبوأته المجتمعات العربية بفضل سادة اللغة العربية بالأمس البعيد، والهدف من ذلك من أجل إضعاف هذه المجتمعات وبالتالي السيطرة عليها والهيمنة على كل جوانب الأمة التي يمكن أن تبعثها من جديد للانطلاق إلى درجات التقدم والازدهار، وفي هذا المقام نذكر أن فرنسا عندما رأت أن اللغة الإنجليزية أخذت تزحف على ربوع فرنسا، وأخذت تهيمن على عقلية طبقة لا يستهان بها عدداً بين الفرنسيين، دعا الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي إلى هيمنة اللغة الإنجليزية، وقال: (أنه من خلال منظماتنا الخمس تصبح هناك (79) دولة وحكومة من كل القارات تمثل (2.1) مليار رجل وامرأة يريدون الإبقاء على لغاتهم)، وما يقصده الرئيس بالمنظمات الخمس هي: منظمة الفرنكفونية، ومجموعة الدول الناطقة بالبرتغالية، والمنظمتان الناطقتان بالاسبانية، ومنظمة الدول الأمريكية الأيبيرية، والقمة الأيبيرية الأمريكية (الحداد، 2006: 124)، وهذه كوريا الجنوبية اليوم جعلت من لغتها السليمة، لغة الشارع والقنوات الفضائية، وماليزيا جعلت من اللغة الملاوية لغة علمهم فبلغت ما بلغت نحو العلا، مما جعل الأولى قوة في مواجهة الثقافة اليابانية والثانية جعل منها أحد النمور الآسيوية في جنوب شرق آسيا (نهر، 2005: 88)، وهذه ألمانيا عندما خسرت الحرب الكونية الثانية، جعلت كل شيء قابل للتفاوض في مفاوضات الاستسلام إلا المناهج. فقيل للمفاوضين لم ذلك؟!

فقالوا لو أرادوا كل شيء في ألمانيا لأعطيناهم إياه، إلا المناهج فهي عنوان قوة وعنوان وحدة وانتصار في المستقبل، وكان لهم ذلك فالمناهج التعليمية هي التي حدت بالألمان هدم جدار برلين المعروف عام 1989م (هزايمة، 2007: 15)، إنه من خلال ما سبق يمكننا الوصول إلى ما يلي:

- إن المناهج التدريسية في المدارس الأجنبية تعمل على إقصاء اللغة العربية، لتحل محلها اللغة الإنجليزية وهي بالتالي ما هي إلا قوالب يصيب فيها فكر الدارس، وبالتالي يكون الفكر نتاج المناهج قلباً وقالباً، فيفقد العربي لسانه العربي الفصيح وهويته القومية.

- إن الفتاوى التحريمية التي جاءت على لسان أهل الفتاوى من المسلمين يجب الأخذ بها، لأنها لم تأتي من فراغ بل جاءت نتيجة تطبيق ما يتأتى من هذه المدارس على مقاس الشرع، فلو لم تكن معارضه نتاجها للشرع لما كانت الفتاوى التحريمية.

- إن المدارس الأجنبية ما هي إلا أداة هدم للغة العربية، لكونها تعتمد على اللغة الإنجليزية لغة بلدها الأصلي، وتطغى على مساحة اللغة العربية في مناهجها التي ما هي إلا مساحة قليلة جداً.

3. تغليب اللغة والثقافة الغربيتين: إن المدارس الأجنبية في الوطن العربي مهاد لنشر التثقيف الأجنبي، وفي حالة الوطن العربي التثقيف الغربي لكل الوطن وبكل أحواله، وضرب الحصار الثقافي اللغوي على عقلية الجيل العربي بدءاً من النشء الصغير، وذلك بتدمير لسانه بالرطانة الأعجمية، ومعلوم أن كل لغة تحمل فكر الناطقين بها، ففي تغليب اللغة الأجنبية على اللغة العربية لتدريس المناهج الغربية ومفرداتها، يعني بث للفكر الأجنبي في عقول النشء، وقبل الحديث عن آثار ذلك علينا أن نبرز ما تحويه تلك المناهج حتى لا يكون الحكم ظالماً.

ففي رسالة دكتوراه عن مخاطر التعليم الأجنبي قامت فيه الدكتورة بثينة رمضان، بعد تحليل عدد من المناهج الدراسية بالمدارس الأمريكية الموجودة في مصر، حيث أوردت في دراستها قصص كثيرة، يدرسها أبناء العرب والمسلمين هناك، وتشكل جميعها وجدان الطلاب وفق الرؤية الغربية للحياة من اختلاط وصداقة بين الجنسين، وأكل لحم الخنازير، وشرب للخمور، وصلوات بالكنائس، وخلوات، ومبيت عند الأجنبيات، وإنجاب من سفاح إلى غير ذلك من الانحلالات، هذه الثقافة الغربية المنوي تعميمها وتغليبها على الثقافة العربية ولبيان سخافة العقل العربي فقد أوردت الباحثة قصة يدرسها باللغة الإنجليزية طلاب الصف الرابع الابتدائي بالمدارس الأمريكية بمصر، تلك القصة مسماة بـ (رحلة بالكارنفال)، وأخذت أحداثها في الصحراء العربية، حيث وقف بعض رجال العرب مع جمالهم لكي يتفقوا على مكان مناسب للقيام برحلة، ولكنهم كعادتهم يتحاورون كثيراً ولا يتفقون، فقام أحد الجمال خطيباً وقال: أنا أكره الرحلات مع مثل هؤلاء الناس، يا جمال اصطفوا سأقود الرحلة، وسارت الجمال وسار العرب وراء جمالهم، وعند مكان بالصحراء وقف الجمل، ووقفت الجمال والعرب، وقال: هذا مكان مناسب لقضاء وقت الرحلة "، وحطوا المتاع، عندها قال أحد الأعراب: "إنها أجمل رحلة على الإطلاق، وإنني أول مرة أستمتع بالقيام بالرحلات"، فقال إعرابي آخر له: لماذا، فقال: إن الجمال هي السبب ولولا الجمال ما جئنا إلى هذا المكان الجميل، إذا كانت هذه القصة وما هو على شاكلتها تدرس في المرحلة الإلزامية (الابتدائية) لطلاب عرب وعلى أرض عربية، وهي مرحلة تشكيل الوعي وبناء الوجدان لدى النشء، فما هو الوعي وكيفيته وكذلك الوجدان الذي سيتشكل عند هؤلاء، وما هو لون الثقافة التي سيتربى عليها هذا النشء، ليس عند هذا الحد بل هناك ما هو أدهى منه وأمر لطلاب في مرحلة عمرية هي أخطر المراحل على الإطلاق، وهم طلاب المرحلة

الثانوية، فتكشف نفس الباحثة عن كتاب مادة علم الاجتماع، في هذه المدارس، فيتعرض لقضية الحرية الشخصية والجنسية واحترام طبيعة كل شخص ورغباتها في اختياراتها، وفي ضوء ذلك يعرض الكتاب لبعض النماذج الأمريكية ولنأخذ نموذجاً واحداً يتعلق بثقافة الجنس، فالكتاب يتحدث عن "جمعية أنصار نادي العراة " التي استطاعت أن تحصل على حقوقها في المجتمع الأمريكي، ويتناول الكتاب فلسفتهم ويعرض صور لهم، كما يتناول الكتاب الشواذ جنسياً ويعرض قصة وصور أول لقاء لزوجين شاذين من الرجال، وهذه المادة " علم الاجتماع " وما تحويه من شذوذ جنسي يتم تدريسها في ظل مناخ اختلاطي، مراهق من قبل مدرسين ومدرسات أجانب قد يكونوا مؤمنين ومبشرين بالمثلية الجنسية (زعفان، 2009: 1)، بالإضافة إلى ذلك فهناك بعض الآثار الذي تتركه على لسان وعقلية الطلبة في الدول العربية التي تحتضن مثل هذه المدارس وهي:

1. أن المناهج تدرس بلغة أجنبية وهذا ما يجعل سداً منيعاً بين الطلبة العرب رواد تلك المدارس، ولغتهم العربية فهي الغربة بعينها على أرض العرب، لكون اللسان العربي بات مهجوراً في مثل هذه المدارس، فحجب اللغة العربية عن لسان النشء يؤدي إلى إضعافها وتبغيضها في نفوسهم.

2. أن المدارس الأجنبية تولي اهتماماً معمقاً باللغة الإنجليزية، فكلما زاد الاهتمام باللغة الأجنبية زاد مقدار اللغة، وبالمقابل قل التركيز على اللغة العربية وبكل ما يرتبط بها من نواحٍ، فيقل بالتدريج معرفة ابن هذه المدارس بالدين والشخصيات الإسلامية، وجغرافية وتاريخ الوطن العربي وآمال وآلام الأمة العربية، فيحدث عندها انسلاخ لهذا الدارس لغوياً وثقافياً ودينياً عن تراثه وثقافته العربية الإسلامية.

3. أن هذه المناهج التي تحوي مثل هذه القصص آنفة الذكر، وتدرس لأبناء عرب على أرض عربية، وبأقوال الغربيين وفكرهم تغيب الوعي العربي،

لكونها تتحدث عن بيئة ليست عربية، فهذا يعني أن الطالب ما عليه إلا أن يكتب كتاب البراءة من العرب، لكون قصة الجمال تحط من شأنهم وتمحو من الذاكرة أمجادهم، واللغة العربية عن ألسنتهم لكون البراءة من قوم يعني البراءة من لغتهم.

4. إن عدم التدريس بلغة العرب يتكون لدى الطالب عقدة الإحساس المعمق أن اللغات الأخرى وخاصة الإنجليزية أكثر اقتداراً عما سواها، وهذا يؤدي إلى قطع صلة العلوم بالإسلام ولغة العرب.

5. إن إبعاد النشء والشباب المسلم عن لغته بتدريسه لغة أجنبية كالإنجليزية، يجعل من هؤلاء ولكونهم يعيشون في بيئة عربية لا يعلمون من اللغة العربية إلا ما يعلمه العامي، الذي لم يدخل مدرسة وبالتالي تطغى اللغة العامية في أرض العرب على اللغة العربية الفصحى.

6. إن تغيب الوعي وهدم الوجدان العربي يصبح حقيقة لا مفر منها، لكون الطالب الذي يربى على مثل هذه الثقافة المنقولة من الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، قلباً وقالباً سيكون ولاءه بعد التخرج واقترابه من مواضيع صنع القرار العربي للخارج الغربي الأجنبي، وليس للداخل القومي العربي، وهذا بسبب ثقافة الجمال التي أشرنا إليها، فارغة المضمون اللهم إلا تلك ثقافة الحط من شأن العرب، وبسبب ما تلقاه الطالب عن جمعية العراة والمثليي الجنس، فالثقافة العربية واللسان العربي مغيبة عن وعي هذا، والوجدان العربي عندها يكون في إجازة مفتوحة، ولأنه لم يتربى عليها في مرحلة صقل اللسان وتنمية الوجدان العربيين.

7. إحداث نوع من الطبقية في المجتمعات العربية على اعتبار الدارسين في المدارس الأجنبية، وفق تصنيف هذه المدارس والدول التي ترعاها هم الأفضل

بين السكان، وهذا له ما يبرره لأنهم الأقرب لتلك الدول، ولكونهم طبخت عقولهم في معاملهم بواسطة تلك المناهج، وبالتالي تفتح لهم أبواب تلك الدول للهجرة أو للتعليم، وهذا يدفع الآخرين للإقبال على مثل هذه المدارس، ويأخذ بثقافتها ويحرص كل الحرص على إتقان لغتها، على حساب اللغة العربية ليتمكن من الهجرة أو فتح الطريق للدراسة هناك.

8. إن ما نلمسه اليوم عند الإعلان عن دراسة مساق وخصوصاً في برامج الدراسات العليا، يتم فحص قبول باللغة الإنجليزية للمتقدمين، ليتم الاختيار من العدد المتقدم لذلك وما هي إلا أيام، وإذ بالناجحين في ذلك، هم من أولئك الذين درسوا في المدارس الأجنبية وتتلمذوا على مفردات مناهجها باللغة الأجنبية.

إن تغيب اللغة العربية يتبعه عدة آثار خطيرة في عقلية العربي ووجدانه، فالآثار المدمرة الناجمة عن تغيب اللغة العربية ينتقل بالطبع إلى كل ما هو مكتوب باللغة العربية، وأعظم ذلك (القرآن الكريم) الذي نزل بلسان عربي قويم، فلا يحسن عندها القارئ قراءته فضلاً عن فهمه وتدبره، وهذا آخر المطاف هو المطلوب صرف الجيل عن كتاب الأمة الإسلامية وسنة نبيها محمد ﷺ، كما يتم الانصراف عن تراث الأمة المكتوب باللغة العربية إلى تراث الأمم الأخرى ذاك الذي درس في مدارسها وباللغة التي تلقنها وشب عليها وأمضى عقود حياته في دراسة مفردات مناهجها، كما هو مشاهد ومعروف في أبناء الأمة العربية التي سلخ الغرب ألسنتهم عن لغتهم الأصلية اللغة العربية.

إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب على كل مسلم، وإن فهم الكتاب والسنة النبوية فرض ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب لذا فكل ما يلحق باللغة العربية تنعكس آثاره على الدين بكل مظاهرة.

ثانياً: أثر المؤسسات الإعلامية المنفلتة:

إن بعض المؤسسات الإعلامية العربية ونخص بالذات الفضائيات العربيـة المنفلتـة، تلعب دوراً خطيراً في مجال اللغة والثقافة العربية، فالمسلسلات الأجنبية المدبلجة أصبحت من أكثر البرامج محببة عند المشاهدين فهي تعزز البعد الاجتماعي للإنسان العربي وتعليمـه الأدوار والقيم من خلال التسلية وقضاء الأوقات، الأمـر الـذي جعـل الاعـتماد عـلى وسـائل الإعلام كبير بحد ذاته، حيث يكون تحبيذ وسائل الإعلام عن غيرها، بسبب أنها تسيطر عـلى مصادر المعلومات، وتستطيع جلبها من أي مخبأ تكون، وهـذه المعلومـات تكـون في حـد ذاتها مفيدة أو مدمرة للإنسان وصولاً إلى المجتمع برمته.

إن الغزو الثقـافي الموجـه مـن خـلال الشاشـات التلفزيونيـة ومـا يبـث عليهـا مـن مسلسلات مدبلجـة، أدى إلى كسـب قطـاع كبـير مـن الجمهـور العـربي، وفي اعتقادنـا قـد حققت أهدافها، وهذه الأهداف تعد خسارة كبيرة لمصالح الأمة العربية وطموحاتها في بناء مستقبل أجيالها وتعزيز قيمها الأصيلة في كافة المجـالات ومختلـف الجوانـب، فعـلى سـبيل المثـال لا الـحصر إن المسلسـلات التركيـة المدبلجـة بالطريقـة السـورية تـؤدي إلى إحيـاء الـلـهجة السورية وتعزز من وجودها على ألسنة السوريين، ومن خلالها تم العمل على إثارة الغرائز وترسيخ المفاهيم والقيم السلبية لدى المشاهد العربي بوجـه عـام، وخاصـة في المجـال الاجتماعي حيث يتضح تأثيرها، أكبر ويتمحور هـذا التـأثير في تـدمير أبنائنـا، حيـث نجـدهم ينتظرون المسلسل على أحر من الجمر، ويا للأسف فالمرأة العربية تنتظر قبل أبنائهـا، وهـذا واقع أليم تعيشه، حيث تبحث المرأة العربية عن الرومانسية والتي فقدت بسبب الأوضاع الاقتصادية رغم أنها تشاهدها بالـلـهجة المحلية وربما لهجة غير لهجتها اللغوية.

لقد سـعت الفضـائيات العربيـة المموليـة بالمـال العـربي إلى تـرويج أسـاليب الحياة وأنماط السلوك الغربيـة، التـي لا تنسـجم مـع قيمنـا وتقاليـدنا، وقـد لاقـت

اهتماماً متزايداً من المجتمع العربي لا سيما الشباب والمراهقين منهم، لما تعكسه بعض الأغاني المصورة والبرامج المبتذلة القائمة على الإثارة، وإن مردود ذلك يؤدي إلى طمس هوية الشباب والتي عنوانها اللغة والعبث بالقيم والعادات والتقاليد والثقافة المجتمعية العربية الإسلامية، والغريب في الأمر أن بعض الدول التي تدعي أنها تأخذ بالنهج الإسلامي وتنادي بحمايته، هي التي بدأت في إنشاء الفضائيات وساهمت لعرض المسلسلات المدبلجة والأغاني الفاضحة، إن تلك البرامج والتي تبث من خلال شاشاتنا العربية تؤدي في المجتمعات العربية إلى نتائج عدة منها:

الاضطراب الثقافي والاجتماعي في العالم العربي وعدم الاستقرار في العلاقات العامة والاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة والاستسلام له، والانبهار بالموضة الأجنبية على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية العربية الإسلامية وازدياد اليأس والإحباط، إن الفضائيات العربية وبالذات الخاصة منها بدأت تتسابق على إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب واجتذابهم بأي صورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الثقافية والاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصة في إشاعة النماذج الغربية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليد الأعمى لهذا المضمون الهابط (الحديثي، 2005: 5)، التي تؤدي إلى تهتك الستر الأخلاقي وتخترق العادات والتقاليد العربية، وإلى غير ذلك من أجل إلحاق المجتمعات العربية بالمجتمعات الغربية، وأما في مجال اللغة فإن تأثير الفضائيات العربية المنغلقة يتضح من خلال ما يلي:

1) تسويق اللهجات المحلية التي تختلط برطانة اللسان إلى اللغة العربية، وبالتالي يؤدي هذا إلى إدخال ما ليس في هذه اللهجة أو تلك، ما هو ليس منها، وبالتالي يؤدي إلى خلق اللهجة الثالثة وهذه اللهجات تكون بين اللهجة المحلية

السائدة وبين اللـهجة العامة السائدة في مجتمع الدولـة الواحـدة، وهـذا يحتـذي حـذو اللغة العربية الثالثة أو المعاصرة، وهذه الـلـهجة يتسرب منها إلى اللغة العربية الفصحى فتعزز ما يسمى باللغة العربية الثالثة، وفي هـذه الحالـة إدخـال مفـردات أو مصـطلحات رطانـة اللسـان إلى اللغـة العربيـة، وخصوصـاً إذا علمنـا أن اللغـة التركيـة الأم لأبطـال المسلسلات التركية المدبلجة تحمل الكثير من الكلمات والمفـردات العربيـة، وهـذا يسـهل السماح لقبول هذه الكلـمات أو المفـردات مـع قليـل مـن اللغـة التركيـة إلى بوابـة اللغـة العربية ومن ثم الولوج منها إلى حصن اللغة العربية المنيع (جابر، 2008: 13).

2) قيام الفضائيات العربية باعتماد الـلـهجات المحليـة كلغـة رسـمية في برامجهـا وخاصة ذات الأهمية كالأخبار، وهذه تقوم على تقديم الخبر للمشاهدين باللغة العربيـة والعامية والـلـهجة المحلية، فيؤدي ذلك إلى اختلاط الحابل بالنابل لغوياً، فيحس المشـاهد أن هناك لغة جديدة تبث من هذه الفضـائية، وهـذه اللغـة لا تخضـع لنـاظم لغـوي ولا لقاعدة نحوية، وبالتالي ينشأ عند المتابع لهذه الفضائية حاسية تفضيل هذا اللـون اللغـوي على غيره (وهذا ما ينتهجه التلفزيون اللبناني، في كل نشرات الأخبار اليومية)، وإذا ما تسرب لذلك إلى لسان الأطفال والمتابعين فإننا سنجد جيلاً بعد عقـود مـن الـزمن، وقـد تأصـلت هذه اللغة وأصبحت هي الأصل واللغة العربيـة الفصـحى ثانويـة وبالتـالي يـتم اسـتبدال الدخيل بما هو ليس له أهل.

3) إن الفضائيات العربية الهابطة تنتصر للعولمة الثقافية وترمـي إلى تمزيـق كل روابط الثقافة العربية الإسلامية، ولما كانت اللغة هي روح الثقافـة ونسـيجها كان الانتصار عندها إلى لغة أخرى غير اللغة العربية، فالفضائيات العربية المنفلتة والحالة هذه تسدد سهامها إلى الثقافة واللغة العربيـة، إلى جانـب سـهام العولمـة الثقافية التي تعد وفـق بـرامج ترفيهيـة هادفـة تدغـدغ رغبـات الشـباب، وهـذا

يمكن الوقوف عليه من خلال ما يبث فيما يسمى ببرامج (تلفزيون الواقع)، من دون أن تضع هذه الفضائيات بالحسبان قيم المجتمعات العربية وتقاليدها وأنماطها الاجتماعية، فمنذ متى تعرض الفضائيات العربية برامج تقوم فكرتها على عرض فتيات للزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم، وهذا ما تقوم عليه فكرة برنامج (الهوا سوا)، إذا كان هذا يعبر عن واقع المجتمع الغربي، فتسويقه عبر الفضائيات العربية والجلوس ساعات أمام التلفزيون للمشاهدة يعني إعطاء مثل هذه البرامج شارة القبول للدخول إلى حصننا المنيع اللغة والثقافة العربية، ومع الأيام يصبح هذا البرنامج وما شابهه أمر عادي، ويأخذ أبناء المجتمع بالتقليد الأعمى لهذا البرنامج، وعندها لا يكون هناك فارق بين مجتمع عربي وآخر غربي، وهذا هو الهدف الذي يقع في صميم العولمة الثقافية.

4) ولعل من ابرز العوامل الأخرى التي حققت جماهيرية واسعة وتعمل على إخلال في منطوق اللسان العربي في عدة مسلسلات منها، مسلسل سنوات الضياع وميرنا وخليل والحلم الضائع وغيرها وبالدبلجة السورية، وهذا يعني أننا مقبولون على اجتياح درامي دخيل، و يعني الخروج إلى ميدان التجديد في الشكل والمضمون، وهو الأمر الذي يعني أن المنافسة المقبلة ستكون بين الدراما الأجنبية والدراما العربية وليس بين الدراما العربية والدراما العربية كما هو كان شائعاً،وهذا يعني في نهاية المطاف جعل الدراما الأجنبية أمراً مقبولاً لدى العرب وباللغة الأجنبية وبالتالي إحداث تغيير بالدراما العربية وهذا التغيير يؤدي إلى تغيير وتبديل بمفردات اللغة العربية الفصحى، تتناسب مع التغيير الطارئ في الدراما العربية نفسها، وهذا بحد ذاته انتقاص من مكانة اللغة العربية.

5) إن الدراما العربية التي تبث من خلال الفضائيات العربية المنفلتة، شجعت بدورها السياحة العربية إلى الخارج فأبطال المسلسلات التركية المدبلجة باللهجات المحلية أو القطرية، أصبحوا خير سفراء لبلادهم في الوطن العربي،

فعلى سبيل المثال نجحت (لميس) بطلة مسلسل سنوات الضياع عصف عقول الشباب العربي المراهق، حيث أن هذه المسلسلات بفكرتها العلمانية التي نشرت الرذيلة من خلال قصص الحب والغرام والحمل قبل الزواج، وهذه المسلسلات منافية لعاداتنا وتقاليدنا العربية والإسلامية، ومثل هذا مناف لعقيدتنا الإسلامية أيضاً، ويتماشى مع العقيدة العلمانية، والبون واسع بين العقيدتين، وبالتالي فإن الأفكار الدخيلة بدأت تتغلغل بين الشباب والفتيات، حيث أنهم أينما كانوا يتحدثون عن هذه الدراما، وأما ما يعكس ذلك على اللغة العربية، فإن هذا يظهر واضحاً فالأسماء بدأت تظهر على الملابس وهذا ما نلحظه إذا وقفنا متأملين على ظهور المارة، وأخذت الجمل والعبارات المدبلجة تنطق بها ألسنة أولئك المعجبين، وكأن الإحلال اللفظي أخذ مكانه في الساحة الثقافية، ولا يجد أحد الشباب من الفتيان والفتيات أي غضاضة في التلفظ بها، وما يحملهم على ذلك أن هذه المسلسلات مشوقة،لأنها تحتوي على مغامرات رومانسية مفرطة مقارنةً بالمسلسلات العربية، وهذا ما يجعل لها القبول لدى الشباب من كلا الجنسين، أضف إلى أن هذه المسلسلات تتميز بقدرتها على الدمج بين اللمسة الرومانسية، التي تلون هذه المسلسلات والمناظر الطبيعية الخلابة المشابهة، لأوروبا وبين عادات المجتمع الشرقي وتقاليده، كون المجتمع التركي التي من خلاله تنشأ الدراما يجمع بين الغرب والشرق في آن واحد.

6) إن التأثير الذي أحدثته البرامج المدبلجة في العالم العربي يبرز أثرها في تسمية المحال التجارية في العواصم والمدن العربية بأسماء أبطال المسلسلات، وأخذنا نردد هذه الأسماء على ألسنتنا ونقرأها كلما وقعت أنظارنا عليها، انعكس هذا الحال بفعل الفضائيات العربية المنفلتة، حيث راجت الصراعات الجديدة من الملابس التي تحمل أسماء الممثلات التركيات في مسلسلي " سنوات الضياع " و " ونور " في الأسواق ، وبات أشهر فستان في الأسواق المحلية الآن يحمل

اسم لميس بطلة " سنوات الضياع "، فيما أطلق اسـم " نـور" عـلى مجموعـة فسـاتين مـن النوع الكلاسيكي ذي اللونين الوردي والأبيض الذي تميزت به بطلة هذا المسلسـل أو ذاك، كما حملت مجموعة التنانير القصـيرة اسـم " دانـه " إحـدى بطـلات ذاك المسلسـل التـي ظهرت به البطلة بتلك التنانير القصـيرة جـداً، ولاقـت شـهرة واسـعة بـين المراهقـات، أمـا أحدث مجموعة تايورات فحملت اسم " بانه " البطلة الثانيـة في " نـور " والتـي اشـتهرت بالطابع الرسمي المميـز بالجاكيـت والتنـورة، فـإذا كانـت اللغـة الإنجليزيـة تـزين أسـماء محلاتنا العربية التجارية، أصبحت بالمقابل أسماء الفنانين والفنانات تزين أسـماء الـزي في بلادنـا العربيـة إقتفـاء وراء مـا تعلمنـاه مـن بـرامج البـث الفضـائي العـربي المنفلـت (www.Islamway.com).

7) الخروج من الأجواء العربية المنضبطة إلى الأجواء الأجنبية المنفلتة لكـون هـذه الفضائيات تسوق لنا من المفـاهيم أخطرهـا عـلى العـالم العـربي والإسـلامي وعـلى القـيم والأعراف والتقاليد الإسلامية، ومن هذه المفاهيم تشجيع العلاقـات المحرمـة القائمـة عـلى الصداقات والزنا واخـتلاط الأنسـاب وقبـول ذلـك في الأسرة الواحـدة، وممارسـة الإجهـاض الذي تحرمه كل الشرائع، وكل الاتجاهات الدينية والعلمانية في تلك المسلسلات، عـلى انـه حل لمشكلة الزنا والعلاقات غير المشروعة، بل لا نجد فيها ما يحرم ذلك من طب أو قانون أو عقيـدة، وكـذلك تشـجيع تعـاطي الخمـور والمسـكرات وتشـجيع النسـاء للتمـرد عـلى أزواجهن، وجعل القوامة بأيديهن، إن الذين يقومون على دبلجـة تلـك المسلسـلات كـادر إعلامي وفني عربي مسخر من حيث يعلم او لا يعلم لنشر الثقافة العولميـة المظللـة، إنهـا ثقافة العولمة التي أصبحت تعشش في أذهاننا نحن العرب وخاصة قطـاع الشـباب، وهـم يتشربون قيم المجتمعات الغربية دونما رقيب أو حسيب بل أحياناً بمباركة أولياء أمـورهم وذويهم.

إذا كانت هذه المسلسلات تحتوي على أكـثر مـن مئـة حلقـة وكـل حلقـة ساعة، وأن المشاهدين يعدون بالملايين، فهذا يعني دعماً لمثل هذه المسلسلات و

مزيداً من الخطوات نحو الأجواء العلمانية مخلفين وراءنا الأجواء العربية الإسلامية، ويعني وداعاً للهوية العربية وإقبالاً على الهوية الأجنبية وهذا هو الهدف البعيد للعولمة الثقافية.

وقبل أن نبرح ساحة الفضائيات العربية المنفلتة والبرامج التي تبثها كالبرامج التركية المدبلجة خصيصاً لا بد من التعرض إلى الأحكام من وجهة نظر الدين في أمرها، حيث وصف مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مسلسل " نور" التركي والذي بثته قناة (ام، بي، سي) بأنه (www.Islamway.com): (مسلسل منحط منحل وأي محطة تبثه تكون قد أعلنت الحرب على الله ورسوله، وأنه مسلسل إجرامي خبيث ضال ضار مؤذ مفسد، ولا يجوز النظر إليه ولا مشاهدته فهو فيه من الشر والبلاء وهدم الأخلاق ومحاربة الفضائل، ويدعو إلى الرذيلة ويحبذها وينصرها ويؤيدها وينشر أسبابها).

8) قيام مؤسسات بترجمة اللهجة العلمية وليس ترجمة اللغة العربية، ويتضح هذا من اللغة التي ينطق بها أبطال المسلسل فهي والحالة هذه قامت على ترجمة العامية بعيد عن العربية الفصحى، ونحن وبكل أسف في زمن أحوج ما نكون فيه نحن العرب والمسلمين إلى تمكين اللغة العربية التي تعاني ما تعانيه اليوم من تباين اللهجات واعوجاج اللسان، وربما أن بعضهم يرى باللغة العامية واللهجة المحلية أكثر قدرة على الوصول إلى المشاهد، علماً أن ما تمت دبلجته بالعربية الفصحى سابقاً لقي قبولاً أكثر من العامية (غيبور، 2009: 15)، ومهما كانت وتكون الحجج في ترجمة العامية واستكمالها بدلاً من اللغة العربية الفصحى يبقى القول في ذلك قاصراً على النطق بالحقيقة، فاللغة العربية الفصيحة هي اللغة القادرة على التعبير عن كل فكرة كيف لا وهي المعبرة عن كل نص قرآني في كتابنا العزيز، وهذا يعني تفوقها على غيرها من اللغات واللهجات.

ويبقى القول أن الفضائيات العربية هذه كان عليها من الأولى بث البرامج الهادفة وباللغة العربية الفصحى، وخصوصاً وهي عربية المنشأ عربية التمويل عربية الإدارة، لهذا كان عليها أن تضع من أولويات أهدافها في المجال اللغوي خدمة اللغة العربية الفصحى، لا فتح كل المنافذ التي تؤدي إلى إهمالها والنيل منها، إن الفضائيات العربية التي تفتح مثل هذه المنافذ تستحق أن يطلق عليها فضائيات منفلتة، لأنها بالأصل أن تكون في الجانب اللغوي ملتزمة بالقواعد الضابطة للغة العربية.

المطلب الثاني

أثر تحديات الصعيد الشعبي العربي

إن من أكبر المخاطر التي تحف بالشعوب أيا كانت في الوطن العربي، ومن جهة اللغة العربية آفات وفي مقدمتها آفة العامية وآفة الأمية، فالأولى لها مخاطرها حيث تسهم في انفصال اللسان العربي القويم عن أصوله اللغوية، وتلبسه بمنطق لغوي جديد لا يكاد يمت للأول بصلة، عدا تلك البقايا التي ما زالت اللغة العربية الفصحى تفرضها على العامية فرضاً وتحشرها بين زمرة ألفاظها نظراً لحاجة العامية نفسها إليها لما تؤديه من دلالات خاصة، حاول الذهن الاحتفاظ بها لتعلقها بعرف اجتماعي أو مبدأ عقائدي، أضف أن العامية تسعى وبكل وضوح إلى تأصيل مفرداتها على ألسنة النشء، وخصوصاً عند أولئك الذين تتدنى مستوياتهم الثقافية، فهم لا يفرقون بين هذا اللفظ وذاك لطالما يؤدي إلى الهدف المطلوب.

وأما الآفة الاجتماعية الثانية والمتعلقة بالأمية فهي الأخرى لها مخاطرها وفي مقدمتها الجهل بحقيقة اللغة العربية وخصائصها وما يميزها عن اللغات الأخرى التي لا ترتقي والمستوى اللغوي للغة العربية، أضف إلى أن الأمي يندرج عليه كل ما يسمع بلا روية في التفكير وتمحيص وهذا يجعله يعتقد اعتقاداً جازماً

لا يقبل الشك أن ما هو من لغات أجنبية في حقيقته مـن اللغـة العربيـة ويأخـذ بالـدفاع عنه، وفي مجال الحديث عن أثر التحديات الشـعبية والتـي في اعتقادنـا أنهـا مـن الآفـات الكبيرة التي تتغلغل في أكبر عدد من أبناء الأمة العربية، والتي لسانها الضاد سـنتناولها في الفقرتين الرئيسيتين التاليتين:

أولاً: أثر ظاهرة العامية في اللغة العربية.

ثانياً: أثر ظاهرة الأمية في اللغة العربية.

أولاً: أثر ظاهرة العامية في اللغة العربية:

لا شك أن آثار العولمة الثقافية عـلى اللغـة العربيـة كبـيرة وخطـيرة جـداً، حيـث لا تعمل على الاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة، من خلال أدواتها والذي لا يقـف عنـد حـدود التغريب والانفصال عن الجذور الأصيلة لمقومات اللغة العربية وضوابطها، بل نجعل مـن هذه المقومات والضوابط الهدف الذي تعمل من أجل إفراغه من المضمون، والإبقاء عليـه شكلاً ولكن إلى حين، حتى تتمكن من عقلية الناطقين باللغـة العربيـة ومـن ثـم الإطاحـة بتلك المقومات والضوابط واجتثاثها من عقلية أبناء العروبة ومن على ألسـنتهم، والعاميـة في هذا المقام ما هي إلا بوابة الاختراق للعولمة الثقافية، حتى تحقق هدفها ذاك المنشـود، فمن خلال العامية يتم تسطيح الفكر والحكم عليه بالتبعية الثقافية والانحراف عن اللغة الأم لغة القرآن الكريم ليس حاضراً فقط بل على مدى الأجيال المقبلة، والتي تمتد إلى عدة عقود، وربما إلى قرن أو أكثر، لأن العوام يستقبلون المعلومة من خـلال الوسـائل السـمعية والبصرية التي تسوق إليهم، وهذا بدوره يقود نحـو الاغـتراب اللغـوي، وتكـريس الثقافـة اللغوية الغربية، عند استبدال اللغـة العربيـة الفصـحى بلغـة العاميـة الدارجـة (شـاهين، 2008: 349).

إن العولمـة الثقافيـة تجعـل العاميـة في البلـد الواحـد لتصـبح هنـاك عـدة عاميـات، ومن خلال هذا المتعـدد تقـوم بإدخـال اللغـة الدخيلـة مكانهـا، لـذا فالعاميـة يجـب أن

لا تحارب كلياً لأنه لا يمكن القضاء عليها مهما كانت المحاولات، بل لابد من حمايتها هي الأخرى، لأنها خط الدفاع الأول عن الفصحى، فإذا سقطت في وجه العولمة اللغوية فإن الدفاع عن الفصحى سيضعف (مؤنس، 1978: 112)، فعلينا والحالة هذه حمايتها من كل دخيل حتى لا ينطلي على العوام أن ما ليس من اللغة العربية منها، وفي هذا التوجه علينا أن نبين بعضاً من هذه الآثار التي تحملها العامية على اللغة العربية في ما يلي:

1. الإطاحة بخاصية التفرد والخصوصية اللغوية للغة العربية، لكون الفصحى واحدة ولكن العامية عاميات متعددة، فكل جهة لها عاميتها، وفي هذا الأمر يتم الإغراق في الإقليمية والخصوصية، كما أن العاميات مرتبطة بلغات اندثرت لها علاقة تاريخية بالمنطقة تحاول بعض الجهات العمل على إحيائها من جديد مثل إحياء فينيقية سوريا ولبنان، وآشورية العراق، وفرعونية مصر، وبربرية شمال أفريقيا وهذه الاتجاهات تصب في مصلحة طغيان المد العولمي وفي سلة الانتكاس اللغوي على ألسنة الناطقين باللغة العربية (الديوب، 2008: 155)، في حين نجد الفصحى واحدة فهي تجمع ولا تفرق، وتتخطى الإقليمية إلى الوحدة، والعمومية إلى الخصوصية، فتظهر كل الناطقين بالفصحى في صورة الأمة الواحدة يحملون هوية واحدة وبالتالي تطبعهم بطابع التفرد الثقافي.

2. توليد صراع من نوع آخر بين العامية والفصحى، ومنشأ هذا الصراع سببه الاختلاف بين شرائح المجتمع فمنهم الخواص ومنهم العوام الذين لا يمكن أن تتطابق عندهم مستويات توظيف اللغة بحكم اهتمامات كل شريحة وجذور هذا الصراع تمتد في التاريخ اللغوي، ولا يهمنا في هذا المقام الكشف عن تلك الجذور، أو تتبعها عودة لدراسة التاريخ، ولكن ما يهمنا هو الوقوف على الجدلية العاكسة لمدى التأثير والتأثر بين اللغة الفصحى والعامية، فاليوم أصبحت الوسيلة الأكثر تزويداً للعوام بالمعلومات هي ما يسمعه وما يراه العامي، فالتلفزيون

والراديو هما الوسيلتان الأكثر شيوعاً في طرق سماع العامي والترائي أمام بصره، فهي بالتالي لها آثارها السلبية على اللغة العربية، وذلك لعدة أسباب منها (بن موسى، 2008: 257): إهمال وسائل الإعلام المعجم اللغوي الفصيح في أشهر مساحاتها الإعلامية انتشاراً بين الناس، وهذا يسمح لامتداد العامية حيث انحسار المصطلحات اللغوية الفصيحة وبصورة طردية، أضف إلى أن تكريس العامية في الخطابات الخاصة كالإعلانات وتجعل أذن العامي يستسيغها، وتكريس مفاهيم لغوية خاطئة توظف خصيصاً للأطفال، توظف الألفاظ العامية بدلاً من مفاهيم لغوية صحيحة وذلك من خلال برامج معدة سلف لهذه الغاية، كبرامج الكرتون أو الرسوم المتحركة على اختلافها التي استبدلت لغتها بالعامية في كثير من البلدان العربية، إن هؤلاء الأطفال من حقهم أن يورثوا لغة سليمة قوامها الفصحى لا العامية.

إن ما سبق يؤدي بدوره إلى نشأة جيل ينادي باللغة العربية الفصحى وجيل آخر استهوى العامية منذ الصغر، وبالتالي يجد باللغة العربية الفصحى تلك المعضلة التي لا يمكن تخطيها في الحديث والمخاطبات، فيعملون على مؤازرة عاميتهم وهدم اللغة العربية، وإخراجها من الساحة الإعلامية والتعليم وفي كافة المستويات ومختلف الجوانب الإنسانية للناطقين بالعربية، إن الجيل الذي ينشأ ولسانه ينطق بالعامية لا يرى إلا بالعامية هي الأصل والفصحى هي دخيلة وهذه الحالة ما هي إلا انتصار للفكر العولمي اللغوي، ويسهل الطريق له لإحكام القبضة على مقومات اللغة العربية الفصحى، وصولاً إلى تغييبها تدريجياً عن الحضور الاجتماعي عند حدود التعامل اليومي وصولاً إلى تغييبها عن الواقع التعليمي، الذي من على مقاعده تؤصل اللغة على الألسن، إن تسارع اكتساب العامية انطلاقاً من منابر العلم سيجعل العربية الفصحى في أذهان الأجيال القادمة لغة اللاوعي في مسرح العولمة المتزايد.

3. الاستسلام لإرادة من يقف وراء العولمة اللغوية، لقد أعمت العامية بصائر الخاصة من المثقفين العرب قبل عوامهم، وجعلهم يسلمون قيادتهم لرغبات أعداء هذه اللغة الذين اجتهدوا في إبعادها من واقع الاستعمال رويداً رويداً باسم حجج واهية أقل ما يقال عنها نزعات عصبية لا تستند إلى منطق أو دليل علمي، ففي الوقت الذي تسعى فيه الدول إلى ترقية لغتها التي تفتقد إلى أدنى مقومات اللغة، تعمل على تهميش لغة هي أقدر على أن تجمع شتات وشتات غيرنا من حولنا ألا وهي اللغة العربية الفصحى، بوصفنا نحن أصحاب لسان اللغة العربية نحمل لواء استقطاب الآخر لحضارة إنسانية مثلى في ظل تزايد مد العولمة، إن الاستسلام لإرادة العولمة اللغوية يعني قطع الرباط الوثيق بين من يتكلم اللغة العربية الفصحى والعامية، وبالتالي نهدم البلاد العربية بأيدينا لا بأيدي غيرنا، وهذا ما تنبه له المؤرخ البريطاني توينبي حيث قال: (اللغة العربية هي الرباط الوثيق الذي يحمي البلاد العربية من التفكك) (بن موسى، 2008: 274)، ومما لا شك فيه أن الذين حملوا لواء الدعوة إلى العامية يعملون على تسليم قيادتهم لإرادة عدوهم عن قصد أو عن غير قصد، وهم أولئك النفر الذين لم يستطيعوا تذوق حلاوة مذاق اللغة العربية الفصحى لعله في فطرتهم اللغوية.

4. خلق وتعزيز لغة عربية جديدة، إن الانتصار للغة العربية على العامية أمر من الأمور الوجوبية، ومما لابد من القيام به للقضاء على أسباب تفشي الأمية في البلاد العربية ما يلي: تقوية الكفاية الداخلية لأنظمة التعليم العربي، وتطبيق التعليم الإلزامي بشكل كامل، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في مجال التعليم، وفتح مدارس محو الأمية للكبار (منديات، 2004: 2) إن الانتصار للعاميات في اعتقادنا وضع لبنات عودة القبلية والنزعة العصبية المقيتة التي باتت بوادرها وشيكة في ظهور النزعة التفاضلية بين عامية هؤلاء وهؤلاء، هذه النزعة

التي جعلها البعض مدخلاً للتباين الحضاري بين حضارتين، وكأن الإسلام لم يوحدهما من قبل طواعية برضى الجميع، وبذلك نعمل على خلق وتعزيز اللغة الثالثة: إن اللغة الثالثة أو ما يطلق عليها " اللغة العربية المعاصرة " تجد لنفسها مكاناً بين العامية والفصحى فهي لا بالعامية ولا بالفصحى، وتعتبر قاسماً مشتركاً بينهما، وهي التي تسيطر على وسائل الإعلام وعلى ألسنة معظم المثقفين، فمن الصعوبة بمكان نجد مثقفاً لا يسيل على لسانه العامية والفصحى في آن واحد (الكريدس، 2004: 3)، ولما كان وجود العامية إلى جوار الفصحى في الوطن العربي، لابد والحالة هذه من تغذية اللغة الثالثة ومع استمرارية هذا الجوار يعني مزيداً من التغذية لهذه اللغة ومزيداً من الازدهار، إن هذه اللغة الثالثة لابد والحالة هذه لطالما أنها تستقي مقوماتها من العربية الفصحى والعامية أن تفتح منافذها للغة الأجنبية وبالتالي تأخذ منها فتصبح خليطاً ما بين العامية والفصحى والإنجليزية، وهذا يشوه الهوية القومية العربية.

إن ما سبق ليس كل تلك الآثار التي تحملها العامية العربية في الجانب اللغوي العربي الفصيح، بل هي بعضاً من كل، وان هذه الآثار السلبية لابد من احتوائها حفاظاً على اللغة العربية الفصحى، وخاصة تلك الآثار المتعلقة باللغة الثالثة، لكونها قد ترضي صاحب اللسان اللغوي القويم القائم على الفصحى وذاك الناطق بالعامية، على اعتبارها تقع بين بين، بين الفصيح والعامي فيرضى بها هذا ويرضى بها ذاك.

ثانياً: أثر ظاهرة الأمية في اللغة العربية:

لقد سبق الحديث عن الأمية وتعددها في الوطن العربي، وذكرنا أن أخطر أنواعها والمنوي بيان آثارها هي أمية المتعلم، وفق هذا وذاك فإنه يقبل على نقل النموذج الغربي الحضاري بكل ما فيه من مساوئ وإيجابيات، بوعي وبغير وعي بقصد وعن غير قصد، وينشئ هذا الأمي على اعتقاد أن ما هو صالح لبيئة ما

يصلح لأخرى فيأخذ من البيئة الغربية، والحقيقة أن ما هو عليه الغربي لا تستقيم عليه حياة الشرقي، وفي هذا التوجه علينا أن نبين تلك الآثار التي تحملها الأمية من هذا النوع أمية المتعلم والمثقف الغربي وتتمثل بما يلي:

1. المثقف الذي يقرأ ويكتب ولا يعي ما تؤول إليه الأمور، فاللغة العربية بما هي عليه حامل للهوية الثقافية ضمان لسيرورة الذات الحضارية، لا يهددها شيء مثلما يهددها صمت المثقف وهو ينظر إلى الزحف المصطلحي الغربي واللهجي المحلي يكتسح مجالاتها الحيوية ولا سيما في الإبداع الثقافي، وفي الحديث عن كل شأن ثقافي مهما تقلصت أبعاده أو انكمشت أحجامه أو ضؤلت أوزانه، فهذا المثقف يرى بعينه ويسمع بأذنه تلك المخاطر ولا يأبه لها بل يصفق كما يصفق الآخر، وكأن ما ناله من ثقافة أصبحت تتساوى مع غيره ممن لا يعي حقيقة الأمور، ولا ينظر بنظر البصيرة التي تكشف ما وراء الأمر، إن مثل هؤلاء المثقفين لا يرون غضاضة في استعمال اللغة الغربية بدلاً من اللغة العربية في البيت والمدرسة والشارع، فمثلاً كثرٌ هم ممن يحملون الشهادات العلمية والقادمين من الجامعات الغربية لا يتحدثون حتى في بيوتهم إلا باللغة الإنجليزية، ويشب الولد أو البنت وبقية أفراد الأسرة على حب اللغة الإنجليزية، في حين لا يعرفون من اللغة العربية إلا لغة الشارع واللهجة المحلية، وأما اللغة العربية الفصحى فقد غابت عن الأذهان، لكونهم لم يعتادوا عليها منذ الصغر.

2. التقليد الأعمى الذي يختطه الأمي المثقف، وهذا يتضح من خلال أنماط السلوك بين الجماهير العريضة في المجتمعات العربية، فهو سلوك غريب عجيب، وتقليد أعمى صالحاً كان أم طالحاً دون تفريق أو وعي، وفوضى في كل مظاهر الحياة من خروج عن التقاليد والأعراف في الملبس والمأكل والمشرب (المطاعم دون البيوت)، والتجاوز في التعامل بإدعاء الحرية أو الانطلاق في آفاق الدنيا الواسعة، هذا التقليد يظهر من خلال ما يلي:

أ. ما يدور أثناء الاحتفالات من جمل وعبارات يتم تبادلها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وخصوصاً تلك الأغاني، ونبين منها ما عهدنا سماعه في احتفالات عيد الميلاد للأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً، فهذه أغنية (هبي بيرث دي تو يو......)، هي التي تعزف لها الألحان وتدق الطبول وتصفق معها الأيدي فالنشء الصغير يتعلق بذهنه هذه الأغنية وما هو شاكلتها، هذا النشء الذي يسمع مثل هذه التمتمات الأعجمية لا يرى بغيرها من اللغة العربية خيراً منها في المستقبل عندما يصبح شاباً في ريعان الحياة.

ب. مسابقات الأغاني باللغة الإنجليزية أو الفرنسية للشباب والشابات والتي يرافقها لجان التحكيم وفي نهاية الأمر توزيع الجوائز، وهذه المسابقات ما هي إلا تحدٍ للأغاني العربية، وتحدٍ صارخ يعصف بالثقافة العربية أيضاً ومعظم الذين يقومون بهذه المسابقات إعداداً وإدارةً وتفكيراً هم من أولئك الذين يأتون من صفوف المتعلمين.

3. اللامبالاة والتسيب: إن هناك فئة ليست بقليلة العدد ليس لها هم سوى مصلحتها الشخصية، وهؤلاء ممن غرتهم الحياة الغربية وعادوا بالشهادات العلمية ولكنهم يحملون من الجنسية اثنتين أحدهما عربية والثانية غربية، وهؤلاء ليس لهم هم سوى ما يتفق مع مصالحهم وإن تعارضت مع المصالح العربية، فهم غربيون على الأرض الغربية، وهم كذلك غربيو المضمون عرب المظهر على الأرض العربية، هؤلاء لا يكون للغة العربية عندهم أدنى قيمة ويحبذون التعامل مع الآخر باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو أي لغة أجنبية أخرى ما دامت تحقق مصالهم وتلبي رغباتهم، في الوقت الذي يجب على مثل هؤلاء حمل لواء لغتهم الأم اللغة العربية وجعل أنفسهم أدوات دفاع عنها، ويحملون لواءها في كل مؤتمر أو ندوة أو محاضرة، لأنهم أهل العلم وأصحاب الذخيرة الثقافية التي بها

يحاججون غيرهم والمؤهلون وخاصة وهم يجيدون اللغة الأجنبية من الانتصار للغتهم وثقافتهم العربية الإسلامية.

4. ضعف الانتماء القومي لدى المثقفين: إن الكثير من المثقفين وخصوصاً الذين استقوا ثقافتهم من الغرب، ومكثوا هناك مدة طويلة، أدت بهم الغربية إلى ضعف الانتماء القومي لديهم، وهذا بدوره له تأثيرات سلبية منها: مساواة الموروث الغربي بالموروث العربي، استخدام التعابير والمصطلحات الغربية أكثر من استخدام التعابير والمصطلحات العربية، اختلاط السواد بما هو أبيض بمعنى أصبحت لديهم ضبابية في معرفة ما هو حق ويجب أن يتبع، لكون الحياة الغربية أدت إلى شبه ما يسمى بغسيل الدماغ لديهم، إن كل ذلك وغيره أدى إلى تفضيل ما هو غربي على ما هو عربي، وفي مقدمته تفضيل اللغة الإنجليزية على اللغة العربية، إن المثقف الذي يعمل على استنهاض ما هو غربي على ما هو قومي عربي وبهذه الصورة، ما هو إلا مثقف (أمي)، وإن كان يحمل من الشهادات أسناها، لكون مثل هؤلاء لا يعي ما يحيق به وما سيحل به مستقبلاً.

5. المثقف الذي يعمل باتجاه الخلط في الحديث بين اللغة العربية وغيرها، أو استخدام اللغة الإنجليزية في دنيا العروبة وعلى أرضها، وبين أبنائها ما هو إلا مثقف أمي لا يعي بأي حال من الأحوال ضرورة المحافظة على الموروث اللغوي العربي والثقافة العربية، وهذا يسهل انسياب العولمة اللغوية والثقافية إلى دنيا العروبة والإسلام، وهي بدورها تجد أرضاً خصبة فتنسلل إليها بكل يسر وسهولة، ومظاهرها أن المثقف من هذا النوع، مزج المصطلحات العربية الفصحى والعامية والإنجليزية والفرنسية معاً، وفي هذا نرى أن المثقف هذا يعبر عن عطلة نهاية الأسبوع بـ " الويك إند "، والاجتماع " بالميتنق "، والمركز التجاري بـ " المول" والمقهى بـ " الكوفي "، ونعم بـ " اوكي "، ومع السلامة بـ " باي "، والتأشيرة بـ " الفيزا " ومرحبا بـ " هاي "، وصباح الخير بـ " قد مورننج "، ومساء الخير بـ " قد

إيفننق "، وغيرها من المصطلحات التعبيرية التي تسيل على ألسنة المثقفين من العرب، إن هؤلاء يعملون على إحلال ما ليس من اللغة العربية على ألسنة أبناء اللغة العربية، وهذه لها آثارها السلبية بلا شك لا يختلف عليها اثنان مطلقاً، إن الذي يعمل في هذا التوجه هو بلا شك (أمي) لأنه لا يدرك ما تصير إليه الأمور، وما سيحل باللغة العربية من تطفيش من على ألسنة الناطقين بها، وكذلك لا يعون ماذا سيكون عليه الآخرين من تقليد لهم على اعتبار هؤلاء من أهل الشهادات العلمية ويوصفون بالمثقفين فيتخذون قدوة يقتدون بهم، وهذا ما يجعل الآخر يقلدهم فتسيل مثل هذه المصطلحات والمفاهيم السابقة على ألسنتهم فتصبح من اللغة الدارجة التي يتم التفاهم بين الناس من خلالها.

إن ما سبق ليست كل الآثار التي تلحقها أمية المثقف باللغة العربية والموروث العربي وبالثقافة العربية، وإنما هذه نماذج من الآثار الكثيرة التي ستلحق باللغة العربية من قبيل هؤلاء، إن اللغة العربية مهما عصفت بها التحديات ستبقى، ولن تتأثر كلغة، وإنما الذين يتأثرون هم أولئك الذين ينطقون بها، وليس لنا من الأمر على التدليل على ذلك إلا ما قاله البعض عنها من الخصوم، إذ قال المستشرق البرتغالي " أرنولد شوريت ": (اللغة العربية من أعظم لغات العالم أدباً وأعرقها ثقافةً وأغزرها علماً وأغناها تراثاً، لقد ظهرت مكتمله شابة، ولم تمر بمرحلة الطفولة ولم تتعثر في سيرها لذا فنضوجها من الأعاجيب) (الدعوة، 1999: 25)، وهذا رينان أكبر قساوسة التنصير قال: (إن العربية بدأت فجأة على غاية من الكمال، فليس لها طفولة أو شيخوخة) (العقاد، د. ت: 113-114)، ويقول آرنولد أحد المستشرقين في العربية: (إن اللغة العربية لديها من المرونة ما يمكنها من المحافظة على كيانها لارتباطها بالقرآن الكريم) (الوعي، 2000: 16).

بعد هذه الأقوال في اعتقادنا التي تضاف إلى قناعتنا نحن العرب والمسلمين، نجد ما نراه من تحدٍ يحيق باللغة العربية ما هو إلا سحابة صيف لا ثلج بها ولا

برد ولا حتى ماء، فلا تؤثر في اللغة العربية نفسها، وإنما التأثير ربما سيقع على الناطقين بها، ورغم هذا وذاك يبقى القرآن الكريم وكلماته العربية وآياته العربية ما تشد الإنسان العربي المسلم إلى لغته الصحيحة اللغة العربي الفصحى، لذا فإن اللغة العربية مرجعية هذه المرجعية لن يخفت ضوءها، ولن تتأثر مرتكزاتها، لكون الحافظ هو الله رب العالمين، وصدق إذ قال: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** {9/15})[الحجر:9]، صدق الله العظيم.

* * *



الفصل الخامس

الخـاتمـة

الفصل الخامس

الخـاتمـة

إشارة إلى ما تقدم عرضه من حديث حول العولمة الثقافيـة واللغـة العربيـة، فإننـا خلصنا إلى ما يلي:

1. الظاهرة الاسـتدمارية - الاسـتعمارية - التـي غـزت الـوطن العـربي عـلى طـول وعرضه، حيث قام الاستدمار - الاستعمار - بضرب اللغة العربية لكونه عزز من نشر لغتـه الأجنبية وإضعاف اللغة العربية ومن خلال عدة سبل منها:

أ- زعزعة منظومة اللغة العربية وذلك بتشجيع الـلـهجات المحلية، والمناداة بكاتبة اللغة العربية بالحرف اللاتيني، وزعزعة القناعة باللغـة العربيـة في نفـوس النـاطقين بهـا، لكونها لغة صعبة لا تجاري مقتضيات العصر.

ب- الحط من منزلة دور العلم العربية والمدرسين لهـذه اللغـة، وذلـك مـن خـلال إعطاء فرص أكبر للتوظيف لخريجي دور العلم الأجنبية وإعطاء دخل أقـل لمـدرس اللغـة العربية، وإعطائه دور هامشي في المجال التعليمي داخل المدرسة.

2. إن العولمة الثقافية هي من صنيع الغرب وهـو يسـعى إلى نشر ثقافتـه في كـل أنحاء العالم، وهـو قـادر عـلى ذلـك نتيجـة تقدمـه التكنولـوجي والثقـافي بكـل أبعـادهما وجوانبهما، وكذلك نتيجة الغنى الاقتصـادي والعسـكري الـذي يتمتـع بـه، وهـذا أدى إلى نتائج سلبية تجاه اللغة العربية ويتمثل بما يلي:

أ- ترويج اللغة الغربية سواء كانت الإنجليزية أو الفرنسية في الخارج، وقد لاقى ذلك قبولاً ورواجاً لكون التعامل مع صاحب هذا التقدم لا يتم إلا بلغته الأجنبية.

ب- إن الدول الصانعة للعولمة الثقافية فرضت على الدول الأخرى ومن بينها الدول العربية اتجاهات ثقافية،وإن كانت غير مقبولة للدول العربية، لكونها تخالف عاداتها وتقاليدها وقواعد دينها، وذلك من خلال عدة سبل كالتعليم فقد أنشأت مدارس على الأرض العربية بمناهج أجنبية واستقطبت الكثير من أبناء الأمة العربية، ودفعت الشركات الأجنبية في البلاد العربية لاستقطاب المتكلمين باللغة الإنجليزية مما دفع الكثير للإقبال على اللغة الأجنبية للتمكن من الحصول على فرصة عمل في تلك الشركات، أضف أن ما نادى به الغرب من أفكار كتجفيف منابع الإرهاب إلى تعديل المناهج العربية باتجاه اتقاء التهم المستقبلية من الدول الشوكة مما أضعف اللغة العربية إلى الحد من نطاق التعامل معها على ساحة كبيرة من الأرض العربية وعلى نطاق جماهيري عربي واسع، كما وقد توصلنا إلى عدة استنتاجات تطلبت بدورها عدة توصيات، وهذا سنتناوله ها هنا في الخاتمة، ولكننا قبل الحديث عن ذلك لابد من أن نبين عدة أمور تخص اللغة العربية وهي، أن المسكوت عنه قد خرج إلى فضاء المصرح به، وأن اللغة العربية واقعة في قلب الرحى ضمن الحرب الجديدة، حرب الاختراق الثقافي التي تحتكم إلى استراتيجية الاستهداف في كل أوجه الصراع وعلى كل الواجهات، وبناءً على ما سلف تبرز لنا اليوم الحقيقة التي لا تخفى على أحد، وهي وعلى مدى الحقب التاريخية الثلاث: حقبة ما قبل الاستعمار، وحقبة الاستعمار، وحقبة ما بعد الاستعمار، تلك الحقيقة التي أشرنا إليها وهي أن العدو الكبير للغة العربية والثقافة العربية هي اللغة الأجنبية والثقافة الأجنبية تلكم هي ثقافة المستعمر.

وأما العلاقة بين اللغة والثقافة فهم كثروا الذين يرون أن اللغة العربيـة ذات صـلة بالثقافة في حين أن البعض والقليل منهم يرون خلاف ذلك، ونحن نذهب مذهب الأكثرية في النظرة للعلاقة بين اللغة والثقافة، حيث أن هناك علاقة وثيقة ووطيـدة تـربط بيـنهما، وهذا يعود لعدة أسباب منها:

1. أن اللغة تربط بين الثقافة وأبنائها، فالطفل يكتسـب ملامـح ثقافـة بيئتـه مـن خلال اللغة التي يتعامل بها أهل بيئته، فالطفل ابن البيئة التي يعـيش بهـا، ولا يسـتطيع أن يكتسب المفاهيم السائدة ويعبر عنها إلا باللغة التي ينطق بها أبناء البيئـة التـي إليهـا ينتسب ويعيش

2. أن اللغة تنقل الثقافة إلى خارج حدود بيئة اللغـة، وهـذا مـا نجـده عـلى أرض الواقع حيث أن اللغة رحلت بالأمس لتعبر عن الثقافة العربية الإسلامية في بـلاد الأنـدلس منذ اليوم الذي شكلت هناك دولة عربية إسلامية، وقد قام القشتاليون وغيرهم من الإفرنج فيما بعد التعرف على ثقافاتنا العربية الإسلامية، من خلال ترجمة لغتنا العربيـة إلى لغـتهم التي يفهمونها ويتعاملون معها، واللغة بذلك لا تكسـب الثقافـة فقـط لأبنائهـا فقـط بـل تنقلها من شعب إلى آخر ومن أمة إلى أمة أخرى، وهذا يعني أن تعليم أية لغـة وتعلمهـا لابد من أن يتم في إطار ثقافتها.

3. أن اللغة تربط بين الثقافة وأبناء بيئة تلك الثقافة، واللغة هي الوسـيلة الأولى لنقل الثقافة خارج حدودها، لذا فإن ما يترتب عـلى العولمـة الثقافيـة هـو هذا الربط بين الثقافـة واللغـة، واختفـاء الحـدود الثقافيـة واللغويـة بـين الأمـم والشعوب، حيث أن الإنسان في هذا العصر لم يعد ينتمي إلى ثقافة أرضه ودينـه، وإنما ينتمي إلى الثقافة السائدة دولياً، بمعنى أن الانتماء الثقافي لم يعـد قطريـاً أو

وطنياً محلياً في ضوء تيار العولمة، وبما أن الثقافة الغربية هي الثقافة المهيمنة التي تـدعم العولمة، فبدأ الانتماء الثقافي على المستوى الدولي يتجه إلينا أبناء اللغة العربية والناطقين بها، وهذا الانتماء الثقافي الدولي أخذ بالضغط على أبناء الثقافة العربية الإسلامية حتى لا يعتادون العيش على النطق بحرف الضاد العربي الذي تنتمي إليه ثقافتهم وأرضهم، بل تدفعهم باتجاه اللغة المهيمنة في التواصل الدولي، وهذا ما يهدف إليه دعاة العولمة ورافعو لوائها، وهو سيادة الثقافة الغربية واللغة الغربية أيضاً.

إن سيادة الثقافة واللغة الغربية ما هي إلا ظاهرة لم تعد المشكلة الحقيقة التي تتعرض لها اللغة العربية، وأن المشكلة الحقيقية هي فيما يترتب على هذه الظاهرة من تكوين الاتجاهات الإيجابية تجاه اللغة الإنجليزية لغة العولمة، وفي نفس الوقت تكوين اتجاهات سلبية تجاه اللغة العربية وما ينتج عن ذلك من طمس الهوية اللغوية العربية والثقافة الإسلامية، ومن أبرز صور هذا الطمس والتنكر للهوية اللغوية العربية والثقافة الدينية العربية الإسلامية، إن الكثير من أبناء العروبة والإسلام يفتخرون باللغة الإنجليزية والثقافة الإنجليزية، ويعتبرونها لغة وحيدة للفوز في الحياة المعاصرة، وفي المقابل ينظرون إلى العربية نظرة دونية فتنقص رغبة الأجانب ودافعهم عندها لتعلم اللغة العربية وتعليمها، وضاع افتخار العرب باستخدام اللغة العربية إلا صورتها العامية وعندها يدفعون أولادهم إلى المدارس الغربية لكي يجيدوا اللغة الإنجليزية أكثر من العربية.

نستنتج من كل ما تم بحثه في هذا الكتاب:

1. أن هناك علاقة وطيدة بين الثقافة واللغة، فلا ثقافة بلا لغة ولا لغة بلا ثقافة، فاللغة والثقافة مرتبطتان معاً لا تنفك أحدها عن الأخرى، فاللغة هي

المنتج للثقافة، وتأخذ لونها وصبغتها، وإن هدم اللغة أو إقصاءها عن الساحة ما هو إلا بمثابة المعول الذي به يهدم جدار الثقافة المبني من نسيج أحرف اللغة وكلماتها.

2. إن التحدي الأكبر للغة العربية والعدو اللدود لم يعد اللغة الأجنبية لغة المستدمر، الذي حطت رحاله في ربوع وطننا العربي الكبير، وإنما العدو الأكبر، الثقافة التي تصيغها تلك اللغة إذا ما تسربت إلى القناعات الحميمة عند الشعوب العربية الإسلامية الناطقة باللغة العربية، لأنها عندئذ تتحكم في الآليات النفسية عبر التحكم في أدوات التفكير، إن ذلك يعد بمثابة اللص الذي يتسلل إلى كوامن الذات الفردية المؤدية إلى السيطرة على منافذ الذات الجماعية، إنه الاستلاب الذي يصبح عنده الفرد العربي ناطقاً باسم المرجعيات التي يريد دعاة العولمة أن نقوم نحن العرب والمسلمين الناطقين باللغة العربية بمهمة الترويج لها والإشادة بها.

3. إن التحدي الذي كرسته المرحلة الاستعمارية وخلفته وراءها هو تكريس تعليم اللغة الأجنبية خاصة الإنجليزية والفرنسية، وبالمقابل عملت على اهتزاز القناعات باللغة العربية لغة أبناء الوطن العربي الأم، وذلك من خلال عدة أساليب منها: ترويج المقولة القائلة: " أن اللغة العربية تتصف بالصعوبة لا يبلغ كنهها الكثير والمناداة بالكتابة بالحرف الأجنبي، وفتح مجالات العمل لكل الناطقين باللغة الأجنبية، والتركيز في ذلك على النشء لبلوغ الهدف الذي تصبح به اللغة الأجنبية تشكل قناعات لديهم، بأنها القادرة على حمل أعباء المعرفة العلمية، وأن اللغة العربية تظل قاصرة عن أداء تلك الوظيفة، وهذا يولد لدى التلميذ الذي ترافقه اللغة الأجنبية منذ الصغر وفي مراحل التعليم المختلفة، قناعة تامة على أن اللغة العربية تعجز عن صياغة الخطاب العلمي، الكفيل بمضاهاة الخطاب القائم على اللغات الأجنبية.

4. إن الاستخدام غير الواعي للتقنيات الاتصالية والوسائل الإعلامية، يـؤدي بـدوره إلى تصدير الثقافة الغربية، ويؤدي إلى الإخلال بالقواعد الناظمة للغة العربية، وإدخال إلى اللغة العربية ما ليس منها، كما يسهم الاستخدام غير الواعي لهذه التقنيـات بأنواعهـا إلى: إحلال العامية بدلاً من الفصحى، وإلى الارتقـاء بالـلـهجات المحليـة، وتعزيـز مـا يسـمى باللغة الثالثة عند النشء.

5. أن المدارس الأجنبية المبثوثة هنـا وهنـاك في وطننـا العـربي الكبـير، واعتمادهـا مناهج أجنبية قائمة على منطوق اللغة الأجنبية، يؤدي بـدوره إلى تضـييق المسـاحة التـي تشغلها اللغة العربية وتنحسر لصالح اللغة الأجنبية.

6. أن قيام الشركات والمؤسسات التعليمية الأخرى في الوطن العربي، بتوظيف مـن يجيد اللغة الأجنبية قراءةً ومحادثة، يؤدي هذا الإقبال على اللغة الأجنبيـة، وإعطـاء تلـك اللغة الأهمية التي تفوق أهمية الاهتمام باللغة العربية، يجعل مـن هـذا تحـدياً واضـحاً وصريحاً للغة العربية حتى في عقر دارها.

7. إن الإعلام المنفلت كالفضائيات التي تتبنى النهج الذي يتعارض والقيم الثقافية العربية، ما هي إلا سهام معاونة للسهام الغربية الموجهـة للغـة العربيـة، والتـي لا تنفـك يوماً من الأيام من تحدي اللغة العربية ومحاولة النيل منها.

8. إن العامية التي تسيطر على السواد الأعظم في وطننا العربي الكبير، مـا هـي إلا التحدي الكبير الذي يعصف باللغة العربية، ويجعل المتكلمين بها وفق قواعـدها الناظمـة وكأنها غريبة عن لسان ومنطوق النشء.

9. إن الأمية وخاصة أمية المثقفين والتي يغيب عنها الـوعي، سـهام أخـرى موجهه إلى اللغة العربية للنيل منها، والأمية هذه هي مـن صـنيع العـالم العـربي نفسه، بمعنى أن العالم العربي هو الصانع للتحديات التي همها النيـل مـن اللغـة

العربية، لأن الأقطار العربية غيبت ظاهرة الوعي لـدى المثقفـين مـن أبنـاء الأمـة، وذلـك باختيار التعليم العشوائي الذي يكون الهدف منه القراءة والكتابة فقط.

10. إن الـلـهجات المحلية والمنتشرة في ربوع الوطن العربي تعتبر تحـدٍ آخـر للغـة العربية، وإن الدعم لتعزيز هذه الـلـهجات يتأتى مـن مصـادر داخليـة وخارجيـة، فالداخليـة تتأتى من خلال عدم تعزيز اللغة العربية، وفـق القواعـد النحويـة لـدى الأفـراد في البيـت والمدرسة، وهذا يجعل لغة الشارع أو الـلـهجة المحلية أو ما تسمى اللغة الدارجة تسـتهوي اللسان، وتطغى على اللغة العربية، وأما المصادر الخارجية فتأتي من خلال القنوات الفضائية، وما تبثه من أفلام ومسرحيات ومسلسلات مدبلجة.

11. إن اللغة العربية ما هي إلا حامل للهوية الثقافيـة، وضـامن لسـيرورة الـذات الحضـارية، لا يتهـددها شيء مـثلما يتهـددها صـمت المثقـف، وهـو ينظـر إلى الزحـف الـلـهجي والمصطلحات الأجنبية، يكتسح مجالات اللغة الحيوية ولا سيما الإبداع الثقافي أو انكمشت أحجامه.

إن ما سبق أهم الاستنتاجات، وليس كل ما يمكن أن نستنتجه من خلال ما تناولناه بالبحث في موضوع العولمة الثقافية واللغة العربية، وهناك العديد مـن الاسـتنتاجات تـم الإشارة إليها في ثنايا البحث.

تم بحمد الـلـه

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية:

1. الأسد، ناصر الدين (1999)، **الثقافة بين العولمة والعالمية**، عمان: مطابع الرأي الأردنية.
2. الأمانة العامة، رابطة العالم الإسلامي (1985)، **قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي** من دورته الأولى (1398-1405) ه مكة المكرمة: الأمانة العامة.
3. الجابري، محمد عابد (1989)، **العولمة والهوية الثقافية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، **الكتاب السنوي 2003/ 2004**، عمان: مطابع الدستور.
5. الحافظ، عبد الرشيد (2005)، **الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي** - القاهرة - مكتبة مدبولي.
6. حوات، محمد علي (2002)، **العرب والعولمة** - القاهرة : مكتبة مدبولي.
7. الحمد، تركي (2003)، **الثقافة العربية في عصر العولمة**، بيروت: دار الساقي.
8. الخضيري، محسن أحمد (2000)، **العولمة: مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة** - القاهرة - مجموعة النيل العربية.
9. درويش، أحمد (1999)، **تحديات الهوية العربية**، بحث في كتاب العولمة والخصوصية الثقافية، مسقط: جامعة قابوس.
10. الديوب، سحر (2008)، **واقع اللغة العربية واستشراق المستقبل في عصر العولمة**، فصل في كتاب اللغة العربية في مواجهة التحديات - جرش: جامعة جرش.
11. رضوان، طه عبد الحليم (1999)، **عالمية الإسلام: العولمة الاقتصادية والثقافية**، بحث في كتاب العولمة والخصوصية الثقافية، عمان - جامعة قابوس.
12. الرشيد، ناصر بن سعد، (1999)، **الثقافة العربية والمستقبل**، ندوة حماية الوطنية والشباب من التحديات الثقافية، الكويت: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
13. سعيد، محمد السيد (2005)، **الشركات عابرة القومية ومستقبل ظاهرة القومية**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة (107).

14. شماس، سالم بن مستهيل (1999)، **العولمة والهوية الثقافية العربية والإسلامية: تصادم أم تفاعل** - عُمان: جامعة قابوس.
15. صليبا، جميل (1982)، **المعجم الفلسطيني**، الجزء الأول، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
16. ابن خلدون، عبد الرحمن (1993)، **مقدمة ابن خلدون** - بيروت - دار الفكر.
17. ابن المنظور، الإفريقي **(د. ب) لسان العرب** - بيروت - دار صادر.
18. إمام، إبراهيم (1969)، **الإعلام والاتصال بالجماهير** - القاهرة - مكتبة الإنجلو مصرية.
19. بن موسى، زين الدين (2008)، **أنماط الصراع بين اللغة العربية والعامية**، فصل في كتاب اللغة العربية في مواجهة التحديات - جرش: جامعة جرش.
20. عبد الحافظ، عبد الرشيد (2005)، **في الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها**- القاهرة: مكتبة مدبولي.
21. علي عايد، رسمي (2008)، **العولمة والتربية** - عمان:دار جرير للنشر والتوزيع.
22. علي، نبيل (2001)، **اللغة العربية وتحدياتها**، الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني - ص 79-100.
23. العمري، ناديا الشريف (1981)، **أضواء في الثقافة الإسلامية**، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.
24. غادي، ياسين (1994)، **الثقافة الإسلامية في ثوبها المعاصر**، الكرك: المؤلف.
25. فرسوني، فراس حمد (2009)، **الفكر التحريري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر (رسالة ماجستير غير منشورة)** - جامعة الشرق الأوسط: كلية الآداب.
26. الفرحان، إسحاق (2001)، **انعكاسات العولمة السياسية والثقافية**، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.
27. كرم، جان جبران (1988)، **التلفزيون والأطفال** - بيروت - دار الجليل.
28. محسن، حاتم حميد (2008)، **في الموجز في العولمة** - دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر، ص57-89.
29. محمد حسين، محمد (1987)، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - شارع سوريا.
30. مشاقبة، أمين عواد (2006)، **التربية الوطنية** - عمان - دار الحامد.
31. مرتاض، عبد الجليل (2004)، **تراكيب لهيمنة عربية جزائرية في ظل الفصحى**، وهران: دار الغرب.
32. مندريس، إسحاق (1950)، **اللغة ترجمة القصاص والدواخلي** - القاهرة: مطبعة البيان.

33. المشيخي، أحمد بن علي (1999)، **العولمة الخصوصية الثقافية** - مسقط: جامعة قابوس.
34. المعتوق، أحمد حسن (1996)، **الحصيلة اللغوية أهميتها ومصادرها ووسائل لتنميتها** - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
35. مقداد، محمد (2002)، **العولمة: رقاب كبيرة وسيف واحد** - عمان: دار الفارس.
36. نور الدين، علي يوسف (2005)، **عالمية اللغة العربية**، فصل في كتاب اللغة العربية في مواجهة التحديات - جرش - جامعة جرش.
37. النادي، عبد الله (2008)، **حقوق الإنسان**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا - كلية العلوم الإنسانية -.
38. هزايمة، محمد عوض (2005)، **قضايا دولية معاصرة**، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.
39. الهندي، صالح (1982)، **الثقافة الإسلامية**، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية.
40. ياسين، السيد (2001)، **في مفهوم العولمة: العرب والعولمة** - بيروت: مركز دراسات الوحدة (ندوة).
41. يكن، طيفور (فتحي ورامز) (2000)، **العولمة ومستقبل العالم الإسلامي** - بيروت - مؤسسة الرسالة.
42. سلامة، ممدوحة محمد، (1997)، **علم النفس الاجتماعي - أنت وأنا والآخرون** - القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية.

ثانيا: الدوريات:

43. باي، محمد الأزهر (1999)، **أي مستقبل للخصوصيات الثقافية في ظل العولمة**، مجلة العولمة والخصوصية الثقافية(عُمان)، العدد (1).
44. بلقزيز، عبد الإله (1998)، **العولمة والهوية الثقافية** – مجلة المستقبل العربي (بيروت)، العدد (229).
45. بدوي، عاطف (2001) **العولمة وتوجهات الهوية الثقافية**، مجلة القراءة (القاهرة) العدد (4).
46. باقدر، أبو بكر (2003)، **عولمة التعليم ومسألة الهوية**، ورقة مقدمة لمهرجان القرين الثقافي 5-7 يناير.
47. بن جواد الحداد، هيثم (2002)، **العولمة اللغوية** - مجلة البيان - العدد (170) - المنتدى الإسلامي - لندن - بريطانيا.
48. بوخمسين، أمير (2007)، **التطور التكنولوجي وأثره على وعي المواطن**، مجلة الواحة، الإمارات،7 (23).

49. البوني، عفيف (1983)، **في الهوية القومية العربية**، مجلة المستقبل العربي (بيروت)، 6 (57).

50. تسيشوري، عبد الرحمن (2005)، **دراسة مقارنة لأهم مشكلات التربية في الوطن العربي**، الحوار المتمدن، العدد (1359).

51. الجميل، سيار (1997)، **العولمة: اختراق القوميات الآسيوية**، مجلة المستقبل العربي(بيروت) العدد (217).

52. الحداد، هيثم (2002)، **العولمة اللغوية**، مجلة البيان (الإمارات)، العدد (170).

53. أبو حلاوة، كريم (2001)، **الآثار الثقافية للعولمة**، مجلة عالم الفكر (الكويت) العدد(9)

54. الحديثي، وليد (2005)، **الفضائيات العربية وإعلام العولمة**، مجلة الكلمة، العدد (1).

55. رضوان، عبد السلام (1997)، **دورية الثقافة العالمية**، (الكويت) المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، العدد (85) - ص 39-54.

56. سلامة، هناء (2009)، **خطورة اللغات الأجنبية على هويات الأطفال**،(لواء الشريف).

57. سالم، بول (1998)، **معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين**، مجلة المستقبل العربي، العدد (229).

58. ساكس، سيغري، (1998)، **الاقتصاد وحل لغز العولمة**، ترجمة دانيال عبد الله، مجلة الثقافة العالمية (الكويت)، العدد (88) - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

59. شاويش، حسين (1999)، **مفهوم الثقافة**، مجلة دراسات عربية (بيروت)، العدد (9-10).

60. أبو خشب، إبراهيم علي (2009)، **محنة اللغة العربية**، مجلة الأزهر لشهر صفر 1430 هـ

61. أبو طالب، صوفي (1999)، أثر **العولمة على الهوية الثقافية في العالم الإسلامي**، سلسلة قضايا إسلاميين (القاهرة)، العدد (50).

62. أبو هيف، عبد الله (2002)، **اللغة العربية تحديات العولمة**، المجلة العربية للثقافة (تونس)، السنة (21) العدد (43) تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة.

63. آل عبد الكريم، فؤاد عبد الكريم (2003)، **العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة**، مجلة البيان، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد (170).

64. عبد السلام، أحمد(2001)، **في العولمة الثقافية اللغوية وتبعاتها للغة العربية**، عمان: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ص117-147.

65. عطية، صديق بكر (2009)، **العولمة والدور الأمريكي والعربي فيها**، مجلة الأزهر (القاهرة) السنة 1982، الجزء (2).

66. عبد الله، محمد فريد (2005)، **أثر السياحة في اللغة العربية** - مجلة العربي -، العدد (562) - الكويت - وزارة الإعلام.

67. عبد المولى، محمد علاء الدين (2006)، **وجهة نظر في واقع اللغة العربية** - الحوار المتمدن - 14754- تاريخ 28/ 2/2006، ص 1.

68. العنزي، سعود عبد (2008)، **المدارس الأجنبية بين الهوية الوطنية وحرية التعليم** (مشاركة (1) المدارس الأجنبية).
69. الكواري، ربيعة صباح (2009)، **الحرب على اللغة العربية في المجتمعات العربية** الشرق 7 نيسان 2009.
70. مارتين، شومان، هانس بيتر، هارولد (1998) **فخ العولمة** - الكويت - سلسلة عالم المعرفة، العدد (238).
71. مشاقبة، أمين (2008)، **دورة شوقي والإمارتين،ندوة الثقافة وحوار الحضارات، الأبحاث والمناقشات**، الكويت إصدار عبد العزيز البطابين، ص 73.
72. المنوفي، إبراهيم (1997)، **التعليم المصري وتحديات العولمة**، مجلة رابطة التربية الحديثة - القاهرة - 14، (46).
73. نصار، حسين (2000)، **اللغة العربية تحديات عصر العولمة**، مقال في مجلة العربي (الكويت)، العدد (503).
74. مطلوب، أحمد (2001)، **في اللغة العربية و تحديات العولمة**، مجلة المجمع العلمي، (العراق) - ص40 -49.
75. خليل، عماد الدين (2000)، **في التحديات الحضارية للأمة الإسلامية**، مجلة آفاق (الأردن)، السنة (1)، العدد (3).
76. هزايمة، محمد عوض (2009) **نظرية المؤامرة في الفكر العربي**، مجلة دراسات(الأردنية)، مجلد (36) العدد (36).
77. وطفة، علي أسعد (2003)، **الثقافة العربية الإسلامية إزاء تحديات العولمة وفرصها**، عمان: مجلة اتحاد الجامعات العربية - ص 101-157.
78. نهر، هادي (2008)، **اللغة العربية بين العولمة وغياب المشروع الحضاري العربي**، ورقة مقدمة لمؤتمر اللغة العربية في مواجهة التحديات المعاصرة والمنعقدة في جامعة جرش للفترة الواقعة بين 23- 24 نيسان 2008.
79. الهيتاني، نجم الدين (1999)، **العولمة الاقتصادية: ظهورها ومبادئها**، ورقة مقدمة لمؤتمر العولمة والخصوصية الثقافية، المنعقد في مسقط (9- 11) تشرين الثاني.

ثالثاً: الصحف:

80. جابر، عبير (2008)، **المسلسلات التركية المدبلجة**، صحيفة العرب القطرية الصادرة بتاريخ 3/ تموز 2008.
81. زعفان، الهيثم (2009)، **المثلية الجنسية في مناهج المدارس الأجنبية**، جريدة المصريون الصادرة بتاريخ 2009/4/27.

82. الشراري، فارس ظاهر (2007)، **التكنولوجيا واللغة العربية**، صحيفة الرأي، العدد (12602) 3/31.
83. الشيخ، غادة (2009)، **طغيان اللغة الإنجليزية يهدد اللغة العربية**، صحيفة (الغد الأردنية)
84. عودة، محمد (2008)، **التكنولوجيا وآلية التعليم يشوهان جمالية الخط العربي**، صحيفة القدس الصادرة بتاريخ 2 نيسان 2009.
85. غيبور، فادية (2009)، **المسلسلات التركية المدبلجة**، صحيفة الفداء السورية الصادرة بتاريخ 6 آذار 2009.
86. الكريدس، علي بن حمد (2004)، **اللغة الثالثة بين العامية والفصحى**، قطر: الجزيرة الثقافية.

رابعاً: الشبكة العنكبويتة:

87. المبارك، زينب (2008)، لغة الشتات إضاعة لغتنا العربية، مقهى العربية على الشبكة العنكبوتية (www.almaggha.com).
88. **http://www.adabasham.netshow**
89. الأهرام، المصرية (2001)، **مؤسسة جوجل الألمانية عن الشبكة العنكبوتية الخاصة**، موقع جوجل الألمانية بتاريخ 20 تموز 2001 (www.google.com).
90. جوهر، نصر الدين إدريس، **تعليم اللغة العربية في ضوء مواجهة تحديات العولمة**، الشبكة العنكبوتية (.www.google.com).
91. جكلي، زينب بيره (2008)، **آثار العولمة على اللغة العربية**، الشبكة العنكبوتية: 25 آذار (www.google.com).
92. العريس، محمد (2007)، **العولمة وتحدياتها** - الشبكة العنكبوتية، 25 آذار /2009.
93. http:/www.islamweb.net/ver2/archiv
94. زعفان، الهيثم (2009)، **ماذا يدرس أبناؤنا في المدارس الأجنبية**، " منتدى الفكر واللغة "، الشبكة العنكبوتية " المدارس الأجنبية: www.google.com ".
95. مقالة مختارة، (2009)، **المسلسلات التركية المدبلجة تغرق شبابنا**، الشبكة العنكبوتية
96. (www.Islmway.com).
97. المعمري، وحيد (2004)، **مسألة تعريب الحرف اللاتيني للحفاظ على اللغة العربية**، مسألة تعريب الحرف اللاتيني (www.google.com).
98. المقريزي، مركز (2009)، **الحروف اللاتينية لكتابة لغة العرب**، (www.googl.com).
99. منتديات، صحارى (2004)، **الأمية في البلاد العربية**، الشبكة العنكبوتية (www.saharacity.com).

فهرس

العولمة الثقافية واللغة العربية

(التحديات والآثار)



الأكاديميون للنشر والتوزيع
عمان - الأردن
تلفاكس: 5330508 6 962+
E.mail.academpub@yahoo.com



تصميم: نائل هوجلي
079 7212693